نور الحياة

سلسلة دراسات في كلمة الله

الكتاب الثامن عشر

قضايا إيمانية (٤)

قضية الخطية والشر

... ومقالات أخرى

دكتور جميل نجيب سليمان

الكتاب الثامن عشر

قضايا إيمانية (٤)
قضية الخطية والشر

... ومقالات أخرى

دكتور جميل نجيب سليمان

اســـم الكتـــاب : نور الحياة

الكتـــاب الثامن عشر : قضايا إيمانية (٤)

قضية الخطية والشر... ومقالات أخرى

المـــــــؤلف : دكتور جميل نجيب سليمان

gamilnsoliman@yahoo.com

www.gamilsoliman.org

الطبعـــــــــة : الأولي ٢٠١٩

الناشـــــــــر : بيت مدارس الأحد القبطي ت : ٢٢٠٢٩٧٤٤

رقم الإيـــداع : ٢٠١٩/١١٥٥١

الترقـــيم الـــدولي : 978-977-823-009-3

صاحب القداسة والغبطة

البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية المائة والثامن عشر

المحتويـــات

كلمة إلى القارئ ٧

قضية الحرية ١١

+ عن الحرية قبل الناموس وبعده ١٢

- سادة وعبيد ١٣
- ما قبل الناموس ١٤
- عهد الناموس وما بعده ١٦

+ المسيح يعلم عن الحرية الحقيقية ١٩

- عن الحرية الحقيقية ٢١
- وهم الحرية ٢٣

+ المسيح هو المحرر أيضاً ٢٩

- سمات الحرية الحقيقية ٣١
- لكي نثبت في الحرية ٣٥

+ عن السادة والعبيد في الكنيسة ٣٧

- الإيمان يجمع السادة والعبيد ٣٨
- وصايا الرسل للسادة والعبيد ٤١
- عن الكنيسة وقضية الرق ٤٤

قضية الخطية والشر ٤٩

+ تاريخ الخطية من آدم إلى عهد النعمة ٥٠

- كيف دخلت الخطية والشر إلى العالم ٥٢
- بين الناموس والنعمة ٥٦

+ موقف المؤمن من الخطية والشر ٥٩

- المؤمن ودعوة الخلاص ٦٠
- موت عن الخطية ٦٣
- حياة بالروح ٦٥
- موقف المؤمن من إبليس ٦٦
- المؤمن وشبه الشر ٦٧

+ سمات الحياة بالروح ٧١

+ أسئلة تتطلب إجابات ٧٧

+ **قيامة الحياة** ٨٥
- عن المجيء الثاني ٨٧
- عن قيامة الحياة ٨٩
+ **قيامة الدينونة** ٩٥
- عن موضع الخطاة ٩٧
- عن دينونة إبليس وملائكته ٩٩
- عن دينونة الخطاة ٩٩
- عن الذين يشاركون في دينونة الخطاة ١٠١
- عن طبيعة عذاب الأشرار ١٠٤
- عن كيف تسمح محبة الله بعذاب الخطاة الأبدي ١٠٧

٣ **قضية الألم والمرض** ١١٣
+ **عن الألم والمرض في حياة البشر** ١١٤
- هل من وجه إيجابي للآلام ١١٥
+ **عن مصادر الألم والمرض** ١١٩
- الخطية كمصدر للألم ١٢٠
- الخطية كمصدر للمرض ١٢٣
+ **الله والإيمان وقضية الألم والمرض** ١٢٦
- الألم والمرض وحياة الإيمان ١٢٧

٤ **اضطهاد لا ينتهي.. وماذا بعد؟!** ١٣٥
+ **بداية الاضطهاد للإيمان واتساع دائرته** ١٣٦
+ **لماذا الاضطهاد وكيف نواجهه** ١٤١
- لماذا اضطهاد المؤمنين ١٤١
- نتمجد أيضاً معه ١٤٤
- في مواجهة الاضطهاد ١٤٦
+ **موجات الاضطهاد تتفاقم من حولنا.. ونذر الحروب الدينية في الأفق** ١٥٠
- عن اضطهاد مسيحيي الشرق ١٥٠
- عن ألوان الاضطهاد الأخرى ١٥٣
- الحروب الدينية.. الخطر القادم ١٥٥
- عن جذور العداء والعنف ١٥٥
- أمل يشرق ١٥٨

٦ـ **نحن وثورة يناير ٢٠١١ وتوابعها** ١٦١
+ عن إيجابيات الثورة وسلبياتها ١٦٢
- عن إيجابيات الثورة ١٦٢
- عن المسيحيين والعمل السياسي ١٦٤
- عن سلبيات الثورة ١٦٨

٧ـ **تجديد الخطاب الديني.. وجهة نظر مسيحية** ١٧٣
+ عن "تجديد الخطاب الديني" ١٧٤
- اعتبارات لابد منها ١٧٥
+ الموقف المسيحي من "تجديد الخطاب الديني" ١٧٧

٨ـ **ريتشيل كوري**
شهيدة ضد العنف.. ومن أجل الحياة والسلام والحرية ١٨٩
+ الشهيدة ريتشيل كوري ١٩٠
- ضد العنف.. ومن أجل الحياة والسلام والحرية ١٩٠
- أصداء الدم النازف ١٩٣
- مقتطفات من رسائلها ١٩٤
- يهودية أم مسيحية ١٩٥
+ المسيح مدافعاً عن المظلومين ١٩٧
- هو للجميع.. وحتى للرافضين ١٩٩
- اليهود.. أعداء الأمس.. أعداء اليوم ٢٠٠
- عاقبة الرفض ٢٠١
- على خطى السيد ٢٠٢

٩ـ **ملاحق** ٢٠٧
+ ملحق رقم (١): السجل المخزن لأحداث اضطهاد مسيحيي مصر والشرق في العصر الحديث ٢٠٨
+ ملحق رقم (٢): عن "وثيقة الإخوة الإنسانية" ٢١٤
+ ملحق رقم (٣): كتابات عظيمة في إدانة التعصب والتمييز الديني. ٢١٦

كلمة إلى القارئ

نقدم الشكر لإلهنا المحب الذي ساندنا بالنعمة كل الحياة، كي نواصل هذه الخدمة في **دراسة كلمة الله** من أكثر من زاوية وفي أكثر من حقل.

وقد بدأنا **كتابنا الأول** من **"نور الحياة"** سنة ٢٠٠٧ **"في السلوك المسيحي"**، فكان أحد خطوط اهتمامنا. وتبعه خلال السنين **أربعة أجزاء أخرى** (آخرها سنة ٢٠١٨). وتلاه **الكتاب الثاني "مع المسيح"** في الاتجاه الذي يلقي الضوء عن عمل المسيح الخلاصي ولاهوته وأزليته ومجيئه الثاني، وصدر **جزء ثان "مع المسيح"** في ٢٠١٧. واتجه **الكتاب الثالث** إلى **"المسيح في حياة الكنيسة والخدمة"** يلقي الضوء عن عمل الكنيسة من خلال التعليم والصلوات والألحان وتقديم المسيح إلى العالم.

وكان **الكتاب الرابع** عن **خدمة الرسولين بطرس وبولس** كشخصيتين كتابيتين أثرتا في حياة الكنيسة والعالم، وتصدت **الكتب الخامس والسابع والعاشر** لعدد من **"القضايا الإيمانية"** التي تهم المؤمن المسيحي وتتعلق بحياته الحاضرة وحياته الأبدية، وناقشناها شاهدين للحق الكتابي، لإعداد المؤمنين أن يكونوا مستعدين لمجاوبة كل من يسألهم عن سبب الرجاء الذي فيهم بوداعة وخوف.

واستغرقت دراستنا **لقراءات الآحاد خلال السنة الليترجية** ثلاثة كتب (من **الحادي عشر** إلى **الثالث عشر**)، وأتبعناهما بكتابين (**الرابع عشر** و**الخامس عشر**) عن **"أعياد الكنيسة"**.

ونقدم للقارئ هنا **الكتاب الثامن عشر**، بعد أحد عشر عاماً من نشر **الكتاب الأول**، وهو جزء رابع من **"قضايا إيمانية"** ضمنها ثلاث قضايا تواجه كل البشر: **الحرية، والخطية والشر، والألم والمرض**، وتلتها قضايا ثلاث تأثرت بالأحداث التي واجهتها بلادنا منذ ثورة يناير ٢٠١١، واحتجنا أن نحدّث المقالات المتعلقة بها لتواكب الحاضر والمستقبل وبيان تأثيراتها علينا إيجاباً وسلباً. فالمسيحي ليس منعزلاً عما يجري حوله، بل هو، **كملح الأرض ونور العالم**، مطالَبٌ إنجيلياً بالتفاعل والتأثير في محيطه ليمجد إلهه (مت ٥: ١٦). وتندرج هنا المقالات عن **"الاضطهاد الذي لا ينتهي"** عندنا ومن حولنا، **"ونحن وثورة ٢٠١١"** و**"تجديد الخطاب الديني.. وجهة نظر مسيحية"**.

وفي الفصل الأخير قدمنا نموذجاً فريداً لفتاة في مقتبل العمر: **ريتشيل كوري**، التي تترك حياتها الوادعة في غرب العالم وتفقدها دفاعاً عن حرية الفلسطينيين الذين يحيون في غزة تحت الحصار، والذين لا تعرفهم ولكنها رأتهم إخوتها في الإنسانية، الذين يتساوون في الحقوق مع سائر البشر.

وأني أقدم هذا الجهد المتواضع سائلاً إلهي المحب أن يستخدمه لمجد اسمه وإنارة الأذهان بالحق الإلهي في الكتاب، والحث على تفتيش الكتب لأن لنا فيها حياة أبدية، **بصلوات أبينا صاحب القداسة البابا تواضروس الثاني**، وصلوات كل القديسين في السماء وعلى الأرض.

(مايو ٢٠١٩)

قضية الحرية

- عن الحرية قبل الناموس وبعده
- المسيح يعلم عن الحرية الحقيقية
- المسيح هو المحرر أيضاً
- عن السادة والعبيد في الكنيسة

عن الحرية قبل الناموس وبعده

قبل أن نتناول **"قضيـــة الحريـــة"** في المفهوم الكتابي، نَعْـــرض لهـــا مـــن الناحيتين النظريـــة والعملية كي تسهل المُقارنة. فالحرية، بدايةً، هي إحدى هِبَات الله العُظمى التي يتميَّز بها الإنسان عن الحيوان، والتي تتمثَّل، في المقام الأول، في حرية الإرادة وحرية الفعل والاختيار.

على أنَّ حريتنا، واقـــع الأمـــر، ليست مُطلقة: فنحن بالطبع لم نَختَر والدينـــا أو جيناتنا (صفاتنا الوراثية) أو جنسنا أو اسمنا أو مكان أو تاريخ ميلادنا. وحتى إنْ استطاع الفرد في وقتٍ ما أن يُغيِّر اسمه أو وطنه أو لقبه، فلن يفلت من نَسَبه وتركيبه الوراثي، كما أنَّ الموت هو النهاية المحتومـــة للجميع.

ونحن أيضاً لسنا وحدنا، فحدود حريتنا تقف عند حدود حرية الآخرين مِن حولنا. كما أنَّ هناك القوانين(١) والنُّظُم والأَعراف والتقاليد والعادات السائدة بل والتاريخ والجغرافيا، أي العصر الذي نعيشه والبيئة التي تُحيط بنا، بل وكل الكون من حولنا وتأثيراته علينا. والبعض يحدُّ من حريته المرض أو الجهل أو الفقر أو الإعاقات بأنواعها، أو الإدمان أو الشهوات والنوازع الذاتية. والشر والخطية هما ألدَّ أعداء حرية الإنسان، وبالانصياع لهما يفقد الإنسان حرية إرادته تماماً.

■ سادة وعبيد:

ومنذ بداية وجود الإنسان على الأرض، لم تكن الحرية مكفولة للكلِّ بسبب الفروق الاجتماعية. ففي المجتمعات القَبَلِيَّة الأولى، كانت الأولوية لِمَن يملكون الأرض، هؤلاء هم **السادة**؛ ومَن لا يملكون احتاجوا أن يعملوا عند أصحاب الأرض: عُمَّالاً زراعيين أو رعاة مقابل أَجْر، وهؤلاء هم **الأُجراء**. ثم نأتي إلى الطبقة الدُّنيا: أي **العبيد والخَدَم "المُبتاعين بالفضة"** (تك ١٧: ٢٣،٢٧)، الذين يملكهم السيِّد بعائلاتهم، وكل حقوقهم كانت الطعام والمأوى وليس أكثر. وإن أخطأ العبد، فالعقوبة صارمة وقد تُكلِّفه حياته، وخدمته لا فِكَاك منها إلاَّ بالموت.

---

(١) والحقيقة أنَّ الحرية "المطلقة" غير المنضبطة بالقوانين وتحمُّل المسئولية واحترام حرية الآخر، هي ليست في صالح الفرد، بل هي تُدمِّر صاحبها والآخرين، وسينتهي الأمر بفقدان الحرية كلِّيَّة، وسقوط الإنسان عبداً ذليلاً، وسقوط المجتمع كله في الفوضى.

■ ما قبل الناموس:

يُشير سِفْر التكوين إلى وجود **العبيد والإماء** (الجواري) كأمرٍ واقع في تلك الأيام. فنقرأ عن أنَّ نوحاً سَكِرَ وتعرَّى ورآه حام ابنه ولم يستره. فلعن نوح كنعان بن حام بقوله: **"عبد العبيد يكون لإخوته"** (تك ٩: ٢٥)، بمعنى أنه ونسله يكونون عبيداً لنسل سام ويافث.

ومكتوبٌ أنَّ فرعون مصر أهدى إبراهيم غنماً وبقراً **وعبيداً وإماءً** (ربما كانت **هاجر** جارية ساراي زوجة إبراهيم واحدة منهن(٢)). ونعرف أنَّ ساراي التي كانت عاقراً، طلبت من إبراهيم أن يدخل على جاريتها لكي تُرزَق منها نسلاً. فلما حبلت هاجر صغرت مولاتها في عينيها، فشكتها ساراي إلى زوجها الذي قال لها: **"... هُوَذَا جَارِيَتُكِ فِي يَدِكِ افْعَلِي بِهَا مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكِ"**. فالجارية لم تكن تملك من أَمرها شيئاً: هكذا أذلَّتها ساراي حتى اضطرتها للهرب من وجهها. فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البريَّة وقال لها: **"ارْجِعِي إِلَى مَوْلاَتِكِ وَاخْضَعِي تَحْتَ يَدَيْهَا"** (تك ١٦: ١-٩) (وذلك بحسب خطة الله ومواعيده للخلاص كما سيتضح فيما بعد(٣)).

على أننا نُلاحظ أيضاً أنَّ العبد المُخلِص بعد طول الخدمة الأمينة قد يُرقَّى إلى أن يكون مدير البيت والمسئول عن العبيد الآخرين، وقد يُكلَّف بمهمة توصيل رسالة من سيِّده إلى سيِّد آخر بما يُضفي عليه شيئاً من

---

(٢) فلكل زوجة جارية لخدمتها (تك ٣٢: ٢٢؛ ٣٣: ١،٢،٦)، أو مُرضعة لأطفالها (تك ٢٤: ٥٩) وتصير ضمن سراري السيِّد (كما كان الحال مع **إبراهيم** – تك ٢٥: ٦)، وأيضاً مع **يعقوب** الذي أنجب دان ونفتالي من بلهة جارية راحيل؛ وجاد وأشير من زلفة جارية ليئة (تك ٣٥: ٢٥،٢٦).

(٣) راجع: تك ٢١: ٩-١٣؛ غل ٤: ٢١-٣١.

الكرامة: فإبراهيم يقول عن عبده أليعازر الدمشقي: "**مالك بيتي**" (تك ١٥: ٢)، ويصفه الكتاب أنه "**كبير بيته المسئول عن كلِّ ما كان له**"، وهو الذي كلَّفه إبراهيم أن يأخذ زوجة لابنه إسحق (تك ٢٤: ٢،٤)، وكأنه واحدٌ من الأسرة وممثِّلها.

كما أنَّ **يوسف ابن يعقوب**، الذي اشتراه الاسماعيليون من إخوته بعشرين من الفضة ثم باعوه عبداً لفوطيفار رئيس شُرط فرعون؛ وَجَدَ نعمةً في عينَي فوطيفار وخَدَمه: "**فَوَكَّلَهُ عَلَى بَيْتِهِ وَدَفَعَ إِلَى يَدِهِ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ... وَلَمْ يَكُنْ (فوطيفار) مَعَهُ يَعْرِفُ شَيْئاً إِلاَّ الْخُبْزَ الَّذِي يَأْكُلُ**" (تك ٣٩: ٤،٦). وهكذا قال يوسف لامرأة فوطيفار ليُثنيها عن فِعْل الشرِّ الذي دَعَته إليه: "**هُوَذَا سَيِّدِي لاَ يَعْرِفُ مَعِي مَا فِي الْبَيْتِ، وَكُلُّ مَا لَهُ قَدْ دَفَعَهُ إِلَى يَدِي. لَيْسَ هُوَ فِي هذَا الْبَيْتِ أَعْظَمَ مِنِّي وَلَمْ يُمْسِكْ عَنِّي شَيْئاً غَيْرَكِ، لأَنَّكِ امْرَأَتُهُ**" (تك ٣٩: ٨،٩). حتى لَّما وُضِعَ يوسف في السجن: "**دَفَعَ رَئِيسُ بَيْتِ السِّجْنِ إِلَى يَدِ يُوسُفَ جَمِيعَ الأَسْرَى الَّذِينَ فِي بَيْتِ السِّجْنِ. وَكُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ هُنَاكَ كَانَ هُوَ الْعَامِلَ**" (تك ٣٩: ٢٢).

وبعد أن فسَّر يوسف حُلم فرعون وأرشده لِمَا يفعل حسب كلامه، قال له فرعون: "**أَنْتَ تَكُونُ عَلَى بَيْتِي، وَعَلَى فَمِكَ يُقَبِّلُ جَمِيعُ شَعْبِي... قَدْ جَعَلْتُكَ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ... وَخَلَعَ فِرْعَوْنُ خَاتَمَهُ مِنْ يَدِهِ وَجَعَلَهُ فِي يَدِ يُوسُفَ**" (تك ٤١: ٤٠-٤٢).

فالعبد الأَمين الحكيم صار نائباً للملك، ومسئولاً عن كل الأرض التي دخلها عبداً. فالأمانة والخدمة المُخلِصة، رغم كل شيء، كانت تُزيل الحواجز بين السادة والعبيد.

■ عهد الناموس وما بعده:

ضمن الوصايا الإلهية التي تسلَّمها موسى النبي عند لقائه بالربِّ على جبل حوريب، اختُصَّ عددٌ منها بمُعاملة العبيد كخطوة مُبكِّرة لضبط العلاقة بين السادة والعبيد إلى أن يحين الزمان وتتهيَّأ الظروف لتقارُب الطبقات وسيادة المساواة وتحرير العبيد.

ولكي يحثَّ الربُّ شعب إسرائيل على حُسْن مُعاملة عبيدهم، وأَلاَّ ينظروا إليهم كطبقةٍ أدنى، أَخَذَ يُذكِّرهم بما كانوا عليه هم أنفسهم أثناء وجودهم في مصر: **"اذْكُرْ أَنَّكَ كُنْتَ عَبْداً فِي أَرْضِ مِصْرَ، فَفَدَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ"** (تث ١٥: ١٥؛ ١٦: ١٢). كما طالبهم أن يعطوا العبد حريته في السنة السابعة لخدمته (خر ٢١: ٢)، وأوصى أَلاَّ يُطلَق العبد فارغاً: **"(بل) تُزَوِّدُهُ مِنْ غَنَمِكَ وَمِنْ بَيْدَرِكَ وَمِنْ مَعْصَرَتِكَ. كَمَا بَارَكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ تُعْطِيهِ"** (تث ١٥: ١٢-١٤) (كأنها مكافأة نهاية الخدمة في أيامنا). وشدَّد الرب على أن يلتزم السيِّد نحو الأَمَة (أي "العبدة") **"بطعامها وكسوتها ومُعاشرتها"**، وإلاَّ تخرج حُرَّة (خر ٢١: ١٠). وفي حال ما إذا أراد العبد (أو الأَمَة) البقاء، لأنه أحبَّ سيِّده وبيته، فيتم ثقب أُذُنه ويبقى **"عبداً مؤبَّداً"** (خر ٢١: ٥،٦؛ تث ١٥: ١٦-١٨).

وأَمَر الرب أن يُشارِك العبيد والإماء سادتهم فرح الأعياد مع الغريب واليتيم والأرملة (تث ١٦: ١١،١٤). ونَهَى الرب عن إلحاق الأذى بالعبد (أو الأَمَة) عند تأديبه(٤) (خر ٢١: ٢١)، ولكن إنْ مات

---

(٤) وفي الأمثال **"لا تشكُ عبداً إلى سيده"** (أم ٣٠: ١٠) لئلا يستثير ذلك غضب سيده عليه فيسيء إليه، وقد يغالي في تأديبه إرضاءً لصاحب الشكوى، فلا غفران لخطأ العبد.

فيُنتَقَم من قاتله. كما إذا أتلف السيِّد عين العبد أو الأَمَة، أو سِنَّ أحدهما، فيُطلقهما حُرَّيْن عِوَضاً (خر ٢١: ٢٠،٢٦،٢٧).

كان العبيد، إذاً، قطاعاً أساسياً من مجتمع العهد القديم، وكانت الفوارق الطبقية أمراً طبيعياً(٥). على أنَّ السادة الأتقياء في هذا المجتمع كانوا يُحسنون مُعاملة عبيدهم وإمائهم، كما لم ينسوا يوماً أنهم هم أيضاً جميعاً عبيد الله. وداود المُرتِّل يبتهل إلى الله قائلاً: **"إِلَيْكَ رَفَعْتُ عَيْنِيَّ يَا سَاكِناً فِي السَّمَوَاتِ. هُوَذَا كَمَا أَنَّ عُيُونَ الْعَبِيدِ نَحْوَ أَيْدِي سَادَتِهِمْ، كَمَا أَنَّ عَيْنَيِ الْجَارِيَةِ نَحْوَ يَدِ سَيِّدَتِهَا، هَكَذَا عُيُونُنَا نَحْوَ الرَّبِّ إِلهِنَا حَتَّى يَتَرَأَّفَ عَلَيْنَا"** (مز ١٢٣: ١،٢). وهكذا يذكر الكتاب الآباء إبراهيم ويعقوب (إسرائيل) وموسى وأيوب وداود ودانيال أنهم عبيد الله، كما هم أيضاً سائر الأنبياء والرسل وكل المؤمنين.

على أنه يتبقَّى التأكيد أن العهد القديم لم يحصر قضية الحرية في بُعدها الاجتماعي الذي يختبره الإنسان في حياته على الأرض. فالقصد الإلهي، عندما خَلَقَ الله الإنسانَ ووهبه حرية الاختيار؛ هو أن يحيا الإنسان مع الله إلى الأبد. فهكذا قال الرب بعد سقوط آدم: **"هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفاً الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضاً وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ"** (تك ٣: ٢٢). وهكذا كانت كلمات موسى الأخيرة لشعب إسرائيل في ختام السنة الأربعين لارتحالهم من مصر، واضعاً كُلاًّ منهم أمام اختيار حاسم: إما **الحياة** مع الله، وإما **الموت** بالبُعْد عن الله: **"انْظُرْ: قَدْ جَعَلْتُ الْيَوْمَ**

---

(٥) كان امتلاك العبيد في العهد القديم من علامات الغِنَى والتميُّز الاجتماعي، حتى أنَّ سليمان الحكيم كَتَبَ في أمثاله: «**الحقير** (سلوكاً) **وله عبدٌ، خير من المُتمجِّد** (حسن السِّيرة) **ويُعوزه الخبز**» (أم ١٢: ٩).

قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْخَيْرَ، وَالْمَوْتَ وَالشَّرَّ... الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ تَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ. إِذْ تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ وَتَسْمَعُ لِصَوْتِهِ وَتَلْتَصِقُ بِهِ، لأَنَّهُ هُوَ حَيَاتُكَ" (تث ١١: ٢٦-٢٨؛ ٣٠: ١٥-٢٠).

فالله خَلَق الإنسان حُرّاً مُريداً، لا لمجرد أن يختار ما يريد دون أن يخضع لإرادة آخر، وإنما قبل كل شيء أن يختار بإرادته الحُرَّة بين طاعة الله أو عصيانه، بين **الحياة** (الدائمة مع الله حتى بعد موت الجسد)، أو **الموت** (أي الانفصال الأبدي عن الله)؛ وبهذا تتحقَّق عدالة المُجازاة.

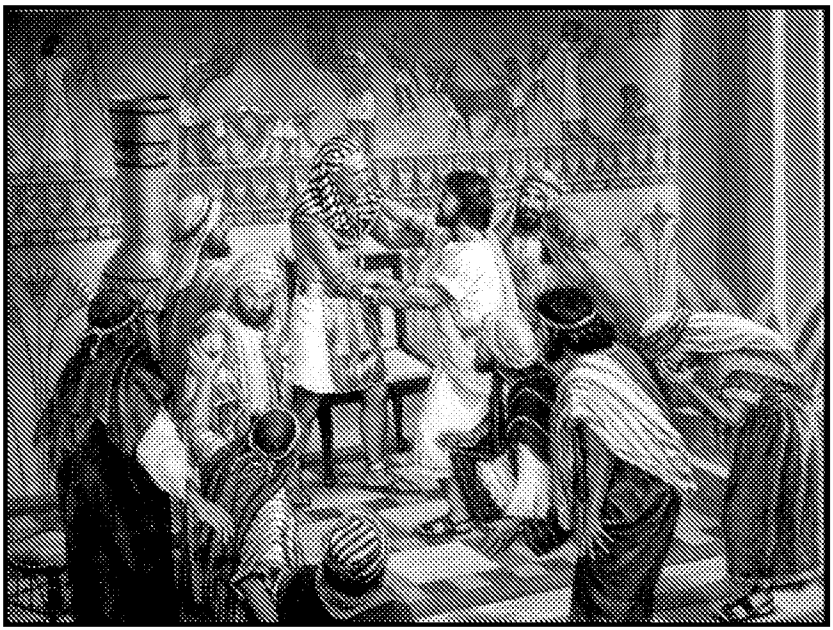

يوسف الذي باعه إخوته يلتقي بهم وهو يحكم أرض مصر

(انظر ص ١٥)

المسيح يعلم عن الحرية الحقيقية

كما كـــان الحال في القرون السابقة، ففي أيام تجسُّد الرب ظلَّ نظام **العبيد** مُكوِّناً أساسيّاً في الهيكل الاجتماعي. ويـــأتي ذِكْـــر العبيد كثيراً في الأحداث وأمثال المسيح: فنقرأ عـــن **عبد** قائد المائة (مت ٨: ٩؛ لو ٧: ٨) **وعبد** رئيس الكهنة (مت ٢٦: ٥١؛ لو ٢٢: ٥٠؛ يو ١٨: ١٠). واستخدم الرب العبيـــد في أمثاله. فصاحـــب العشاء يُرســـل **عبده** (أو **عبيده**) لدعـــوة ضيوفـــه (مت ٢٢: ٣؛ لـــو ١٤: ١٧). وصاحب الكَرْم يُرسل **عبداً** إلى الكـــرَّامين ليعطوه من ثمر الكَرْم (مت ٢١: ٣٤؛ مر ١٢: ٢؛ لو ٢٠: ١٠). وهناك مَثَل **العبد** الرديء (مت ١٨: ٢٣-٣٥)؛ **والعبد** الأمين الحكيم (مت ٢٤: ٤٥)؛ ومَثَل الوزنات (مت ٢٥: ١٤-٣٠) الذي ميَّز فيه بين **العبد** الصالح والأمـــين الذي تاجَـــرَ وربـــح، **والعبد** الشرير والكسلان (أو البطَّال) الذي دفن وزنته في الأرض؛ وفي مَثَل الابن الضال يأمر الأب **عبيده** أن يُلبسوا ابنه الحُلَّة الأولى (لو ١٥: ٢٢).

والرب أظهر الجانب المُضيء في خدمة **العبد** الـذي يُعطـي كـثيراً ويأخـذ قليلاً، والذي يتوارَى ليُظهِر سيِّده. وهكـذا ارتضى الـرب أن يأخـذ صورة العبد (في ٢: ٧)(١) ليُعطي كرامة للعبيد وللطبقات الدُّنيا في كلِّ الأرض، عندما وُلِدَ من أُمٍّ فقيرة في مذود للبـهائم. وفي حياتـه لم يكن يحمل مالاً (مت ١٧: ٢٤-٢٧)، وليس له **"أيـن يُسـند رأسـه"** (مت ٨: ٢٠؛ لو ٩: ٥٨). بل إنه ليلة صَلْبه قام عن العشاء وانحنى كالعبد يغسل أرجل تلاميذه ويمسحهما بالمنشفة التي كان متَّزراً بها، مُقدِّماً نفسـه قدوة لتلاميذه كي يعملوا مثله (يـو ١٣: ٤-١٤). وهو قال لتلاميـذه: **"مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيماً فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِماً، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلاً فَلْـيَكُنْ لَكُـمْ (للجميـع) عَبْـداً"** (مـت ٢٠: ٢٦،٢٧؛ مر ١٠: ٤٣،٤٤).

فالربُّ مجَّد الخدمة وعَلَّى مِن قَدْرها، وكان هو النموذج والمثال: **"لَـمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ"** (مت ٢٠: ٢٨؛ مر ١٠: ٤٥)، وبيَّن أنَّ الاتضاع أَسمى الفضائل وقال لنا أن **"تَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ"** (مت ١١: ٢٩).

o o o

وبمجيء المسيح أَخَـذَت قضية الحريـة وجهها الأصيل، فعرفنا عن ما هي العبودية الأشد وطأة، وما هي الحرية الحقيقية، ومَن هو المُحرِّر الوحيد الذي ليس بأحدٍ غيره الخلاص.

---

(١) وفي نبوَّات الأنبياء فهو العبد الذي يتعالى ويرتقي ويتسامى جداً الذي يُخرِج الحق للأُمم (إش ٤٢: ١-٤؛ ٤٣: ١٠؛ ٤٩: ٣،٢٦؛ ٥٢: ١٣؛ ٥٣: ١١؛ زك ٣: ٨).

■ عن الحرية الحقيقية:

يذكر الكتاب أنَّ الرب لَّما بدأ خدمته، دخل مجمع الناصرة، وقام ليقرأ فدُفِعَ إليه سفر إشعياء النبي، ولَّما فَتَحه كان ما جاء فيه عن إرساليته لتحرير الإنسان: "**رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنكَسِرِي الْقُلُوب، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ، وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ**". ولَّما جلس ابتدأ يقول للمجتمعين: "**إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ**" (لو ٤: ١٦-١٩).

إذاً، فقد آن الأوان لكي يذوق الإنسان الحرية الحقيقية ويعرف عدوَّه الذي يستعبده ولا يراه. فتعليم العهد الجديد أضاء أنوار الحق والحقيقة أمام الإنسان كي يُدرك أن العبودية الاجتماعية لم تكن هي ما يُهدِّد حريته، خاصةً مع توفُّر حقوق الحياة للعبد وحمايته، وإنما كانت العبودية لإبليس ورُعب الموت الذي يسود على الجميع هما الأشد وطأة، ليس فقط على حرية الإنسان على الأرض بل ومصيره الأبدي. وهذا ما يقوله الوحي: "**فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ - خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ - كَانُوا جَمِيعاً كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ**" (عب ٢: ١٤،١٥).

فحلُّ مشكلة الحرية الاجتماعية وزوال نظام السادة والعبيد، كان مسألة وقت. ولم يكن العار أن يكون الإنسان عبداً، فهو إنْ لم يتحرَّر من سيِّده خلال حياته، فإنه كان سيتحرر منه بالموت. أمَّا الخضوع لإبليس، فكان

مآله الخروج تماماً من دائرة الله والحياة الأبدية ليسود الموت على السادة والعبيد معاً.

على أنَّ اليهود غاب عنهم هذا المعنى الحقيقي للحرية، حتى أنهم استنكروا قول الرب لهم، وهو يُعلِّم في الهيكل: **"وتعرفون الحق والحق يُحرِّركم"** (يو ٨: ٣٢). فهُم كانوا يَرَوْنَ أنفسهم أحراراً باعتبارهم ذرِّيَّة إبراهيم، وأنهم لم يكونوا يوماً عبيداً لأحد (يو ٨: ٣٣). هنا أفصح الرب عن العبودية الأخطر التي لم يفطنوا إليها، مُنبِّهاً: **"مَن يفعل الخطية فهو عبدٌ للخطية"** (يو ٨: ٣٤). بل إنه قال لهم: **"أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ"** (يو ٨: ٤٤). كان إبليس هو سيِّدهم الحقيقي الذي يملكهم ويستعبدهم ويُثير شهواتهم ويُزيِّف عبادتهم ويُبعدهم عن جادة الحقِّ.

ربما ما كان يَرَوْنَه ينتقص من حريتهم هو الاحتلال الروماني(٢) الذي كانوا يتوقون إلى التخلُّص منه. ولعل بُسطاء الشعب، في مرحلةٍ ما، رأوا في المسيح زعيماً يُحررهم من المُستَعمِر، فكان استقبالهم الحافل للرب، عند دخوله الأخير إلى أورشليم، مِمَّا يكشف عن آمالهم فيه أن يُعيد أمجاد مملكة إسرائيل، فهتفوا له قائلين: **"أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ! مُبَارَكٌ (الملك) الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!... مُبَارَكَةٌ مَمْلَكَةُ أَبِينَا دَاوُدَ الآتِيَةُ بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي"** (مت ٢١: ٩؛ مر ١١: ٩، ١٠؛ لو ١٩: ٣٨).

---

(٢) ولكن الرؤساء كانوا بالطبع راضين عن الرومان، يتعاونون معهم ويتملقونهم حباً لذواتهم وحفاظاً على مواقعهم، فهيرودس كان يحكم باسم الرومان، ورؤساء الكهنة الذين كشف الرب رياءهم وانحرافهم رفضوا المسيح، وقالوا نفاقاً، يوم محاكمته، **"ليس لنا ملك إلا قيصر"** (يو١٩: ١٥).

والرب، من جانبه، حَزِنَ جداً لأنهم غفلوا عن الهلاك الأبدي الذي يتهدَّدهم، وانحصروا في همومهم اليومية، بغير أن يُدركوا أنهم مُستعبَدون للخطية قبل وبعد أن يستعبدهم الرومان، حتى أنه بكى على أورشليم عاصمة مملكتهم التي وضعوا فيها كل آمالهم، لأنها ستنهدم يوماً قريباً، ولن يبقى فيها حجر على حجرٍ لا يُنقَض (لو ١٩: ٤١-٤٤).

■ وَهْم الحرية:

كَشَف الرب في تعليمه عن أنه بغير الإيمان به مُحرِّراً من الخطية، فإنَّ الإنسان يظلُّ عبداً لآلهة شتَّى دون أن يدري، بينما هو يحسب نفسه حُرّاً طالما أنه ليس عبداً أو خادماً فعلاً:

(١) عبادة الذات:

أي الإعجاب بالذات والدوران حولها، وحُب الظهور والسعي الدائم للمكان الأول، والاستغناء عن الله اتِّكالاً على الذات والجسد (رؤ ٣: ١٧)، والانحياز الأعمى للغرائز والشهوات بأنواعها (١يو ٢: ١٦). ومِن محبة الذات أو الأنانية تتوالَى حلقات الخطايا تُمسِك ببعضها بعضاً: الكبرياء والتعالي على الآخرين، وقسوة القلب، وسرعة الغضب، وأخطاء الكلام، ولكن في الأعماق يسكن أيضاً الخوف وغياب اليقين والتوجُّس من الغد. وقد لا يخلو الأمر من غطاء من التديُّن المظهري يُضفي شعوراً بالبرِّ الذاتي، مع بقاء الكراهية والتعصُّب، وغيره مما تفرزه هذه الحياة المزدوجة. فالذات تقف سيِّداً مُناوئاً لله ونقيضاً للإيمان، وكما يقول الكتاب: **"لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ للهِ... فَالَّذِينَ هُمْ فِي الْجَسَدِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُرْضُوا اللهَ"** (رو ٨: ٧،٨).

مِن هنا جعل الرب إنكار الذات شرطاً أوَّليّاً لَمن يُريد أن يتبعه بقولـــه: **"إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي، فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِـــنْ أَجْلِي يَجِدُهَا (يُخلِّصها)"** (مت ١٦: ٢٤،٢٥؛ مـــر ٨: ٣٤،٣٥؛ لـــو ٩: ٢٣،٢٤).

وإنكار الذات يعني انحياز الإرادة لله ووصايـــاه، وهكذا تنجو النفس مـــن الهلاك: **"إِنْ عِشْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَسَتَمُوتُونَ. وَلكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِـــالرُّوحِ تُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسَتَحْيَوْنَ"** (رو ٨: ١٣).

والله حذَّر مؤمنيه أن يعتدُّوا ببرِّهم وينسبوه إلى أنفسهم: **"أَنْتُمْ أَيْضاً، مَتَى فَعَلْتُمْ كُـــلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ. لأَنَّنَا إِنَّما عَمِلْنَا مَـــا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا"** (لو ١٧: ١٠). فالله هو مصدر كل برٍّ فينا: **"لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُـــهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَـــدَّهَا لِكَـــيْ نَسْلُكَ فِيهَا"** (أف ٢: ١٠)، والله هو العامل فينا أن نُريد وأن نعمل من أجل مسرَّته (في ٢: ١٣)، وهو الذي يُلهمنا أن نُفكِّر في كلِّ ما هو حق، وجليل، وعادل، وطاهـــر، ومُسر، وصِيته حسن (في ٤: ٨)، **"لأَنْ لَسْـــتُمْ أَنْتُـــمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَـــلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّـــذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ"** (مت ١٠: ٢٠).

(٢) عبادة الناس:

أي الانشغال بـــالناس ورضاهـــم، والانسياق وراءهم والانـــدماج في أجوائهم، والميل إلى السائد في مجتمعات العالم، والالتصاق بالأقوياء وتملُّقهم والانحياز لهم مهما كـــانت مجافاتهم للحقِّ. وفي أمـــور العبـــادة هـــم حاضرون في حواسنا وفكرنـــا كـــأنما نحـــن نُصلِّي لهـــم: نـــترجَّى مديحهم ونتوق أن نُعرَف بينهم أننا أتقياء صالحون، بينما نحـــن لا نشـــعر بحضور الله أو أنه يتعامل معنا.

هكذا كانت كلمات الرب للجموع في موعظته على الجبل عن تقديم العبادة لا للناس بل لله أبينا الذي يرى في الخفاء، والذي سيُجازي في اليوم الأخير. فلا تكون الصلاة في زوايا الشوارع، أو تُعلَن الأصوام والصدقات، فهذا سلوك المُرائين الساعين إلى مجد الناس. والربُّ أوصى تابعيه أنْ **"تَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ** (وهيرودس)... **الذي هو الرياء"** (مت ١٦: ٦؛ مر ٨: ١٥؛ لو ١٢: ١)، ودان الكَتَبَة والفرِّيسيين وشبَّههم بالقبور المُبيَّضة، فهُم يَظهَرون للناس أبراراً، ولكنهم من داخل مشحونون رياءً وإثماً (مت ٢٣: ٢٧،٢٨).

والقديس بولس يُحذِّرنا: **"قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ** (بدم المسيح)، **فَلاَ تَصِيرُوا عَبِيداً لِلنَّاسِ"** (١كو ٧: ٢٣)، ويقول عن نفسه: **"فَلَوْ كُنْتُ بَعْدُ أُرْضِي النَّاسَ، لَمْ أَكُنْ عَبْداً لِلْمَسِيحِ"** (غل ١: ١٠).

نحن، بحسب الإنجيل، نرى في كلِّ الناس من حولنا إخوتنا وأقاربنا الذين تأمرنا الوصية بمحبتهم وخدمتهم. ونحن بحسب طاقتنا نسعى جاهدين لتكون لنا علاقات طيِّبة مع الجميع بغير تمييز (رو ١٢: ١٨). على أنَّ هذا لا يمكن أن يكون على حساب الحقِّ والوصية، ولا طمعاً في كسب، فاتِّكالنا هو على الرب لا على الإنسان مهما علا قَدْره. ليس هدفاً، إذاً، أن نُرضي جميع الناس مهما كانت الخسائر، والقانون الذي يحكمنا هنا هو: **"ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس"** (أع ٥: ٢٩). وعمليّاً نحن مهما اجتهدنا فنحن لن نستطيع أن نُرضي كل الناس كل الوقت، فالمبادئ تختلف. والرب يُحذِّرنا: **"ويلٌ لكم إنْ قال فيكم جميع الناس حسناً"** (لو ٦: ٢٦).

ونحن عندما نقف أمام الله للعبادة، فكلنا نلتمس مسرَّة الله وليس رضى بعضنا بعضاً: **"كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْداً بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ؟"** (يو ٥: ٤٤).

وإذا كنَّا مُطالَبين كمؤمنين أنْ نُقدِّم في تصرفاتنا وسلوكنا صورة الله، فهذا ليس سعياً وراء رضا الناس أو لتمجيد أنفسنا، وإنما طاعةً وحُبّاً لله ولمجد اسمه: **"فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ"** (مت ٥: ١٦).

(٣) عبادة العالم والمال:

ويُقصَد **بالعالم** هنا الأرض التي نعيش عليها وعناصرها المادية، كما يعني أيضاً تيار الشر والخطية السائد، والمجال الذي يعمل فيه الشيطان **"رئيس هذا العالم"** (يو ١٢: ٣١؛ ١٤: ٣٠؛ ١٦: ١١)، والموضوع كله في الشرير (١يو ٥: ١٩). **والمال** لا يعني فقط النقود والفضة والذهب، ولكن أيضاً كل ما للإنسان من ممتلكات بأنواعها.

وفي تجربة إبليس للربِّ على الجبل **"أَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: "أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي"** (وهو ما يُجرِّب به الإنسان طول الزمان). وكان ردُّ المسيح: **"لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ"** (تث ١٨: ٢،٣؛ مت ٤: ٨-١٠؛ لو ٤: ٦-٨). فالربُّ حذَّر الإنسان من خديعة إبليس كي يتحوَّل من عبادة الله إلى عبادة العالم، الذي غلبه (لو ١٦: ٢٣)، والذي وهبنا أن نغلبه نحن أيضاً (١يو ٥: ٤). وهكذا يقول الكتاب: **"أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ لله. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ، فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا لله"** (يع ٤: ٤). والربُّ بيَّن أن نفس الإنسان أغلى بما لا

يُقاس من العالم وكل الممتلكات، وأنه **"مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟"** (مت ١٦: ٢٦؛ مر ٨: ٣٦؛ لو ٩: ٢٥).

والربُّ ذَكَرَ المال كإله معبود مضاد لله عندما قال: **"لا تقدرون أن تخدموا الله والمال"** (مت ٦: ٢٤؛ لو ١٦: ١٣). كما أنَّ الكتاب يجعل الطمع مُكافئاً لعبادة الأوثان (أف ٥: ٥؛ كو ٣: ٥)، فيستحيل على مَن يحب المال أن يحب الله. كما أنَّ مَن يحب المال لا يعرف الاكتفاء أو الشبع، فهو يظلُّ يلهث وراءه بلا نهاية، ومن أجله يُبرِّر الطمع والسرقة والتزوير، بل وبيع الجسد وكل وسيلة تُراكِم أرصدته. والرسول بولس يُبيِّن كيف تقود محبة المال الإنسان إلى سلسلة من الخطايا نهايتها الهلاك **"أما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرّة تغرق الناس في العطب والهلاك، لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة"** وسبق ذلك إلى القول **"أننا لم ندخل العالم بشيء وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء. فإن كان لنا قوت وكسوة فلنتكف بهما"** (١تي ٦: ٧-١٠).

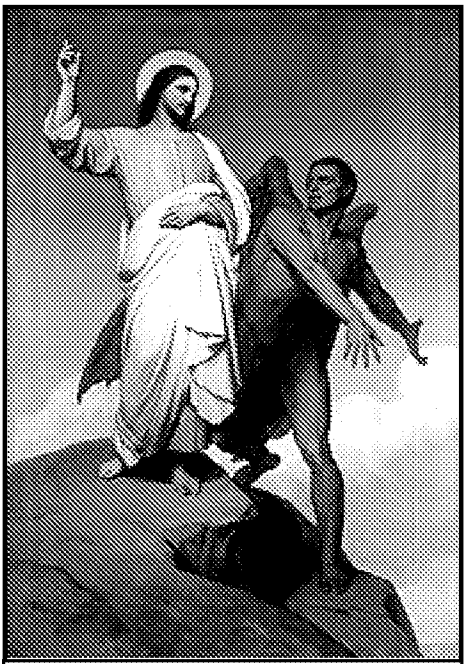
"لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ"

(٤) عبادة الطقس والشكل:

أي عندما تفقد العبادة روحها وتصير نشاطاً جسدياً، تتحوَّل فيه العبادة إلى مجرَّد تتميم فرائض آلية لا تُدرِك الله. هكذا تُختَزَل الصلوات في ترديد الكلمات المحفوظة والألحان من الشفاه لا بالقلب وبغير متابعة ذهنية روحية، كما وصف الله شعب إسرائيل قديماً: **"يقترب إليَّ هذا الشعب ويكرمني بشفتيه، أمَّا قلبه فمبتعدٌ عني بعيداً"** (إش ٢٩: ١٣؛ مت ١٥: ٨؛ مر ٧: ٦). كما يتحوَّل الصوم من ممارسة روحية فعَّالة تُصاحبها التوبة والنُّسك وضَبْط النفس والحواس إلى فعلٍ جسدي مُتعلِّق بالطعام لا يمكن أن يفيد شيئاً. وحتى الصدقة لا تصير انعكاساً لإيمانٍ حقيقي بشخص الرب، وإنما هي تظاهُرات تقصد إرضاء النفس واكتساب المديح فضلاً عن إتمامها بالشُّحِّ والتقتير. هكذا تستحيل جوانب العبادة إلى مُمارسات شكلية من قلوب تُثقِّلها الخطية ولا تشعر بحاجتها إلى التوبة ويضيق بها الله ويدين أصحابها: **"لستُ أطيق الإثم والاعتكاف"** (إش ١: ١٣).

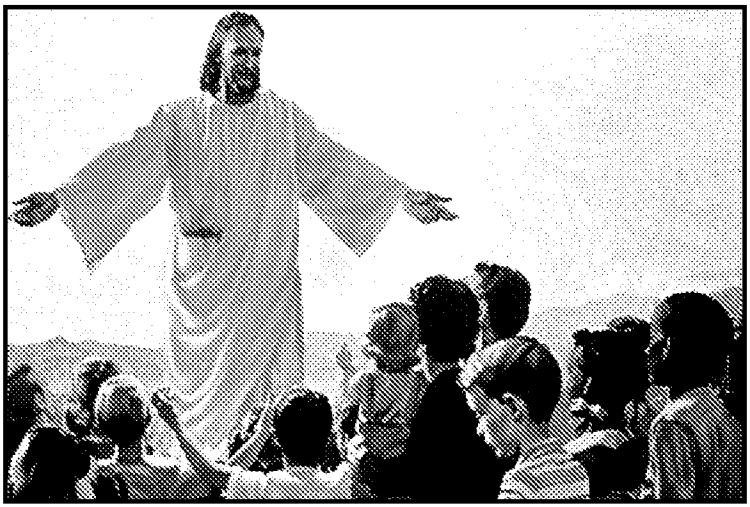

المسيح هو المحرر أيضاً

الإنسان عاجزٌ وحـــده عـــن التحرُّر من أَسْر إبليس، أو الهرب من الفساد والشهوة. بعيداً عن الله، هو عبدٌ ذليل أمام الخطية، وحتى لو أراد الفِكَاك مـــن قيودهـــا، فهـــو بنفســـه لا يستطيع: "**الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَـــدُوا مَعاً. لَيْسَ مَـــنْ يَعْمَلُ صَلاَحاً لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ**" (مز ١٤: ١،٣؛ رو ٣: ١٢).

+ المسيح جاء لخلاص الإنسان وتحريره من عبوديـــة إبليس والمـــوت (عب ٢: ١٠)، بتجسُّده كإنسانٍ "**مُجرَّب في كلِّ شيء مثلنا**" ولكن بغير خطيتنا (عب ٤: ١٥)، "**قـــدوس بـــلا شرٍّ ولا دنس**" (عب ٧: ٢٦)، "**وأطـــاع حتى المـــوت، موت الصليب**" (في ٢: ٨)، "**لكي لا يهلـــك كـــل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية**" (يو ٣: ١٦). وهكـــذا أعلن الرب لنا: "**إن حـــرَّركم الابـــن فبالحقيقـــة تكونـــون أحـــراراً**" (يو ٨: ٣٢).

+ بموت المسيح وقيامته تَمَّ الخلاص؛ وبالإيمان به، تحرَّرنا. لم نَعُد بعد عبيداً بل صرنا أولاد الله (رو ٨: ١٦؛ غل ٤: ٧)، وهو بشَّرنا بموقفنا الجديد عنه: **"لاَ أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ عَبِيداً، لأَنَّ الْعَبْدَ لاَ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ، لكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لأَنِّي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي"** (يو ١٥: ١٥). نعم، كُنَّا عبيداً للخطية وأحراراً من البرِّ، وإذ أعتقنا المسيح من الخطية، صرنا عبيداً للبرِّ والقداسة (رو ٦: ١٧،١٨)، وأَخَذْنا **"رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: "يَا أَبَا الآبُ"** (رو ٨: ١٥).

+ **الخلاص** هو النجاة من الأَسْر والضيقة، وهو التحرُّر من القيود والعبودية والمذلَّة والهموم، من عبادة الذات والجسد، من عبادة الناس، من عبادة العالم والمال والأشياء الميتة، ومن العبادة الشكلية بالشفاه والجسد والحرف، وليس بالروح ومن القلب.

+ بالنعمة نولَد من فوق (يو ٣: ٣،٧)، **وبالمعمودية** نُصلَب ونموت ونقوم مع المسيح في حياةٍ جديدة: **"أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ؟ فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضاً فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ؟... عَالِمِينَ هذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ، كَيْ لاَ نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضاً لِلْخَطِيَّةِ"** (رو ٦: ٣،٤،٦)، **"مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ"** (كو٢: ١٢)، **"مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ"** (١بط ١: ٢٣).

+ من الطبيعي في البالغين أن يسبق **الإيمان** المعمودية بحسب القول الإلهي: **"مَن آمن واعتمد خَلَصَ"** (مر ١٦: ١٦)، بمعنى قبول المسيح مُخلِّصاً، ومِن ثمَّ يبدأ المؤمن حياته الجديدة من فوق بالروح القدس في المعمودية، مُتحرِّراً من حياة الخطية. ولكن الأطفال والصغار يعتمدون أولاً فينالوا الولادة الجديدة؛ على أنه يصير مُحتَّماً، عند بلوغهم، إعلان إيمانهم وانتمائهم للمُخلِّص لتفعيل خلاصهم، وإن كان الإيمان هو أيضاً عطية الله: **"لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْ لاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ"** (أف ٢: ٨،٩).

+ في الروح القدس تنضبط النفس: إرادةً ونوازع، وبإيماننا نغلب العالم (١يو ٥: ٤) الذي يقف الصليب بيننا وبينه عازلاً ومانعاً (غل ٦: ١٤)، كما غَلَبه الرب لنا (يو ١٦: ٢٣)، ودان إبليس رئيسه (يو ١٤: ٣٠؛ ١٦: ١١)، فلا تلقى رسائله صدًى في قلوبنا، وإذ تُقاوم إبليس، راسخين في الإيمان بغير تراجع، يهرب منَّا (يع ٤: ٧؛ ١بط ٥: ٩)، والوصية لا تعود ثقيلة (١يو ٥: ٣)، لأن الله يصير هو العامل فينا أن نريد وأن نعمل (في ٢: ١٣)، وبدونه لن نقدر أن نفعل شيئاً (يو ١٥: ٤).

■ سمات الحرية المسيحية:

للسالكين في **"حرية مجد أولاد الله"** (رو ٨: ٢١) سماتهم. فالذين حرَّرهم المسيح تغيَّرت حياتهم حقيقةً عمَّا كانوا عليه أيام العبودية، وإلاَّ كانت هذه الحرية وهماً، فإنَّ **"أولاد الله ظاهرون"** (١يو ٣: ١٠).

+ لقد تراجعت الذات، ولم يَعُد الاتِّكال عليها بل على الله الذي صار سيِّد الحياة وقائدها، وفيه تُحتَمَل الآلام، وتعبُر التجارب التي يُثيرها عدو الخير. تحرَّر

المؤمنون من التوجُّس من جهة الغد والمصير، فأبديتهم محفوظة في يدَي المُخلِّص الذي آمنوا به وسلَّموه حياتهم، وتحوَّلت أهداف الحياة عن أمور الجسد والعالم (غِنَى، رفاهية، مجد، قوَّة، مكاناً أول)، ولم تَعُد لهم هنا مدينة باقية بل ناظرين إلى ما لا يُرَى، حيث الملكوت الأبدي ورِفقة المسيح في المجد.

+ و"**الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ**" (غل ٥: ٢٤). لقد تغيَّر إنسانهم الباطن، فصاروا يترعون إلى الخير ويأبون الشر تلقائياً بالروح الساكن فيهم. صاروا أقوياء وكلمة الله ثابتة فيهم (١يو ٢: ١٤)، وقادرين بالنعمة على الجهاد لضبط النفس وقَمْع الجسد (١كو ٩: ٢٥،٢٧). صار ردُّ فعلهم المبدئي على دعوة إبليس: شهوةً أو اختلاساً لمال أو خيانةً أو غشّاً أو انحيازاً، هو الرفض القاطع بغير مساومة أو تحايُل، حتى لو لم يَرَهم أو يسمعهم أحدٌ، وليس خوفاً من الفضيحة أو السقوط في عيون الآخرين أو الوقوع في يد القانون، وإنما محبة لله وطاعة للوصية. وإن ضعفوا يوماً وخضعوا للعدو فسرعان ما يفيقون من سقوطهم ويهرعون إلى المُخلِّص بالتوبة. فالقداسة صارت طبيعتهم، وصمودهم أمام الإغراء هو الجديد الذي صار لهم عندما تحرَّروا بالمسيح.

+ بالنعمة خرج المؤمنون من ذواتهم إلى الله والقريب: محبةً واتضاعاً وخدمةً وعطاءً وصبراً واحتمالاً وتسامُحاً وغُفراناً وتحنُّناً على الضعفاء، تمثُّلاً بسيِّدهم (مت ١١: ٢٩)، وتجرُّداً من الانغلاق والتعصُّب والطائفية. صار الحب سهلاً والخدمة طوعية يُصاحبها الفرح الذي يُلاشي التعب، يُساندهم وجه المسيح وكلمة الإنجيل: "**فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً بِهِمْ**" (مت ٧: ١٢؛ لو ٦: ٣١)؛

"وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ، مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي الْكَرَامَةِ" (رو ١٢: ١٠)؛

"اِحْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ، وَهكَذَا تَمِّمُوا نَامُوسَ الْمَسِيحِ" (غل ٦: ٢)؛

"لاَ يَطْلُبْ أَحَدٌ مَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مَا هُوَ لِلآخَرِ" (١كو ١٠: ٢٤؛ في ٢: ٤).

قبل اهتدائه، كان **الرسول بولس** مُتشدِّداً قاسي القلب. كان يسوق المؤمنين من بيوتهم إلى السجون، وكان راضياً بقتل **استفانوس** (أع ٧: ٥٨؛ ٨: ١). ولكنه لما عرف المسيح وتحرَّر من قيود التعصُّب، حَسِبَ كل ما كان له ربحاً خسارة ونفاية (في ٣: ٧،٨)، ولم تَعُد نفسه ثمينة عنده. وصار هدف حياته أن يُتمِّم سعيه ويشهد ببشارة نعمة الله (أع ٢٠: ٢٤). وفي النهاية قدَّم حياته رخيصة حُبّاً لمَن مات من أجله. ومثله كل شهيد لم يَضِنَّ بحياته من أجل الإيمان بالمسيح.

+ بعد الاستهتار والاستباحة اللتين كان يتَّسم بهما السلوك قبل تسليم الحياة للمسيح، صار السائد بعد الإيمان والتحرُّر هو **التدقيق** في كلِّ نشاط روحي أو جسدي، مع الحرص والتروِّي والسهر **"لا كجهلاء بل كحكماء"** (أف ٥: ١٥)، بمعنى أنَّ التدقيق لن ينحصر في القشور والشكليات كما كان الذين يُعشِّرون النعنع والسذَّاب والكمون ويتركون **"أَثْقَلَ النَّامُوسَ: الْحَقَّ وَالرَّحْمَةَ وَالإِيمَانَ"** (مت ٢٣: ٢٣؛ لو ١١: ٤٢)؛ كما لن يكون التدقيق مَرَضياً يحفل بالوسوسة والشعور الدائم بالذنب. التدقيق علامة الجدِّية والالتزام وضبط النفس، وهو ربما تطلَّب بعض الجهد في البداية، ولكنه يصير مع الوقت طابع السلوك والحواس.

+ في حياة الجسد، يكون إرضاء الناس غايـــة. هكـــذا يغلب على النفس الريـــاء والتملُّق والنفعية والكذب والتغرُّب عن الحقِّ. في حرية المسيح، ومـــع تغيُّر موازيـــن القوة، يمتلئ المؤمن بالثقة في إلهه ويتعالى موقع الحق ليصير هـــو الفيصل في التعامُل مع الناس دون خوف المواجهة: **"وتعرفون الحـــق والحـــق يُحرِّركم"** (يو ٨: ٣٢): فلا مُحاباة (١تي ٥: ٢١؛ يـــع ٢: ١)، أو تنـــازُل عـــن المبادئ كي يحوز المؤمن قبول الناس: **"أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبرِّ وَالإِثْـــمِ؟ وَأَيَّـــةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟... اخْرُجُوا مِـــنْ وَسْطِهِمْ وَاعْتَزِلُـــوا، يَقُـــولُ الرَّبُّ"** (٢كـــو ٦: ١٤،١٧). والمؤمن، مع الحقِّ، يكتسب قوَّة، ولـــن يترلق إلى الكذب لأنه ضعفٌ يهين النفس المؤمنة: **"لاَ تَكْذِبُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، إِذْ خَلَعْتُمُ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَلَبِسْتُمُ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ"** (كو ٣: ٩،١٠).

+ أهل العالم يحبون العالم ويُكدِّسون المال بغير شبع، ويَـــرَوْنَ فيه ســـيِّدهم وقوَّتهم. الذيـــن يقبلون المسيح تتغيَّر نظرتهم، فـــالعالم الحاضر ســـيَفْنَى يومـــاً، و**"لَيْسَ لَنَا هُنَا مَدِينَةٌ بَاقِيَـــةٌ، لكِنَّنَـــا نَطْلُبُ الْعَتِيدَةَ"** (عب ١٣: ١٤). والعالم بالنسبة لهم هو مجال محبتهم وخدمتهم كما أحبه الله وبَـــذَل ابنه الوحيد لإنقـــاذ مَن يؤمن به من الهلاك الأبدي (يو٣: ١٦)، والمال خادمٌ لهم يملكونـــه ولـــيس سيِّداً يملكهم، وهـــو ليس للاقتناء والطمع لتأمين الحياة. فكفايتهم هي **"مـــن الله"** (٢كو ٣: ٥)، وهم مكتفـــون بما عندهم (في ٤: ١١؛ عـــب ١٣: ٥)، ويعطون بسخاء (رو ١٢: ٨)، وبسرور (٢كو ٩: ٧).

هكذا يصير المال أداة للخير والبناء والعطاء. عندمـــا سلَّم زكَّـــا العشَّـــار حياتـــه للمسيح تصاغرت قيمة المال في عينيه، وفي لحظةٍ واحـــدة أعطى نصف أمواله للمساكين وعـــوَّض كـــل مَـــن ظلمهم أربعـــة أضعاف (لو ١٩: ٨). هـــذا إشارة ساطعة على التحرُّر من سطوة المال.

+ في المسيح يسوع، تتحـــرَّر **العبادة** مـــن اعتيادها وشكليتها كنشاطٍ جسدي خارجي ليقتادها الروح وتَصدر من القلب. في لقاء المسيح مـــع السامرية، بَـــدَا أنَّ ما كان يشغل بالها هو مكان السجود: جبل السامرة أم هيكل أورشليم! فقال لها الرب: **"اللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا"** (يو ٤: ٢٤).

عندما تتحرر النفس من ماضيها الخاطئ، تـــتغير طبيعـــة الصـــلوات والأصوام والصدقات فتخلو من الآلية والسطحية وأعمال الجسد وتكتسب الصدق والعمق الروحي، وتتحول من فرائض إلزامية إلى أعمال تضـــرمها محبة الله ومجالات للتمتع بفيض النعمة، وينتقل مركزها من اللسان والشفاه واليدين إلى **"الإنسان البـــاطن"** (رو٧: ٢٢، أف ٣: ١٦) في القلـــب، **"بجدة الروح لا بعتق الحرف"** (رو٧: ٦). وبعد الشعور القديم بالرضـــى عن النفس، يسود الإحساس بالاتضاع والامتلاء بالتعزية بالاقتراب إلى الله وثبوته فينا وإتاحته لنا خدمته في شخص إخوته الأصاغر (مت٢٥: ٤٠).

■ لكي نثبت في الحرية:

يُحـــذِّر الكتاب المؤمنين الذين ذاقوا الحرية في المسيح أن يثبتوا فيهـــا وألاَّ يرتبكوا ثانيةً بنير العبودية (غل ٥: ١)، ذلك أنَّ إبليس عدونـــا لـــن يهـــدأ كي يستعيد الذيـــن انفلتوا مـــن قيـــوده (١بط ٥: ٨). والأخطار التي تتهدَّد المؤمنين، والتي يُثيرها عـــدو الخير، كثيرة ولا تتوقَّف: كأن يتخلَّـــى المـــؤمن عـــن أسلحة قوَّتـــه (أف ٦: ١١) وتُجهده المقاومة، أو تُهاجمـــه أفكـــار الماضي ســـاعة ضعفه، أو تتستَّر الشهوة الخادعة لتستولي عليه من جديـــد، أو بعد أن ذاق الحياة الجديدة يتحوَّل إلى العبادة الآليَّة والحرفية وازدواج الحياة، أو

يُداخِله الخوف أمام الاضطهاد، أو يرتد إلى ذاته ويُجاهد بالجسد فيضطرب أمام التجارب. ولا ننسى كيف أنَّ بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر بذراعٍ رفيعة، عادوا يترحَّمون على أيام العبودية حيث قدور اللحم (خر ١٦: ٣)!

وفي هذا السياق نذكر كيف أن الرب دان الفريسيين الذين انشغلوا بالقشور عن أساسيات الإيمان، كما أن **الرسول بولس** وبخ المؤمنين من الأمم الذين بعد ما قبلوا المسيح يأتي من يعود بهم إلى أمور الناموس العتيقة **"كيف ترجعون إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون أن تُستعبَدوا لها من جديد. أتحفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين** (غل ٤: ٩، ١٠)؛ **"كأنكم عائشون في العالم تُفرض عليكم فرائض لا تمس ولا تذق ولا تجسّ"** (كو٢: ٢٠، ٢١).

والثبوت في الحرية **"التي قد حرَّرنا المسيح بها"** (غل ٥: ١) هو مُحصِّلة شركة العمل بين الله والمؤمنين. فمِن فوق من عند أبي الأنوار تنزل كل عطية صالحة وكل موهبة تامة (يع ١: ١٦)، ولكن يلزم أن تقابلها إرادة قوية طائعة تستجيب ولا تُقاوم، تُلقي بكل ثقلها على الله الذي يُعطي بسخاء ولا يُعيِّر (يع ١: ١٥)، وأسلحتها هي **الصلاة** وطلب المعونة من فوق، واللهج في **كلمة الله** التي هي سيف الروح (أف ٦: ١٧) وقت التجربة والسراج المُنير وسط الظلام، وشركة **الجسد والدم** فيثبت المسيح فينا ونثبت فيه، و**التوبة** الصادقة التي هي وسيلة التصحيح والبدء الجديد، وأن نذكُر دوماً ماذا كُنَّا عليه قبلاً، وماذا أصبحنا فيه! كي نمسك بالحياة الجديدة، ولا نعود - بعد أن اغتسلنا - إلى مَرَاغة الحمأة (٢بط ٢: ٢٢).

عن السادة والعبيد في الكنيسة

كما رأينا، فقد تعامَل الكتاب منذ القديم مع نظام السادة والعبيد، لا على أنه قضية اجتماعية وإنسانية، بل كواقع مجتمعي طبيعي في مجمله؛ ذلك أنَّ انقسام المجتمع القديم إلى سادة وعبيد لم يكن كله نتاج الظلم الاجتماعي، وإنما ترجع بداياته إلى الفروق الفردية بين البشر وظروف الحياة عند نشأتها. فالله، عندما خلق الإنسان، وَهَبَ كل البشر السلطانَ **"عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ"**، وأعطاهم أن يستزرعوا الأرض ويأكلوا من ثمارها (تك ١: ٢٦، ٢٩). فمَن تعب واجتهد، نجح وامتلك الأرض مع الغنم والبقر والبيدر والمعصرة. وهناك مَن لم تُسعفهم قدراتهم ومواهبهم، فلم يفلحوا. كما أنَّ هناك أيضاً من رَكَنَ إلى الراحة وتكاسَل، فافتقر وصار عالة على مَن يمتلكون.

وهؤلاء وأولئك وجدوا أنفسهم في النهاية أُجراءَ أو عبيداً يخدمون أصحاب الأرض. وبسبب حاجة السادة والعبيد، كلٌّ منهم للآخر، فقد ساد هذا النظام الاجتماعي طويلاً.

وكما أشرنا من قبل، فإنَّ عدداً من الوصايا التي تسلَّمها موسى النبي من الله على الجبل كان خاصّاً بحُسْن مُعاملة العبيد، مُذكِّراً بني إسرائيل بأنهم كانوا يوماً عبيداً يُعانون (تث ١٥: ١٥؛ ١٦: ١٢). فالطاعة والجديَّة من جانب العبد يُقابلها أن يكفل له سيده ولعائلته طعامهم وكساءهم مع إطلاق حرية العبد في الوقت المُعيَّن أو بقائه إنْ أراد.

وبمجيء المسيح في الجسد فإنه **"أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ"** (في ٢: ٧)، فأعطى كرامة لكلِّ العبيد ضمن سائر البشر، إذ صار مثلهم. وجاء ذِكْر العبيد كثيراً في أحداث العهد الجديد وأمثال المسيح.

■ الإيمان يجمع السادة والعبيد:

في كرازتهم بالإنجيل، تعامَل الرسل مع وجود العبيد كواقع اجتماعي لم يسعوا لتغييره، ولكن كان يقينهم أن قبول السادة والعبيد للإيمان بالمسيح كفيلٌ أن يزيح السلبيات التي تراكمت على مدى القرون من احتمالات الظلم والعنف والتعالي من جانب السادة، والشعور بالدونيَّة والمرارة والحقد من جانب العبيد. فقد صاروا معاً في نفس المرتبة، فبالإيمان الواحد والمعمودية الواحدة يصير الكل إخوة كأولاد الله الواحد: **"لأَنَّكُمْ جَمِيعاً أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ: لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ"** (غل ٣: ٢٦-٢٨؛ كو ٣: ٩-١١)؛

"لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضاً اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ، يَهُوداً كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ، عَبِيداً أَمْ أَحْرَاراً، وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحاً وَاحِداً" (١كو ١٢: ١٣)، **"إِذاً لَسْتَ بَعْدُ عَبْداً بَلِ ابْناً، وَإِنْ كُنْتَ ابْناً فَوَارِثٌ للهِ بِالْمَسِيحِ"** (غل ٤: ٧).

+ بل إنَّ **القديس بولس** بلغ إلى القول إنه، وهو الحُر، استعبد نفسه، أي تنازَل عن حريته وحقوقه وتعامَل مع نفسه كعبد، **"من أجل يسوع"** (٢كو ٤: ٥) كي يربح الناس للمسيح. فكتب إلى أهل كورنثوس مُدافعاً عن إرساليته وكيف تخلَّى عن كرامته كرسول لأجلهم: **"أَلَسْتُ أَنَا رَسُولاً؟ أَلَسْتُ أَنَا حُرًّا؟... فَإِنِّي إِذْ كُنْتُ حُرًّا مِنَ الْجَمِيعِ، اسْتَعْبَدْتُ نَفْسِي لِلْجَمِيعِ لأَرْبَحَ الأَكْثَرِينَ... صِرْتُ لِلضُّعَفَاءِ كَضَعِيفٍ لأَرْبَحَ الضُّعَفَاءَ. صِرْتُ لِلْكُلِّ كُلَّ شَيْءٍ، لأُخَلِّصَ عَلَى كُلِّ حَالٍ قَوْماً"** (١كو ٩: ١، ١٩، ٢٢).

+ و**القديس بولس** رأى في حياة **إبراهيم وسارة** امرأته **وإسحق** ابنه، من ناحيةٍ؛ وجاريته **هاجَر** وابنها **إسماعيل**، من ناحيةٍ أخرى، بُعْداً أُخروياً يتصل بخلاص جنس البشر وعلاقة المؤمنين بالله. هكذا كتب في رسالته إلى الغلاطيين: "كان لإبراهيم ابنان.. لكن الذي من **الجارية (هاجَر)** وُلد **حسب الجسد (إسماعيل)**، وأما الذي من **الحرة (سارة) فبالموعد (اسحق)**. وكل ذلك رمز، لأن هاتين **(هاجَر وسارة)** هما **العهدان:** أحدهما من جبل **سيناء** الوالد **للعبودية** الذي هو **هاجر**، ولكنه يقابل **أورشليم الحاضرة** فإنها **مستعبدة** مع بنيها، أما **أورشليم العليا** (التي ترمز إليها **سارة**) التي هي **أمنا جميعاً** فهي **حرة**... وأما نحن أيها الإخوة، فنظير **اسحق، أولاد الموعد.** ولكن،

كما كان حينئذ، الذي وُلد **حسب الجسد (إسماعيل)** يضطهد الذي **حسب الروح (اسحق)**، هكذا الآن أيضاً. لكن ماذا يقول الكتاب: أطرد **الجارية وابنها**، لأنه لا يرث **ابن الجارية مع ابن الحرة**. إذاً أيها الإخوة لسنا **أولاد جارية** بل **أولاد الحرة**" (غل ٤: ٢٢-٣١).

وما أبرع المقابلة التي نسجها الوحي، وما أشد انطباق الرمز على الحقيقة. **فهاجر** المطرودة تعود من البرية إلى البيت لتلد **إسماعيل**، وبعد أربعة عشر سنة يولد **اسحق** (من **سارة**) الذي يتحقق فيه وعد الله الذي أعلنه **لإبراهيم** قبل حوالي عقدين من الزمان. وبمقابلة **إسماعيل باسحق**، يكون **الأول** الذي ولدته الجارية **حسب الجسد** رمز الترتيب البشري الذي يفقد ثقته في وعد الله ويتصرف وفق رؤيته دون أن ينتظر تحقيق الوعد الإلهي. **والثاني** الذي من **الحرة** هو **ابن الموعد** الذي يأتي منه **المخلص**. وعلى نفس النهج **فهاجَر** ترمز إلى **عبودية شعب إسرائيل في سيناء**، كما كان الحال أيضاً في **أورشليم المستعبدة** تحت الاحتلال الروماني زمان الرسول بولس مقابل **أورشليم السمائية الحرة**. والمؤمنون بالمسيح هم نظير اسحق **أولاد الموعد، أولاد الحرة** وليسوا **أولاد جارية "إذاً لستَ بعد عبداً بل ابناً وإن كنتَ ابناً فوارثٌ لله بالمسيح"** (غل ٤: ٧)؛ **"فاثبتوا إذاً في الحرية التي قد حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية"** (غل٥: ١).

فالعبادة الشكلية هي عبودية للحرف والطقس، وبسببها وبخ الرسول بولس المؤمنين من الأمم الذين بعدما قبلوا المسيح يأتي من يعود بهم إلى أمور الناموس العتيقة: **"وَأَمَّا الآنَ إِذْ عَرَفْتُمُ اللهَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ عُرِفْتُمْ مِنَ اللهِ، فَكَيْفَ**

تَرْجِعُونَ أَيْضاً إِلَى الأَرْكَانِ الضَّعِيفَةِ الْفَقِيرَةِ الَّتِي تُرِيدُونَ أَنْ تُسْتَعْبَدُوا لَهَا مِنْ جَدِيدٍ؟. أَتَحْفَظُونَ أَيَّاماً وَشُهُوراً وَأَوْقَاتاً وَسِنِينَ؟"(غل٤: ٩، ١٠)؛

"إِذاً انْ كُنْتُمْ قَدْ مُتُّمْ مَعَ الْمَسِيحِ عَنْ ارْكَانِ الْعَالَمِ، فَلِمَاذَا كَأَنَّكُمْ عَائِشُونَ فِي الْعَالَمِ، تُفْرَضُ عَلَيْكُمْ فَرَائِضُ: لاَ تَمَسَّ، وَلاَ تَذُقْ، وَلاَ تَجُسَّ؟" (كو٢: ٢٠، ٢١).

أما **العبادة بالروح** فتجرد النفس من الخوف فتحيا في **حرية مجد أولاد الله** **"لا خوف في المحبة بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج"** (١يو٤: ١٨)؛ **"وحيث روح الرب هناك حرية"** (٢كو٣: ١٧)، ومعها يسود الحب والفرح بالوجود في الحضرة الإلهية المقترن بالمخافة والتهيّب أمام الله الذي يليق به كل مجد وكرامة وخشوع.

■ وصايا الرسل للسادة والعبيد:

+ حرص **الرسول بولس**، وهو يكتب للسادة والعبيد، أن يُقدِّم نفسه **"عبداً للمسيح"** (غل ١: ١٠) و**"أسير يسوع المسيح"** (أف ٣: ١؛ ٢تي ١: ٨؛ فل ٩)، مؤازراً للعبيد، ومُقدِّماً نموذجاً للسادة عندما يقبلون الإيمان. وهو حث العبيد والسادة أن يُحسنوا مُعاملة بعضهم بعضاً، فهُم جميعاً صاروا بالإيمان إخوةً وعبيداً للمسيح.

+ وهو يُشجِّع العبيد قائلاً: **"دُعِيتَ** (للإيمان) **وَأَنْتَ عَبْدٌ فَلاَ يَهُمَّكَ. بَلْ وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَصِيرَ حُرًّا فَاسْتَعْمِلْهَا بِالْحَرِيِّ. لأَنَّ مَنْ دُعِيَ فِي الرَّبِّ وَهُوَ عَبْدٌ، فَهُوَ عَتِيقُ الرَّبِّ. كَذلِكَ أَيْضاً الْحُرُّ الْمَدْعُوُّ هُوَ عَبْدٌ لِلْمَسِيحِ"** (١كو ٧: ٢١،٢٢).

ويطلب الرسول من العبيد المؤمنين أن يطيعوا سادتهم، لا قهراً وحسب الظاهر، وإنما بكلِّ رضا من القلب كعبيد المسيح:

"**أَطِيعُوا سَادَتَكُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ** (فالسيد الحقيقي هو شخص الرب) **بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ، فِي بَسَاطَةِ قُلُوبِكُمْ كَمَا لِلْمَسِيحِ. لاَ بِخِدْمَةِ الْعَيْنِ كَمَنْ يُرْضِي النَّاسَ، بَلْ كَعَبِيدِ الْمَسِيحِ، عَامِلِينَ مَشِيئَةَ اللهِ مِنَ الْقَلْبِ، خَادِمِينَ بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ كَمَا لِلرَّبِّ، لَيْسَ لِلنَّاسِ. عَالِمِينَ أَنْ مَهْمَا عَمِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَيْرِ فَذَلِكَ يَنَالُهُ مِنَ الرَّبِّ، عَبْداً كَانَ أَمْ حُرّاً**" (أف ٦: ٥-٨)؛

"**.... خَائِفِينَ الرَّبَّ. وَكُلُّ مَا فَعَلْتُمْ فَاعْمَلُوا مِنَ الْقَلْبِ، كَمَا لِلرَّبِّ لَيْسَ لِلنَّاسِ، عَالِمِينَ أَنَّكُمْ مِنَ الرَّبِّ سَتَأْخُذُونَ جَزَاءَ الْمِيرَاثِ، لأَنَّكُمْ تَخْدِمُونَ الرَّبَّ الْمَسِيحَ. وَأَمَّا الظَّالِمُ فَسَيَنَالُ مَا ظَلَمَ بِهِ، وَلَيْسَ مُحَابَاةٌ**" (كو ٣: ٢٢-٢٥)؛

"**جَمِيعُ الَّذِينَ هُمْ عَبِيدٌ تَحْتَ نِيرٍ فَلْيَحْسِبُوا سَادَتَهُمْ مُسْتَحِقِّينَ كُلَّ اكْرَامٍ، لِئَلاَّ يُفْتَرَى عَلَى اسْمِ اللهِ وَتَعْلِيمِهِ. وَالَّذِينَ لَهُمْ سَادَةٌ مُؤْمِنُونَ لاَ يَسْتَهِينُوا بِهِمْ لأَنَّهُمْ اخْوَةٌ، بَلْ لِيَخْدِمُوهُمْ اكْثَرَ، لأَنَّ الَّذِينَ يَتَشَارَكُونَ فِي الْفَائِدَةِ هُمْ مُؤْمِنُونَ وَمَحْبُوبُونَ. عَلِّمْ وَعِظْ بِهَذَا**" (١تي ٦: ١،٢)؛

"**وَ الْعَبِيدَ أَنْ يَخْضَعُوا لِسَادَتِهِمْ، وَيُرْضُوهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ، غَيْرَ مُنَاقِضِينَ، غَيْرَ مُخْتَلِسِينَ، بَلْ مُقَدِّمِينَ كُلَّ أَمَانَةٍ صَالِحَةٍ، لِكَيْ يُزَيِّنُوا تَعْلِيمَ مُخَلِّصِنَا اللهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ**" (تي ٢: ٩،١٠).

+ كما كتب الرسول للسادة (المؤمنين) أن "**قَدِّمُوا لِلْعَبِيدِ الْعَدْلَ وَالْمُسَاوَاةَ (تاركين التهديد)، عَالِمِينَ أَنَّ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً سَيِّداً فِي السَّمَوَاتِ (وليس عنده مُحاباة)**" (أف ٦: ٩؛ كو ٤: ١).

+ وتبقى رسالة **مُعلِّمنا بولس** إلى صديقه خادم الرب **فليمون**(١) علامةً بارزة في مُعالجة التمييز الطبقي وكيف تذوب الفوارق في المسيح.

ويتضح من الرسالة أنه كان لفليمون عبدٌ اسمه **أُنيسيمُس** وهرب منه (ربما لأنه ارتكب خطأً وخَشِيَ العقاب). وبعد سَفَرٍ طويل التقى بالرسول بولس أثناء سجنه الأول في روما، وتغيَّرت حياته في المسيح وصار شريكاً في الخدمة (كو ٤: ٩). وأقنعه القديس بولس بالعودة إلى سيِّده وأمْلَى عليه رسالة قصيرة (٢٥ عدداً) إلى سيِّده فليمون، هي في ذاتها قطعة من الأدب الرفيع، يُناشده الرسول فيها باسم المحبة أن يقبل أُنيسيمُس(٢): **"لاَ كَعَبْدٍ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ أَفْضَلَ مِنْ عَبْدٍ: أَخاً مَحْبُوباً، وَلاَ سِيَّمَا إِلَيَّ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ إِلَيْكَ فِي الْجَسَدِ وَالرَّبِّ جَمِيعاً"**.

ومجتهداً أن يحوز رضا فليمون وغفرانه لعبده، يواصل الرسول قوله: **"فَإِنْ كُنْتَ تَحْسِبُنِي شَرِيكاً** (في المحبة والخدمة)، **فَاقْبَلْهُ نَظِيرِي** (كما تقبلني)"، ويُبدي استعداده أن يتحمَّل مع أُنيسيمُس خطأه فيقول: **"ثُمَّ إِنْ كَانَ قَدْ ظَلَمَكَ بِشَيْءٍ، أَوْ لَكَ عَلَيْهِ دَيْنٌ، فَاحْسُبْ ذلِكَ عَلَيَّ"**، ثم يكتب بخطِّ يده: **"أَنَا أُوفِي"** بدلاً عنه. ويلح في التأثير عليه: **"نَعَمْ أَيُّهَا الأَخُ، لِيَكُنْ لِي فَرَحٌ بِكَ فِي الرَّبِّ. أَرِحْ أَحْشَائِي فِي الرَّبِّ"**.

فانظروا كيف اكتسب العبد، بمعرفة المسيح، كرامة إنسانية، وتجرَّد من خوفه، بحيث يعود متأسِّفاً ويلتقي سيِّده من جديد بروحٍ جديدة. كما تغيَّر السيِّد وقَبِلَ عبده القديم أخاً في المسيح، وغابت مشاعر

---

(١) الذي صار فيما بعد أسقفاً على كولوسي، واستُشهد.

(٢) أيام الرومان، كان إذا قُبِضَ على العبد الهارب، فإنه يُعدم أو يُدمَغ جبينه بحرف يُشهِّر به كل الحياة أنه كان عبداً هارباً.

الغضب، وسامحه كما سامحنا المسيح. فـــالإيمان المشـــترك أزال مـــرارة الفوارق الطبقية وسادت المحبة، وصار الكـــل أبناء الله، بغير أن يســـتهين العبد بسيِّده بل يظل على توقيره، والسيد يُحسن مُعاملة العبـــد كـــأخٍ في المسيح، عالماً أنه هو أيضاً عبدٌ لسيِّد الكل الذي في السموات.

+ مـــن جانبـــه كتب **القديس بطرس** أيضاً إلى المؤمنين في شـــتات آسيا الصغرى إلى الخُدَّام (أي العبـــيد وغيرهم مـــن الأُجراء) الذين قبلوا الإيمـــان، وطالبهم أن يكونـــوا "**خَاضِعِينَ بِكُـــلِّ هَيْبَةٍ لِلسَّـــادَةِ، لَـــيْسَ لِلصَّـــالِحِينَ الْمُتَرَفِّقِينَ فَقَطْ، بَلْ لِلْعُنَفَاءِ أَيْضاً** (كي يجتذبوهم للإيمان)"، مُبيِّناً أن صـــبرهم واحتمالهم الآلام بالظلم هو فضل عند الله طالما أنهم كمؤمنين يصـــنعون الآن الخير، فلا فضل لمَن يحتملون الظلم وهـــم مُخطئون. وقـــدَّم لهـــم الـــرب يســـوع مثالاً في احتمال الآلام لكي يتَّبعوا خطواته، الذي "**إِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُـــنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ. الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِـــي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ. الَّذِي بِجَلْدَتِـــهِ شُفِيتُمْ. لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ كَخِرَافٍ ضَالَّةٍ، لكِنَّكُمْ رَجَعْتُمُ الآنَ إِلَى رَاعِي نُفُوسِكُمْ وَأُسْقُفِهَا**" (١بط ٢: ١٨-٢٥). فهو يحثهم أن يسلكوا بالـــبرِّ ويتجـــاوزوا واقعهم كعبيد، ويتبيَّنوا مـــا صـــار لهم، بعـــد ضلالهم، بخلاص المسيح، فهذا هو الأهم.

■ عن الكنيسة وقضية الرِّق:

كما هو معروفٌ، فقد استمر الرِّق على امتداد القرون بعد عصـــر الرســـل. وظلَّت دول الغرب تجلب الأفارقـــة والأسيويين مـــن المستعمـــرات، خاصةً في القرنين السابع عشر والثامن عشر، ويُرسَلون مُقيَّديـــن في السفـــن للعمـــل

مُسخَّـــرين، إلى أن صدر الدستور الأمريكي (١٨٦٥م) الذي يُحرِّم الـــرِّق(٣)، بعد الحرب الأهلية لتحرير العبيد. مع هذا فقد ظلَّ التمييز قائماً ضد السود حـــتى الستينيات من القرن الماضي. كما يظل الرِّق شائعاً في بعض البلاد العربية(٤).

وكثيراً مـــا يثور التساؤل: لماذا لم يكن للكنيسة موقف مُناوئ من الرِّق؟ ولماذا لم تَسْعَ بكلِّ وسيلة لاستئصاله؟ وللإجابة نذكر الحقائق الكتابية التالية:

(١) إنَّ المسيح لم يـــأتِ ليؤسِّـــس مملكة على الأرض (**"مملكتي ليســـت من هذا العالم"** – يو ٨: ٣٦،٢٣)، وهو لم يشترع نظاماً للحُكْم أو القضـــاء (**"مَن أقامني عليكما قاضياً"** – لو ١٢: ١٤).

(٢) إنَّ الكنيسة بالتالي لم تكن دولة لها نظام سياسي أو اجتماعي مُعيَّن، وهي تحيا بالإيمان وتُمارِس خدمتها تحت كـــل النُّظُم، ولا تملك غـــير وسائلها الروحية بالشهادة لحقِّ الإنجيل بالكلمة والعمل الروحي. وهي تُساند الحق والعدل والخـــير والحرية والمساواة اجتماعياً وعِـــرْقياً(٥)، وتقـــف إلى جـــانب الطبقـــات الضعيفة والمُهمَّشة في المجتمع، وتدين الشر والظلـــم والاســـتغلال (يـــع ٥: ٤) والاستعلاء وعبادة المال.

---

(٣) سنة ١٩٤٨م، أصدرت الأُمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وأعلنت في ٢٠١٤م يوم ٢ ديسمبر مـــن كـــلِّ عام يوماً لتحريم الرِّق Day of Abolition of Slavery.

(٤) تُقام في ليبيا أسواق للعبيد، الذين يُساقون من بعض البلاد الأفريقية، أو مِمَّن يُحاولون الهجرة عشوائياً بعبور المتوسط إلى أوروبا. وكانت داعش تبيع الإيزيديات علناً. ويوجد في الوقت الحاضر ٢١ مليوناً يُعانون مذلَّة العبودية.

(٥) والقديس بولس في خطابه أمام الفلاسفة الأثينيين في أريوس باغوس يقول إن الإله الذي يُنادي لهم به **"خلق العالم وكل ما فيه.. إذ هو رب السماء والأرض.. يعطي الجميع حياة ونفساً وكل شيء، وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على وجه الأرض.. وأنه عن كل واحد منا ليس بعيداً لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد"** (أع ١٧: ٢٢-٢٨). فالخالق الواحد صنع كل الناس من دم واحد دون فرق بين البشر جميعاً.

(٣) إنَّ قانون المسيح هو الفصل بين الدين والدولة: **"أَعْطُوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله"** (مت ٢٢: ٢١؛ مر ١٢: ٧؛ لو ٢٠: ٢٥)، وبالتالي فإنَّ الكنيسة لا تتدخل في شئون الدول. وهي تُشجِّع المؤمنين على احترام القانون **"من أجل الضمير"** (رو ١٣: ٥)، والالتزام بدَفْع الضرائب (مت ١٧: ٢٧؛ رو ١٣: ٧)، وعدم مُقاومة السلطات، وتَعتَبِر الرئيس أو الحاكم هو في الأساس **"خادم الله للصلاح"** (رو ١٣: ٤،٦).

(٤) إن تغيير نُظُم المجتمع ليست ضمن مهام الكنيسة، فهذه هي مسئولية الدولة. ومع هذا، فالكنيسة تُقدِّم للمجتمع، في كلِّ مؤمن، مواطناً صالحاً أميناً مُحبّاً مُتسامحاً مُسالِماً، فيما هي تُعدُّه للحياة الأبدية، وهي بذلك تُسهِم في تقدُّم المجتمعات إلى الأفضل. وفي يقين الكنيسة أن انتشار الإيمان بالمسيح سوف يرفع الظلم عن المسحوقين والمُستعبدين ويُحقِّق المساواة بين البشر.

(٥) إنَّ الإيمان المسيحي يرفض العنف واستخدام القوَّة الجسدية (يو ١٨: ١١). والكنيسة، في موقف شديد الحكمة، مسترشدة بالروح القدس، لم تُشجِّع الثورات المسلحة مهما أَثمرت من مكاسب، ولم تنفخ في الرماد المُتَّقد بالكراهية العنصرية وإلاَّ أشعلت نار حرب أهلية آكلة، وإنما سَعَت دائماً للتغيير بالشهادة والتعليم والتطوُّر الطبيعي ولو استغرق طويلاً، فهذا يتفادَى ويلات الثورات الدموية وما تُخلِّفه من ضحايا أبرياء، وما تزرعه من البغضاء والثأر لأجيالٍ طويلة.

في أعماق الإنسان توقٌ دائمٌ إلى **الحرية**.

هكذا رأينا شعوب العالم تُناضل من أجل حريتها، وتُقاوم الاستعمار والظلم والاستبداد، وتُطالِب بالاستقلال والمساواة والحرية، وفي سبيل ذلك لا تضنُّ بدمائها وحياتها(٦).

هذه **الحرية** ثمينة بالفعل. ولكن الكثيرين يغفلون عن **حريةٍ أعظم**، تلك التي كفلها دم المسيح الذي يُحرِّر المؤمنين به من أشرس عدو يستعبدهم وهو **الخطية** التي أُجرتها **الموت** الأبدي.

وإذ كان جيِّداً للإنسان أن يكون حُر الإرادة، حُر الرأي، حُر العقيدة، لكي يُمارس إنسانيته في هذا العالم؛ فإنَّ مصيره الأبدي مرتبطٌ بتحرُّره من سطوة الذات والناس والعالم والمال، وزيف العبادة. هنا تُشرق علينا كلمات المُخلِّص: **"إِنْ حَرَّرَكُمُ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَاراً"** (يو ٨: ٣٦).

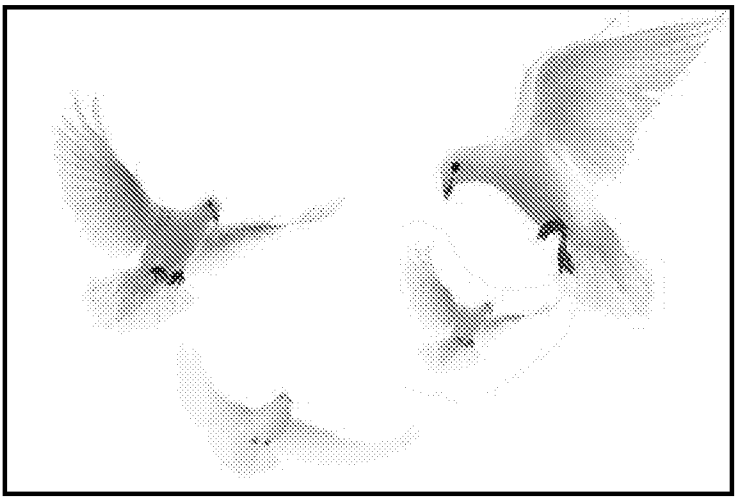

(٦) راجع مقال **"ريتشيل كوري"** التي فقدت حياتها دفاعاً عن حق الحرية للفلسطينيين (ص ١٨٩) في هذا الكتاب.

"فأخرجه الرب الإله من جنة عدن" (تك ٣: ٢٣)

قضية الخطية والشر

- تاريخ الخطية من آدم إلى عهد النعمة
- موقف المؤمن من الخطية والشر
- سمات الحياة بالروح
- أسئلة تتطلب إجابات
- قيامة الحياة
- قيامة الدينونة

تاريخ الخطية من آدم إلى عهد النعمة

بين القضايا التي يواجهها المؤمنون، تبرز قضية **الخطية والشر**(١)، بتداعياتها الرهيبة التي تسود عالمنا، سواء على مستوى الفرد والجماعة الصغيرة أو على مستوى الأُمم والعالم. فأخبار الخطية والشر تُلاحقنا كل ساعة، وضمنها: القتل والسرقة والعدوان والكراهية والكذب والشهوات ومحبة المال والسعي وراء الزعامة والقوَّة بكلِّ الوسائل؛ والحروب التي غطَّت كل العالم، وعانَى ويلاتها الملايين على مدى القرون، سواء الحروب العالمية التي توقَّفت منتصف القرن الماضي، وتلك المحدودة التي ما تزال محتدمة. والدماء والضحايا: موتاً وتشويهاً وتهجيراً وأحزاناً في منطقتنا، شاهد على ما يصنعه الشر في العالم.

---

(١) **الخطية** هي ما يرتكبه الإنسان ضد وصايا الله **"كل ما ليس من الإيمان فهو خطية"** (رو ١٤: ٢٣)؛ وأمَّا **الشر** فهو أعمٌّ، ويشمل كل ما هو ضد الخير. فإضافة إلى خطايا الإنسان، يضمُّ أيضاً الكوارث والمصائب والحروب والأوبئة وغيرها.

وأمام هذا كله، قد يتساءل البعض: كيف سمح الله البار القدوس، القادر على كلِّ شيء للشرِّ بالدخول إلى العالم ليُشوِّه عمله وخليقته؟ كيف قَبِلَ الله أن يكون الشيطان رئيساً للعالم، يعيث فيه فساداً بكلِّ الطُّرُق؟

■ كيف دخلت الخطية والشر إلى العالم؟

يُعلِّمنا الكتاب أنَّ الخطية دخلت إلى العالم مرتين:

الأولى: قديمة، وإن لم تكن أزلية، بسقوط كوكبة من الملائكة تبعوا رئيسهم الذي صار رئيس الشياطين أو **إبليس** (ذيابولوس)(٢). وهناك نصٌّ في سِفْر إشعياء، وإن كان يتكلَّم عن ملك بابل، وتنبَّأ بانكساره، ولكن جزءاً من الكلمات في السياق يُشير بوضوح إلى سقوط الشيطان بكبريائه أكثر مِمَّا ينطبق على حالة الملك: **"كَيْفَ سَقَطْتِ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهَرَةُ بِنْتَ الصُّبْحِ؟ كَيْفَ قُطِعْتَ إِلَى الأَرْضِ يَا قَاهِرَ الأُمَمِ؟ وَأَنْتَ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: أَصْعَدُ إِلَى السَّمَوَاتِ. أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ الله، وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الاِجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي الشَّمَالِ. أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ. لكِنَّكَ انْحَدَرْتَ إِلَى الْهَاوِيَةِ، إِلَى أَسَافِلِ الْجُبِّ"** (إش ١٤: ١٢-١٥؛ راجع حز ٢٨: ١٤،١٥).

وعن سقوط الشيطان، يكتب مُعلِّمنا **بطرس الرسول: "لأَنَّهُ إِنْ كَانَ اللهُ لَمْ يُشْفِقْ عَلَى مَلاَئِكَةٍ قَدِ أَخْطَأُوا، بَلْ فِي سَلاَسِلِ الظَّلاَمِ طَرَحَهُمْ فِي**

---

(٢) وضمن ألقابه في الكتاب "**بعلزبول**"(من **بعلزبوب**،٢مل ١: ٢٦؛ ٣: ١٦،٦) إله الذباب الذي عبده الفلسطينيون (وأطلق اليهود اسمه - بعد تحويل الباء الأخيرة إلى لام - على الشيطان لتحقيره وإهانته)؛ التنين؛ الحيَّة القديمة؛ المُضل؛ المُجرِّب؛ الشرير؛ إله ورئيس هذا العالم؛ إله هذا الدهر، سُلطان الظلمة؛ رئيس سُلطان الهواء. ومن أسمائه أيضاً "لوسيفر" (لوسيفوروس)؛ وسطانائيل.

جَهَنَّمَ، وَسَلَّمَهُمْ مَحْرُوسِينَ لِلْقَضَاءِ" (٢بط ٢: ٤). كما كتب مُعلِّمنا **الرسول يهوذا: "وَالْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ لَمْ يَحْفَظُوا رِيَاسَتَهُمْ، بَلْ تَرَكُوا مَسْكَنَهُمْ** (في السماء) **حَفِظَهُمْ إِلَى دَيْنُونَةِ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ بِقُيُودٍ أَبَدِيَّةٍ تَحْتَ الظَّلاَمِ"** (يه ٦).

والمرة الثانية لدخول الخطية تتعلَّق **بالإنسان** بعد خلقته. وكان لإبليس دوره في سقوطه، إذ دخل في الحيَّة، وسعى إلى حواء وأغواها بالأَكل من شجرة معرفة الخير والشر، ضد وصية الله، مُستَخدِماً الكذب قائلاً إنه يوم تأكل هي وآدم من الشجرة يكونان كالله عارفَيْن الخير والشر. وانجذبت حواء إلى الشجرة ورأتها جيِّدة للأَكل وشهيَّة للنظر، فأَخَذَت من ثمرها وأَكلت وأعطت رجلها ايضاً فأكل منها، فانفتحت أعينهما وعَلِمَا أنهما عريانان، وخاطا من أوراق التين مآزر وضعاها على أنفسيهما (تك ٣: ١-٧).

هكذا دخلت الخطية خلسة، وقد اكتشف آدم وحواء آثارها عندما انفتحت أعينهما. ولم يكن الأَكل من الشجرة في ذاته هو الشر (**"لأَنَّ كُلَّ خَلِيقَةِ اللهِ جَيِّدَةٌ"** -١تي ٤: ٤)، وإنما عصيان وصية الله هو ما أَدخَل الشر إلى العالم، وهو الأمر الذي أَحزَن قلب الله: **"فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ"** (تك ٦: ٦). ولكن الله لم يتخلَّ عن آدم وحواء، وظلَّ على محبته لهما حتى أنه صنع لهما **"أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا"** (تك ٣: ٢١).

موقف الله من الخطية والشر

"إِنَّ اللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ" (١يو ١: ٥)، وهو **"قُدُّوسٌ بِلاَ شَرٍّ وَلاَ دَنَسٍ"** (عب ٧: ٢٦)، و**"لاَ يُجَرِّبُ أَحَداً"** (يع ١: ١٣)، ولا يدعنا نُجرَّب فوق ما نستطيع **"بل سيجعل مع التجربة المَنفذ"** (١كو ١٠: ١٣). وعندما يثور التساؤل: لماذا لم يمنع الله سقوط الملائكة؟ وكيف لم يتدخَّل ليمنع حواء وآدم من الاستجابة لمشورة إبليس الشريرة؟ يكون الردُّ: إنَّ الله تعامَل مع الملائكة والإنسان كخليقة عاقلة ناطقة، تختلف عن الخلائق الحيَّة غير العاقلة (الحيوان أساساً) المحكومة في سلوكها بتركيبها الجيني وغرائزها، وليس لها أن تختار. ومِن هنا فهي لا تُحاسَب وستموت وتَفْنَى.

أمَّا الملائكة والبشر، فقد أتاح الله لهم حقَّ الاختيار بين الصواب والخطأ حتى يمكن مجازاتهم بالعدل. أمَّا إذا كان الملائكة والبشر يصنعون الخير إجباراً، فلا يستحقُّون عندها المُكافأة أو العقاب. فالحرية التي أَنعم بها الله عليهم تكفل لهم أن يختاروا بكامل إرادتهم أن يتبعوا الله أو يرفضوه. وهكذا يتميَّز الأبرار، فيستحقُّون الجعالة، عن الأشرار الذين تُدينهم أعمالهم. وفي هذا الصدد يقول اللاهوتي الأرثوذكسي كاليستوس وير: "لولا الحرية لَما كانت خطية، ولكن لولا الحرية لَما كان الإنسان على صورة الله (تك ١: ٢٦)، ولَما كان قادراً أن يُشارِك الله في علاقة حُب".

الله، إذاً، قَبِلَ بالشرِّ(٣) ولم يخلقه؛ بينما إبليس وجنوده والإنسان، اختاروا

---

(٣) عند القول إنَّ الله سمح أو قَبِلَ بالشرِّ، فليس القصد أنه يتنصَّل من مسئوليته كضابط الكل أو يتخلَّى عن الإنسان الذي أحبه: فهو لم يسلكَ **كبيلاطس** الذي كان بملك أن يتدخل ليشهد للحق، ولكن الخوف غلبه أمام أصوات الغوغاء وخشى اتهامه بمعاداة قيصر **"فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة، فحكم بيلاطس أن =**

أن يرفضوا الخضوع لله وانحازوا للشر. والحقيقة أنَّ الشرَّ ليس شيئاً جوهرياً كالخير؛ هو فقط غياب الخير وضده (مثل الظلام الذي هو غياب النور، فهو ليس كياناً قائماً يمكن قياس طول موجته مثلاً أو تحليله كالضوء).

الشرُّ هو تزييفٌ للخير، ويتستَّر وراءه كذباً. فحتى مُمارسات الدِّين يمكن أن تتحوَّل، بالرياء والآليَّة والشكل والاستغلال، إلى ما هو ضد الدِّين؛ وكما سبق الرب وأعلن، فالقتل في أيامنا يتمُّ تبريره باعتباره **"خدمة لله"** (يو ١٦: ١)؛ والتقوى قد تُخفي الكبرياء والتعالي؛ والإيمان قد يُضمر التعصُّب والكراهية؛ والتواضع قد يستحيل جُبناً وتهرُّباً من إعلان الحق؛ والطهارة الظاهرية قد تنطوي على ميل مكبوت للنجاسة، يظهر ويختفي. والشرير – بالتوبة – قد يبلغ قامة روحية تفوق البار (في عينَي نفسه) المُكتفي جاف القلب. وفي مَثَل **الابنين**، فإنَّ مَن عمل إرادة الأب لم يكن مَن استجاب أولاً ولم يذهب، بل هو مَن رَفَض أولاً ثم ذهب أخيراً. والرب ختَم هذا المَثَل بقوله الذي وجَّهه إلى رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب: **"إِنَّ الْعَشَّارِينَ وَالزَّوَانِيَ يَسْبِقُونَكُمْ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ"** (مت ٢١: ٢٨-٣٢).

ورغم أنَّ الربَّ عاقَب **آدم وحواء** بالطرد من الجنة والتعب والوجع، إلاَّ أنه كَشَفَ عن تصدِّيه لقضية الشر، وتدبيره لخلاص الإنسان، فقال: **"لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضاً وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ"** (تك ٣: ٢٢).

= **تكون طلبتهم... وأسلم يسوع لمشيئتهم"** (لو٢٣: ٢٣-٢٥)، واكتفى أن يغسل **"يديه قدام الجمع قائلاً: أنا بريئ من دم هذا البار"** (مت٢٧: ٢٤). فالله جعل قضية الإنسان قضيته إلى النهاية، مُصدِّقاً على وعده أن يكون معنا **"كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ"** (مت ٢٨: ٢٠).

وحتى لَمَّا "**رَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ**" (تك ٦: ٥)، وحَكَم بهلاك الجميع بالطوفان؛ كانت عيناه على **نوح** الذي "**وَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ**" (تك ٦: ٨)، فأَمره أن يصنع فُلْكاً لإنقاذه هو وعائلته. وقد سَمَحَ الله أن يستغرق بناء الفُلْك طويلاً لإثارة التوبة في قلوب الآخرين، ولكن لم يرجع أحدٌ. ولَمَّا قدَّم نوح، بعد النجاة، مُحرقات على المذبح، أَظْهَر الرب رضاه "**فتنسّم الرب رائحة الرضا، وقال في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان، لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته**" (تك ٨: ٢١).

وفيما بعد اختار الله **إبراهيم** الذي "**آمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا**" (تك ١٥: ٦؛ رو ٤: ٣؛ غل ٣: ٦؛ يع ٣: ٢٣)، وبارَك في نسله، واستخدم الأتقياء منهم ليشهدوا له. فيقول **يوسف** لإخوته الذين أساءوا إليه حتى صار عبداً في مصر، ولكن الله تمجَّد به: "**أَرْسَلَنِيَ اللهُ قُدَّامَكُمْ لِيَجْعَلَ لَكُمْ بَقِيَّةً فِي الأَرْضِ وَلِيَسْتَبْقِيَ لَكُمْ نَجَاةً عَظِيمَةً. فَالآنَ لَيْسَ أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمُونِي إِلَى هُنَا بَلِ اللهُ... أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا**" (تك ٤٥: ٧،٨؛ ٥٠: ٢٠). وعلى يد **موسى**، أعطاهم **الناموس** ليتبعوا الخير ويَحيدوا عن الشر، وأخرجهم من مصر بذراعٍ رفيعة، وحوَّط حولهم بعنايته على مدى آلاف السنين، وأرسل لهم **الأنبياء** الذين تكلَّموا عن الخلاص الذي أعدَّه الله لهم. وفي ملء الزمان، أرسل الله ابنه مُتجسِّداً، فبَذَل حياته لخلاصهم "**لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ**" (يو ٣: ١٦)؛ "**والرب وَضَع عليه إثم جميعنا**" (إش ٥٣: ٦). وهكذا أَبطل المسيحُ الخطيةَ بذبيحة نفسه (٢تي ١: ١٠؛ عب ٩: ٢٦).

■ بين الناموس والنعمة:

بالمسيح بَـدَأ **عهد النعمة** الفائضة مقابـل **عهد الناموس** الذي لم يمنع الخطية و لم يحـلَّ عقدها، ولكنه فقط أشهرها "**فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته**" (رو ٧: ٧) وأفرزها، فظهـرت أنها "**خاطئة جدّاً**" (رو ٧: ١٣). والرب كَشَفَ عن محبته: "**لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَـاتَ الْمَسِـيحُ لأَجْلِنَـا**" (رو ٥: ٨)، "**لأَنَّـهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّـاسِ: الإِنْسَـانُ يَسُـوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَـهُ فِدْيَـةً لأَجْـلِ الْجَمِيـعِ**" (١تي ٢: ٥،٦).

و**بالإيمان** (العامل بالمحبة) و**التوبـة**، وليس بأعمال الناموس، مـن ختـان ودم تيوس وعجول (عب ٩: ١٢)؛ ننال غفران الخطايا: "**مُتَبَرِّرِينَ مَجَّاناً بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ**" (رو ٣: ٢٤،٢٥)؛

"**لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْ لاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ** (فالأعمال ستأتي كثمار للإيمان). **لأَنَّنَـا نَحْـنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، قَـدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَـدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا**" (أف ٢: ٨-١٠)؛

"**وَلكِنْ حِينَ ظَهَرَ لُطْفُ مُخَلِّصِنَا اللهِ وَإِحْسَانُهُ - لاَ بِأَعْمَـالٍ فِـي بِـرٍّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ - خَلَّصَنَا بِغُسْـلِ الْمِـيلاَدِ الثَّـانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، الَّذِي سَكَبَهُ بِغِنًى عَلَيْنَـا بِيَسُـوعَ الْمَسِـيحِ مُخَلِّصِنَا. حَتَّى إِذَا تَبَرَّرْنَا بِنِعْمَتِهِ، نَصِيرُ وَرَثَـةً حَسَبَ رَجَـاءِ الْحَيَـاةِ الأَبَدِيَّةِ**" (تي ٣: ٤-٧).

وإذ رَفَض اليهود – شعب الله القديم – ذبيحة الصليب، انفتح بـاب الخلاص للجميع "**حَيْثُ لَيْسَ يُونَانِيٌّ وَيَهُودِيٌّ، خِتَانٌ وَغُرْلَةٌ، بَرْبَرِيٌّ سِكِّيثِيٌّ، عَبْدٌ حُـرٌّ، بَلِ الْمَسِيحُ الْكُلُّ وَفِي الْكُلِ**"(كو ٣: ١١)(٤).

والمسيح بعد صعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الآب، يبقى شفيعنا الدائم إلى الأبـد، وغافر خطايانا بدمه: "**فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَبْقَى إِلَى الأَبَدِ، لَهُ كَهَنُوتٌ لاَ يَزُولُ. فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضاً إِلَـى التَّمَـامِ الَّـذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللهِ، إِذْ هُوَ حَـيٌّ فِـي كُـلِّ حِـينٍ لِيَشْـفَعَ فِـيهِمْ**" (عب ٧: ٢٤،٢٥).

إرادة الله "**أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَـقِّ يُقْبِلُـونَ**" (١تي ٢: ٤)، وهو قال: "**لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَـى التَّوْبَـةِ**" (مت ٩: ١٣؛ مر ٢: ١٧). وكيف بمَن بَذَل ابنـه لأجلنـا أجمعـين أن يفـرح بخطية الخاطئ ومكتوب "**هل مسرةً أسرّ بموت الشرير، يقـول السيد الرب، إلا برجوعه عن طريقه فيحيـا**" (حـز ١٨: ٢٣،٣٢؛ ٣٣: ١١؛ ٢بط ٣: ٩). والله لأنـه محبة، ولأنه كفل الغفران بدم ابنـه، فهـو يُيسِّر عودة الخاطئ الذي مـا أن يخطو الخطـوة الأولى نحـوه إلا ويكـون قـد تهيَّأ للقائه "**وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيداً رَآهُ أَبُوهُ فَتَحَنَّنَ وَرَكَـضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَه**" (لو ١٥: ٢٠). وكما يفرح الراعي بعودة خروفـه

---

(٤) لَمَّا قاوم اليهود كرازة الرسولَيْن **بولس وبرنابا** في أنطاكية بيسيدية، قالا لهم: «**كَانَ يَجِبُ أَنْ تُكَلَّمُوا أَنْتُمْ أَوَّلاً بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلكِنْ إِذْ دَفَعْتُمُوهَا عَنْكُمْ، وَحَكَمْتُمْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُسْتَحِقِّينَ لِلْحَيَـاةِ الأَبَدِيَّـةِ، هُوَذَا نَتَوَجَّهُ إِلَى الأُمَمِ... فَلَمَّا سَمِعَ الأُمَمُ ذلِكَ كَانُوا يَفْرَحُـونَ وَيُمَجِّدُونَ كَلِمَـةَ الرَّبِّ. وَآمَنَ جَمِيعُ الَّذِينَ كَانُـوا مُعَيَّنِينَ** (بحسب علم الله السابق) **لِلْحَيَـاةِ الأَبَدِيَّـةِ**» (أع ١٣: ٤٦-٤٨).

الضال، فالرب يقول: **"إِنَّهُ هكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ"** (لو ١٥: ٧)، وهو يحفظ أولاده من الشرِّ ويُدافع عنهم.

مع هذا، فالله لا يغضُّ الطَّرْف عن الخطية ولا يتساهل معها. فالخطية في الأساس موجَّهة ضد الله **"إليك وحدك أخطأت"** (مز ٥١: ٤)؛ **"كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله"** (تك ٣٩: ٩)، ولكنه لا يمنع الشر أو يقتلعه، كما لم يُهلك بعد إبليس وجنوده، ليتمَّ فرز المؤمنين من الأشرار. وكما في مَثَل زوان الحقل: فالعدو زرع الزوان وسط الحنطة (فيما الناس نيام غافلون)، ولكن رب البيت قال: **"لا تجمعوا الزوان الآن لِئَلاَّ تَقْلَعُوا الْحِنْطَةَ مَعَ الزَّوَانِ وَأَنْتُمْ تَجْمَعُونَهُ. دَعُوهُمَا يَنْمِيَانِ كِلاَهُمَا مَعاً إِلَى الْحَصَادِ"**، حيث يجمع الزوان أولاً ويُحرَق (مت ١٣: ٢٤-٣٠). فالتعامُل الحاسم مع إبليس والشر سيكون في الدينونة (يو ٣: ١٩).

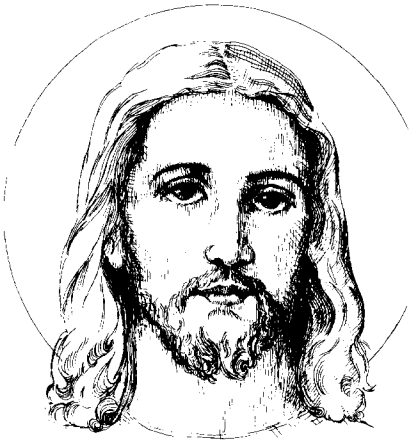

موقف المؤمن من الخطية والشر

بسقوط الإنسان **وُضِعَ العالم في الشرير** (١يو ٥: ١٩)، وصار كل الناس، بمَن فيهم ذُريَّة إبراهيم، عبيداً للخطية (يو ٨: ٣٤) وأعداءً لله (رو ٨: ٧؛ يع ٤: ٤): **"الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعاً. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحاً لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ"** (رو ٣: ١٢). والمسيح، ابن الله المُتجسِّد، صالَحنا مع الآب **"بدم صليبه"** (كو ١: ٢٠)، وفي نفس الوقت **"الله** (الآب)... **صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ"** (٢كو ٥: ١٨)، كما أنَّ المسيح صالَح **"الاِثْنَيْنِ** (اليهود والأُمم) **فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ"** (أف ٢: ١٦).

هكذا أُتيح للإنسان أن يتحرَّر من نير الخطية: **"فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الاِبْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَاراً"** (يو ٨: ٣٦). **وبالمعمودية** نولَد من جديد، فنُدفَن مع المسيح للموت ونقوم معه في حياةٍ جديدة، وبالإيمان نصير

أولاداً لله (رو ٦: ٤؛ ١يو ٣: ١)، ويصبغ الإيمان بالمسيح كل جوانب الحياة، وبه **نتبرَّر** (رو ٣: ٢٠،٢٨؛ ٥: ٨؛ غل ٢: ١٦) بحسب نعمة الله المجانية (رو ٣: ٢٤؛ تي ٣: ٧) **فنتبرَّأ** من الخطية (رو ٦: ٧).

إيماننا المسيحي وتعييننا للحياة الأبدية يُغيِّر نهجنا القديم ليواكب حياتنا الجديدة. والنعمة لكي تعمل وتتفاعل فينا تتطلَّب **إرادة** صادقة مُستجيبة مُنفتحة على العمل الإلهي، طائعة لا تُقاوِم ولا تُعاند ولا تراوِغ. وبهذا يتمُّ التغيير يوماً بعد يوم لنتشكَّل **"خليقة جديدة في المسيح يسوع"** (٢كو ٥: ١٧؛ غل ٦: ١٥) تسلك في طريق القداسة كل الحياة.

قبل أيام من الصليب، وقف الرب أمام أورشليم وهتف باكياً: **"يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ، يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا. هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَاباً"** (مت ٢٣: ٣٧،٣٨؛ لو ١٣: ٣٤،٣٥). فالله يُريد خلاصنا، وقد كفله لنا بدم ابنه؛ ولكن ينبغي أن يُقابل المؤمن هذه الإرادة الإلهية بمثلها كي يتمتَّع بالشركة الإلهية.

■ المؤمن ودعوة الخلاص:

المسيح جعل **الإيمان** قرين **المعمودية** لنوال **الخلاص** (مر ١٦: ١٦). وإذا كانت الكنيسة تُعمِّد الطفل على إيمان والديه، فمِن المُحتَّم أن يُعلِن الطفل إيمانه عندما يكبر(١). وستكون أولى متطلبات الإيمان **التوبة**

(١) حتى بضعة قرون خَلَت، كان من تقاليد كنيستنا الاحتفال بإعلان إيمان الفتيان والفتيات الذين اعتمدوا في طفولتهم على إيمان والديهم، بعد انتظامهم في دورة لدراسة عقائد الكنيسة؛ لكي يتحمَّلوا هم أيضاً التزامات تبعيتهم للمسيح كل أيام الحياة بمعونة النعمة. وهذا التقليد سار إلى اليوم في بعض الكنائس الأخرى. ويا ليته يعود إلى كنيستنا ليُضفي الجديَّة على حياة المؤمنين (غل ٤: ٧).

(أو **"الميطانيا"**)(٢) التي تعني تحوُّل اتِّجاه المسير إلى الضدِّ وليس مجرد التغيير في نفس الاتِّجاه: **"تُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ، لِكَيْ تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ"** (أع ٣: ١٩). فعندما يتكلَّم **الرسول بولس** عن توبة السارق، يقول: **"لاَ يَسْرِقِ السَّارِقُ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يَتْعَبُ عَامِلاً الصَّالِحَ بِيَدَيْهِ، لِيَكُونَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ احْتِيَاجٌ"** (أف ٤: ٢٨)، والقصد أنه ليس فقط يكفُّ عن السرقة والاغتصاب، ولكن أن يكدَّ ويعمل لكي يكون عنده ما يُقدِّمه للمُحتاجين، وهكذا يتحوَّل من الأَخذ الحرام إلى العطاء الكريم. وسيحتاج المؤمن إلى مساندة **الروح** حتى لا تكون التوبة مُمارسة جسدية شكلية، وإنما تحوُّلاً حقيقياً له ما بعده.

وهذه التوبة هي للجميع **"إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون"** (لو ١٣: ٣،٥)، فهي ليست وقفاً على المُجرمين الموغِلين في الشرِّ والبعيدين عن حياة القداسة، ولكنها عمل كل المؤمنين المُلتزمين والأتقياء كل الحياة. والمتدينون الشكليون هم أول مَن يحتاجها، وإن ظنُّوا أنهم ليسوا في حاجة إلى توبة.

وقد فَتَح الرب قلبه لعودة الخطاة بالتوبة، وكَشَف أنه لم يأتِ إلاَّ لهم (مت ٩: ١٣؛ مر ٣: ٢٧؛ لو ٥: ٣٢)، وأنه **"يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ"** (١تي ٢: ٤)، وأنه يتأنَّى علينا: **"وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ"**

---

(٢) كلمة **"ميطانيا"** اليونانية metanoia من شقَّين: **"ميطا"** meta وتعني "ما وراء أو ما بعد"، و**"نوس"** noos بمعنى العقل، أي "تغيير الذهن والقلب والاتِّجاه والمفاهيم"، وليس فقط مجرُّد التأسُّف والرجوع كما تعني كلمة **"توبة"** العربية، وrepentance الإنجليزية.

(٢بط ٣: ٩). ويحتفي الكتاب بتوبة عدد من هؤلاء الخطاة الكبار بدعوة الرب مثل **لاوي** (مت ٩؛ مر ٢؛ لو ٥)، **وزكَّا** رئيس العشَّارين (لو ١٩)؛ **والمرأة الخاطئة** (لو ٧)، **والابن الضال** (لو ١٥)؛ **والسامرية** (يو ٤)؛ **والمرأة التي أُمسِكَت في الزنا** (يو ٨)؛ الذين تحوَّلوا في لقاء واحد إلى الضدِّ، لكي لا يتردَّد أحدٌ مهما كان تغرُّبه من الاستجابة لنداء الرب للخلاص والحياة.

ربما لا يختبر الكثيرون، مِمَّن عاشوا منذ طفولتهم وسط عائلة تقيَّة قادتهم كل حياتهم في طريق القداسة، مثل هذا التغيير الحاد بتوبة فاصلة بين حياتين متضادتين؛ ولكن يخوضها بالتأكيد من تنكَّبوا الطريق وعاشوا طياشة المراهقة والصُّحبة السيئة والخبرات الرديئة التي ربما استمرَّت طويلاً، فعندما تفتقدهم النعمة ويُدركون بؤس حالهم تكون توبتهم نقطة تحوُّل حاسمة بين عهدَيْن، حتى ليذكروا اليوم والملابسات التي جعلتهم يتواجهون لأول مرَّة أمام تعاستهم وسوء مآلهم، فألقوا بأحمالهم عند أقدام الرب وبدأوا حياتهم الجديدة في النور. **وسيكون أبعد ما يكون عن الحقِّ اعتبار غيرهم مِمَّن لم يمرُّوا في حياتهم بمثل هذا الاختبار، ولكنهم يعيشون حياة مُقدَّسة، بأنهم لم يخلصوا بعد كما يدَّعي البعض.**

على أنَّ التوبة، سواء كانت هادئة أم عاصفة، فهي لا ولن تتوقَّف. فغبار الطريق يُلوِّث الأقدام، وصراعات الخطية تترك آثارها، ولابد من الاغتسال لتصحيح المسار على مدى الأيام.

■ موت عن الخطية:

بالتوبة الحاسمة والمُمتدَّة كل الأيام يبدأ المؤمن موقفاً صريحاً ضد الخطية، مُنحازاً فيه إلى البرِّ ووصية الله، آخذاً نفسه بالشدَّة، بما يُعبِّر عن حقيقة ما صار إليه، كما تُشير آيات الكتاب التالية:

"**إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي، فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ** (أي يعفيها من التبعات) **يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ** (أي يرفض ميولها الشريرة) **مِنْ أَجْلِي** (ومن أجل الإنجيل) **يَجِدُهَا** (فهو يُخلِّصها)" (مت ١٦: ٢٤،٢٥؛ مر ٨: ٣٥؛ لو ٩: ٢٣،٢٤)؛

"**مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ** (أي يستجيب إلى رغباتها) **يُهْلِكُهَا** (أي يقودها إلى الهلاك)، **وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ**" (يو ١٢: ٢٥)؛

"**لأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَتْ نِعْمَةُ اللهِ الْمُخَلِّصَةُ لِجَمِيعِ النَّاسِ، مُعَلِّمَةً إِيَّانَا أَنْ نُنْكِرَ الْفُجُورَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَالَمِيَّةَ، وَنَعِيشَ بِالتَّعَقُّلِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى فِي الْعَالَمِ الْحَاضِرِ، مُنْتَظِرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ**" (تي ٢: ١١-١٣)؛

"**احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتاً عَنِ الْخَطِيَّةِ، وَلكِنْ أَحْيَاءً للهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا. إِذاً لاَ تَمْلِكَنَّ الْخَطِيَّةُ فِي جَسَدِكُمُ الْمَائِتِ لِكَيْ تُطِيعُوهَا فِي شَهَوَاتِهِ، وَلاَ تَقَدِّمُوا أَعْضَاءَكُمْ آلاَتِ إِثْمٍ لِلْخَطِيَّةِ، بَلْ قَدِّمُوا ذَوَاتِكُمْ للهِ كَأَحْيَاءٍ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَعْضَاءَكُمْ آلاَتِ بِرٍّ للهِ**" (رو ٦: ١١-١٣)؛

"أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُفْسِدُ هَيْكَلَ اللهِ فَسَيُفْسِدُهُ اللهُ" (١كو ٣: ١٦،١٧)؛

"نَحْنُ الَّذِينَ مُتْنَا عَنِ الْخَطِيَّةِ، كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدُ فِيهَا؟" (رو ٦: ٢)؛

"الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ" (غل ٥: ٢٤)؛

"لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ" (عب ١٢: ٤).

ويقتضي الأمر أن يظل المؤمن الثابت ساهراً مُجاهداً بغير تراجُع أو مُهادنة لئلا يأخذ أحدٌ إكليله، وألاَّ يقف في مُفترق الطُّرُق، ولا يجمع بين النور والظلمة:

"جَاهِدْ جِهَادَ الإِيمَانِ الْحَسَنَ، وَأَمْسِكْ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي إِلَيْهَا دُعِيتَ أَيْضاً" (١تي ٦: ١٢)؛

"اشْتَرِكْ أَنْتَ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ كَجُنْدِيٍّ صَالِحٍ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ" (٢تي ٢: ٣)؛

"كَأَحْرَارٍ، وَلَيْسَ كَالَّذِينَ الْحُرِّيَّةُ عِنْدَهُمْ سُتْرَةٌ لِلشَّرِّ، بَلْ كَعَبِيدِ اللهِ" (١بط ٢: ١٦)؛

"قَوِّمُوا الأَيَادِيَ الْمُسْتَرْخِيَةَ وَالرُّكَبَ الْمُخَلَّعَةَ، وَاصْنَعُوا لأَرْجُلِكُمْ مَسَالِكَ مُسْتَقِيمَةً" (عب١٢: ١٢،١٣)؛

"حَتَّى مَتَى تَعْرُجُونَ بَيْنَ الْفِرْقَتَيْنِ؟" (١مل ١٨: ٢١)؛

"لاَ تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لأَنَّهُ أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبِرِّ وَالإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟" (٢كو ٦: ١٤).

■ حياة بالروح:

ويتكامل مع رفضنا الحاسم للخطية، بمعونة النعمة، أن نسلك بالروح، أي أن نُسلِّم الإرادة لقيادة الروح، فنميل إلى القداسة ولا يبقى للشرِّ مكانٌ. وكلَّما اقتربنا أكثر من الله وعشنا في النور وخضعنا لعمل الروح والتزمنا بالتوبة؛ كلَّما تراجعت ضغوط الخطية، وكلَّما حقَّقنا الغلبة في التجارب. لقد خرج المؤمن من عباءة العالم ورئيسه إبليس، ويحيا الآن للمسيح وفي المسيح وبالمسيح الذي يملك عليه، مُتتبِّعاً خُطاه:

"وَهُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ" (٢كو ٥: ١٥)؛

"تَارِكاً لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ" (١بط ٢: ٢١)؛

"نَظِيرَ الْقُدُّوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً قِدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ" (١بط ١: ١٥)؛

"إِنْ كَانَ اللهُ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا؟ اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضاً مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟" (رو ٨: ٣١، ٣٢)؛

"اسْلُكُوا بِالرُّوحِ فَلاَ تُكَمِّلُوا شَهْوَةَ الْجَسَدِ... إِنْ كُنَّا نَعِيشُ بِالرُّوحِ، فَلْنَسْلُكْ أَيْضاً بِحَسَبِ الرُّوحِ" (غل ٥: ١٦، ٢٥)؛

"وَلكِنَّ اهْتِمَامَ الرُّوحِ هُوَ حَيَاةٌ وَسَلاَمٌ... إِنْ كُنْتُمْ بِالرُّوحِ تُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسَتَحْيَوْنَ" (رو ٨: ٦، ١٣)؛

"مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ" (غل ٢: ٢٠)؛

"اِتْبَعُوا السَّلاَمَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ" (عب ١٢: ١٤).

ومن ناحية أخرى، فالحياة في النور تكتسح الظلام وتكشف الخطايا المخبوءة وتُحرِّض على التخلُّص منها. والروح من جانبه ينخس القلب (أع ٢: ٣٧) و"**يُنْشِئُ تَوْبَةً لِخَلاَصٍ بِلاَ نَدَامَةٍ**" (٢كو ٧: ١٠).

وبحسب الكتاب، فالخلاص ليس حَدَثاً مؤقتاً يتمُّ وينتهي الأمر، وإنما هو حياة بأكملها "**تمموا خلاصكم بخوف ورعدة**" (في ٢: ١٢). ولحياة الخلاص هذه التزاماتها، كما أنَّ للنعمة مصادرها وثمارها ومواهبها - كما سيرد لاحقاً - والتي تُساند وتُبارِك وتكمل في الضعف (٢كو ١٢: ٩).

■ موقف المؤمن من إبليس:

إلى نهاية الأيام، يظل **إبليس** خصماً للمؤمن و"**كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِساً مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ**" (١بط ٥: ٨). ولكننا لسنا وحدنا، فالرب دانه (يو ١٦: ١١) وقيَّد سلطانه. والمؤمن عند معموديته يجحد الشيطان، وإن كان طفلاً فوالداه يجحدان الشيطان عنه ساعة معموديته؛ ولكن عليه، عندما يبلغ الحلم، أن يجحد الشيطان بنفسه عند إعلان إيمانه أمام الكنيسة. وعلى المؤمن ألاَّ يخشى بأس إبليس بل يُقاومه غير هيَّاب، راسخاً في الإيمان (١بط ٥: ٩)، ومكتوبٌ: "**قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ**" (يع ٤: ٧). فإبليس ليس نِدّاً لله، إنه مخلوق مُخادِع مُضلِّل "**كذاب وأبو الكذاب**" (يو ٨: ٤٤). وهو مُراوِغ ويمكن أن "**يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور**" (٢كو ١١: ١٤).

نحن نرفع من قَدْر إبليس عندما يُضخِّم من دوره، ولكن من الغفلة أيضاً أن نتجاهله أو أن نستهين به، بل علينا أن نكون ساهرين

متأهِّبين. ولنحترس من خيانة الذات عدونا المُستتر المُتحالف مع إبليس والعالم، فإنَّ كثيراً من التجارب يسقط فيها الإنسان **"إِذَا انْجَذَبَ وَانْخَدَعَ مِنْ شَهْوَتِهِ"** (يع ١: ١٤)، ولنثق في قول الكتاب: إنَّ **"اللهَ أَمِينٌ، الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ، بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضاً الْمَنْفَذَ لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا"** (١كو ١٠: ١٣).

والذين يدخلون التجارب مُجرَّدين من أسلحتهم سينهزمون، وهذه وصية الكتاب: **"تَقَوُّوا فِي الرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ. الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ. فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ، عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ احْمِلُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي الْيَوْمِ الشِّرِّيرِ، وَبَعْدَ أَنْ تُتَمِّمُوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَثْبُتُوا. فَاثْبُتُوا مُمَنْطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ، وَلاَبِسِينَ دِرْعَ الْبِرِّ، وَحَاذِينَ أَرْجُلَكُمْ بِاسْتِعْدَادِ إِنْجِيلِ السَّلاَمِ. حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ تُرْسَ الإِيمَانِ، الَّذِي بِهِ تَقْدِرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ الشِّرِّيرِ الْمُلْتَهِبَةِ. وَخُذُوا خُوذَةَ الْخَلاَصِ، وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ. مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ، وَسَاهِرِينَ لِهَذَا بِعَيْنِهِ بِكُلِّ مُوَاظَبَةٍ وَطِلْبَةٍ، لأَجْلِ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ "** (أف ٦: ١٠-١٨).

■ المؤمن وشِبْه الشر:

بالحياة في النور ينفر المؤمن من الظلمة وتصير **"الْحَوَاسُّ مُدَرَّبَةً عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ"** (عب ٥: ١٤). فالحدود واضحة وحاسمة ولا مجال للمناطق الرمادية الخادعة القديمة، حيث يختلط الخير

والشر، لتطول فترة الغربة ويضيع الطريق إلى التوبة.

أكثر من ذلك، فإنَّ حساسية المؤمن ليست فقط ضد الخطية والشر الصريحَيْن، بل هو متحفظ أيضاً من الأفعال التي تحتمل شُبهة الشر والتي قد لا يفطن الكثيرون إلى انحرافها، ووصية الكتاب تحثُّنا أن نمتنع عنها: **"امْتَنِعُوا عَنْ كُلِّ شِبْهِ شَرٍّ"** (١تس ٥: ٢٢). وهذه بعض ألوان **شِبْه الشر** الشائعة:

+ فعل ما لا يليق أو يُوافق بحسب الآية: **"كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي، لكِنْ لَيْسَ كُلُّ الأَشْيَاءِ تُوَافِقُ"** (١كو ٦: ١٢)، كالمُبالغة في الزينة أو عدم التحشُّم في الملبس خاصة في الأفراح والأعياد(٣) أو عدم المُبالاة أو عدم اللياقة في التعامُل مع الآخرين، أو الكلام بصوتٍ عالٍ صاخب، أو عدم الاعتذار عن الإساءة ولو بغير قَصْد، أو التفاخُر والمُبالغة في الحديث عن النفس، أو الثرثرة والأحاديث الفارغة المُرسلة التي لا تفيد أو تبني (١كو ١٠: ٢٣).

+ النظر إلى الوجوه والمُحاباة والتمييز في التعامُل بين الناس: **"لاَ يَكُنْ لَكُمْ إِيمَانُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، رَبِّ الْمَجْدِ، فِي الْمُحَابَاةِ"** (يع ٢: ١)، **"مُهْتَمِّينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ اهْتِمَاماً وَاحِداً، غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِالأُمُورِ الْعَالِيَةِ بَلْ مُنْقَادِينَ إِلَى الْمُتَّضِعِينَ"** (رو ١٢: ١٦).

+ بُطء التسامُح وصعوبة الغفران: **"كَمَا غَفَرَ لَكُمُ الْمَسِيحُ هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً"** (كو ٣: ١٣).

+ تسلُّط العادات ولو لم تكن شريرة في ذاتها، كإدمان المكيفات والأطعمة، بما قد يُعطِّل مُمارسة الصوم **"كل الأشياء تحل لي لكن لا يتسلط علي شيء"** (١كو ٦: ١٢).

---

(٣) وهو ما جاء في (١بط ٣: ٣) موجَّهاً إلى النساء، ولكنه يصلح أيضاً - بشكلٍ ما - للشباب والرجال.

+ عدم الوفاء بالوعد أو الموعد بغير عُذر.

+ إغفال تقدير الجميل وإهمال مُقابلة أعمال المحبة بمثلها.

+ انتظار المُكافأة عند فعل الخير: **"أَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لاَ تَرْجُونَ شَيْئاً"** (لو ٦: ٣٥).

+ عدم احتمال المبتدئين وضعاف الإيمان: **"شَجِّعُوا صِغَارَ النُّفُوسِ. أَسْنِدُوا الضُّعَفَاءَ. تَأَنَّوْا عَلَى الْجَمِيعِ"** (١تس ٥: ١٤)، **"إِنِ انْسَبَقَ إِنْسَانٌ فَأُخِذَ فِي زَلَّةٍ مَا، فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ، نَاظِراً إِلَى نَفْسِكَ لِئَلاَّ تُجَرَّبَ أَنْتَ أَيْضاً"** (غل ٦: ١).

+ الانشغال الكثير بالعمل عن تكريس وقت أكثر للعبادة (سلوك **مرثا** بالمقابل مع **مريم** – لو ١٠: ٨).

+ عدم التبكير عند حضور القدَّاس.

+ الشعور بالملل وعدم التركيز أثناء الصلوات.

+ الفتور والتكاسل في العبادة الذي يعقب فترات الصوم الطويل والصلوات الكثيرة (كما في أيام البصخة).

+ محاولة تخفيف عبء الصوم بعدم الانقطاع واللجوء إلى أطعمة لا تكاد تختلف عن أطعمة أيام الفطر.

+ الشراهة والإغراق في الاهتمام بالطعام وتنوعه بعد التقشف والنسك أيام الصوم.

+ كثرة الشكوى والدمدمة وعدم الشكر.

+ إهدار الوقت أو الجهد أو المال فيما لا يُفيد.

+ الكسل ومحبة الراحة ما لا يُتيح تعب المحبة ولا يسمح بالنمو إلى آفاق روحية أرحب.

+ قسوة القلب وعدم الرحمة (كمُساومة البائع الجائل الفقير طويلاً لتخفيض السعر).

+ اللامبالاة والتثاقُل عند تقديم المساعدة، وضعف المُشاركة في هموم الآخرين وأفراحهم.

+ أخطاء الحوار: عدم احترام الرأي الآخر، الانحياز في الحُكْم، المُقاطعة والتجاوُز والانفعال، غياب الموضوعية والتطرُّق إلى جوانب شخصية، التعليقات السلبية والسعي للإثارة دون اعتبار للمحبة.

+ عدم مُراعاة ظروف الآخرين: كالزيارة أو الاتصال بغير موعد، الضحك في مجال الحزن، إرهاق المريض بالكلام الكثير، السخرية والاستخفاف بمشكلة الآخر.

+ الفضول والتدخُّل في شئون الآخرين والاغتياب.

+ المرح الزائد والضحك المُبالَغ فيه الذي يسحب من الجدِّيَّة ويُفتِّر الحياة الروحية.

+ احتقار الأعمال الصغيرة.

+ التزاحُم والتسابُق على المكان الأول، أو تخطِّي الدور.

+ على مستوى الدولة والوطن: التهرُّب من دفع الضرائب، عدم الإسهام في الخدمة العامة وحماية البيئة من التلوُّث.

سمات الحياة بالروح

المسيحي المُتمتِّع بالخلاص يحيا ويتحرَّك ويُوجَد بروح الله (أع ١٧: ٢٦)، وحياته بالروح لها سماتها الشاهدة التي تقودها النعمة وتُضرم فيها القوة: **"لاَ بِالْقُدْرَةِ وَلاَ بِالْقُوَّةِ، بَلْ بِرُوحِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ"** (زك ٤: ٦)، **"إِنْ كُنَّا نَعِيشُ بِالرُّوحِ، فَلْنَسْلُكْ أَيْضاً بِحَسَبِ الرُّوحِ"** (غل ٥: ٢٥):

(١) الإيمان والرجاء والمحبة:

موضوع **الإيمان** هو شخص يسوع المسيح والحق الكتابي، وأن **"لَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ"** (أع ٤: ١٢) والذي بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً (يو ١٥: ٥). والإيمان يجب أن يكون يقيناً راسخاً واثقاً ثابتاً معتمداً على قدرة الله ومحبته، وليس على الإمكانيات الذاتية والظروف المُحيطة. والمُرتاب **"يُشْبِهُ مَوْجاً مِنَ الْبَحْرِ تَخْبِطُهُ الرِّيحُ وَتَدْفَعُهُ. فَلاَ يَظُنَّ ذلِكَ الإِنْسَانُ أَنَّهُ يَنَالُ شَيْئاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ"** (يع ١: ٦،٧).

والرجاء هو الوجه الآخر للإيمان (**"الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى"** - عب ١١: ١) وامتداده الأُخروي: "... وَلَدَنَا ثَانِيَةً **لِرَجَاءٍ حَيٍّ** بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ... أَنْتُمُ الَّذِينَ بِقُوَّةِ اللهِ مَحْرُوسُونَ، **بِإِيمَانٍ، لِخَلاَصٍ** مُسْتَعَدٍّ أَنْ يُعْلَنَ فِي الزَّمَانِ الأَخِيرِ" (١بط ١: ٣،٥). والرجاء يتضمن الثقة في الرب ووعده بالمجد الأبدي (١يو ٢: ٢٥)، وهو يُساند الإيمان ويُشدِّده في التجارب. ومن ناحية أخرى، فالإيمان يُبقي الرجاء متوهِّجاً ثابتاً مُمسكاً بمواعيد الله مهما كانت الريح مضادة والظلام سائداً. والإيمان والرجاء مع **المحبة** هم أعمدة الحياة الروحية المسيحية (١كو ١٣: ١٣)، **"وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ"** (١يو ٤: ٨).

(٢) الصلاة:

الصلاة هي وسيلتنا كي نبقى دوماً مع الله نتكلَّم ونتحاور، وهي لا تتطلَّب مكاناً أو زماناً، بل هي مُتاحة أينما كُنَّا. وقد تكون حديثاً طويلاً أو تأمُّلاً أو فكراً أو تسبيحاً أو مجرَّد كلمة ("يا رب... ارحمني... أعنِّي") كصلاة العشَّار القصيرة: **"اللّهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِئَ"** في المَثَل الذي قاله السيِّد (لو ١٨: ١٣). وتعمُّدنا الوجود مع الله والإحساس الدائم بحضرته يمنع تسلُّل الشر إلينا من أيِّ باب، كما يُغيِّرنا لنكون على صورته. وفي الصلاة أيضاً نعرض طلباتنا على أبينا السماوي بحسب الوصية: **"اِسْأَلُوا تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا تَجِدُوا. اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ"** (مت ٧: ٧؛ لو ١١: ٩). والصلاة مجالٌ لا يُبارَى للاتصال بالروح ونوال معونته في الضعف: **"لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي. وَلكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنَّاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا"** (رو ٨: ٢٦).

(٣) كلمة الله:

يصف الكتاب **كلمة الله** أنها "**حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ**" (عب ٤: ١٢)، وأنها "**... سَيْفَ الرُّوحِ**" (أف ٦: ١٧)، وهي واجبة الحفظ والطاعة والإنصات: "**مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ**" (يو ٥: ٢٤)، "**مَنْ قَالَ: "قَدْ عَرَفْتُهُ" وَهُوَ لاَ يَحْفَظُ وَصَايَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيهِ... فَإِنَّ هذِهِ هِيَ مَحَبَّةُ اللهِ: أَنْ نَحْفَظَ وَصَايَاهُ**" (١يو ٢: ٤؛ ٥: ٣)، ومنها تأتينا إجابة الله على طلباتنا في الصلاة. وهي تُعلِّم وتُقدِّس وتُطهِّر وتُعطي استنارة، وهي خريطة طريق إلى الحياة الأبدية: "**الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ**" (يو ٦: ٦٣)، "**فَتِّشُوا الْكُتُبَ لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً**" (يو ٥: ٣٩). ونحن إذ نقيس أنفسنا على كلمة الله نكتشف قصورنا وضعفاتنا، وبتفصيلها نتغيَّر إلى الصورة التي يُريدها الله لنا: "**أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلاَمِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ**" (يو ١٥: ٣)، "**مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ**" (١بط ١: ٢٣)، "**فَقَطْ عِيشُوا كَمَا يَحِقُّ لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ**" (في ١: ٢٧).

(٤) الصوم:

إذا عرفنا أن **الصوم** لا يعني فقط الامتناع عن الطعام، وإنما أيضاً عن شهوات الجسد مُقترناً بتكثيف النشاط الروحي في الصلاة وقراءة الكلمة والتوبة والتناول المتواتر والخدمة الباذلة، لأدركنا كم نحن نتقدَّم في الروح

في فترات الصوم. والمسيح والأنبياء هم أسوتنا في هذا المجال لكي نفهم هذه التوأمة بين الصلاة والصوم.

(٥) التناول:

بالتناول من جسد الرب ودمه، نحن نحتوي فينا حياة المسيح **"خُبز الحياة"** (يو ٦: ٤٨): **"يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ"** (يو ٦: ٥٦)، وبه نُبشِّر بموت الرب ونعترف بقيامته ونذكره إلى أن يجيء وندخل ملكوته، وبه تُغفر الخطايا التي تُبنا عنها واعترفنا بها: **"يعطَى عنَّا خلاصاً وغُفراناً للخطايا وحياة أبدية لَمن يتناول منه"**، وبه نحصل على القوة التي تقهر الأهواء وتغلب العالم.

(٦) الاعتراف:

الاعتراف قرين **التوبة**. والإقرار بالخطية أمام الله والكنيسة، والإفصاح عنها وإشهارها بعد الندم عليها يُجرِّدها من قوَّتها ويُعلِن التحرُّر منها. فإنَّ كتمانها (الذي يمنع غُفرانها) يُتيح الرجوع إليها، ويكشف أنه لا توجد نيَّة مُخْلِصة للتخلِّي عنها: **"مَنْ يَكْتُمُ خَطَايَاهُ لاَ يَنْجَحُ، وَمَنْ يُقِرُّ بِهَا وَيَتْرُكُهَا يُرْحَمُ"** (أم ٢٨: ١٣)، **"إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ"** (١يو ١: ٩).

(٧) العطاء والخدمة:

العطاء والخدمة هما الترجمة العملية لوصية المحبة لله والقريب، ولوصية الصدقة، ولوصية إنكار الذات وحَمْل الصليب كتلاميذ ليسوع المسيح: **"بِهذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ** (المسيح) **وَضَعَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لأَجْلِ الإِخْوَةِ"** (١يو ٣: ١٦)، **"أَعْطُوا تُعْطَوْا"** (يو ٦: ١٨)، **"مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ"** (أع ٢٠: ٣٥).

وفي الخدمة نحن نلتقي مُباشرة بشخص المسيح: "**بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ**" (مت ٢٥: ٤٠)، والرب لن ينساها "**لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه، إذ خدمتم القديسين وتخدمونهم**" (عب ٦: ١٠).

(٨) ثمر الروح:

الحياة في الروح **ثمارها** الأكيدة: "**مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ**" (غل ٥: ٢٢،٢٣). **والمحبة** هي رأس الثمار وتاجها ومنها تتولَّد باقي الثمار: "**مَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ**" (١يو ٤: ٨)، "**لأَنَّ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ النَّامُوسَ... فَالْمَحَبَّةُ هِيَ تَكْمِيلُ النَّامُوسِ**" (رو ١٣: ٨،١٠؛ غل ٥: ١٤)، وهي "**رِبَاطُ الْكَمَالِ**" (كو ٣: ١٤).

(٩) مواهب الروح:

بينما ثمار الروح ينالها الجميع، فهي مِن سِمَات كل مؤمن، فإنَّ **المواهب الروحية** (١كو ١٢) متنوعة بحسب قامة المؤمن الروحية والنفسية واستعداده وخضوعه للروح وكلمته وبحسب الحاجة: "**وَلكِنَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يُعْطَى إِظْهَارُ الرُّوحِ لِلْمَنْفَعَةِ. فَإِنَّهُ لِوَاحِدٍ يُعْطَى بِالرُّوحِ... ولآخر... ولآخر... وَلكِنَّ هذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ، قَاسِماً لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ كَمَا يَشَاءُ**" (١كو ١٢: ٧-١١): كلام حكمة (وعظ وتوجيه)، كلام علم (خدمة تعليم)، إيمان، شفاء، عمل قوات، نبوَّة (تفسير الكلمة)، تمييز أرواح، ألسنة، ترجمة؛ وكلها تُكمِّل بعضها بعضاً، والكنيسة تحتاج للجميع.

(١٠) النمو الروحي:

كما ننمو في الجسد من الطفولة إلى الشباب؛ هكذا من الطبيعي أن ينمو المؤمن الحي في الروح **"انموا في النعمة وفي معرفة ربنا يسوع المسيح"** (٢بط ٣: ١٨)؛ **"ينميكم ويزيدكم في المحبة"** (١تس ٣: ١٢) وفي الإيمان ومعرفة الكلمة والخدمة والعطاء، والثمار ثلاثين وستين ومائة، ويُفعِّله الاختبار والتعليم وأنواع الآلام.

"تكلم يا رب لأن عبدك سامع" (١صم ٣: ٩، ١٠)

أسئلة تتطلب إجابات

في دراستنا لقضية محورية كتلك المتعلقة بالخطية والشر، يواجهنا عدد من التساؤلات الملّحة التي تحير الكثيرين، والتي تقتضي الإجابة عليها لتجريدها مما يحيطها من غموض. وقد اخترنا من بينها الأسئلة الأربعة الرئيسية التالية:

(١) الكل خطاة، ما الفرق إذاً بين المؤمن وغير المؤمن؟

هذا السؤال دون شك يثير الحيرة: **كيف أنه بعد تجسُّد الرب وآلامه وموته وقيامته من أجل خلاص الإنسان من الخطية وتبعاتها، لا يستطيع المؤمن المسيحي أن يقول إني لا أُخطئ؟**. والقديس **بولس** رسول الأُمم العظيم يرى نفسه **أول الخطاة** (١تي ١: ٥)؛ بل إنَّ **مُعلِّمنا القديس يوحنا** يكتب: **"إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا... إِنْ قُلْنَا: إِنَّنَا لَمْ نُخْطِئْ نَجْعَلْهُ كَاذِباً، وَكَلِمَتُهُ لَيْسَتْ فِينَا"** (١يو ١: ٨، ١٠). فإذا كان الكلُّ يُخطئون، فما الذي غيَّره الخلاص في طبيعتنا، **وما الفارق إذاً بين المؤمن وغير المؤمن؟**

الفارق هو أنَّ الولادة الجديدة تجعل قداسة الجسد والنفس والروح والضمير هي الأمر الطبيعي، والخطية هي الدخيلة الغريبة والاستثنائية. والمؤمن من جانبه يرفضها ويُقاومها، وحتى إن ارتكبها بالضعف أو السهو أو بتجربة الشرير الطارئة، فهو لن يسمح لها أن تستقرَّ لأن الروح القدس يكشفها له ويُبكّته عليها، ومِن ثمَّ يُسرع بالتخلُّص منها واثقاً أنَّ "... **دَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ... إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ**" (١يو ١: ٧،٩). على الجانب الآخر، فغير المؤمن يُمارس الخطية بالطبيعة دون حرج أو تحفُّظ أو خجل، ويقول عنه الكتاب: إنه "**الشَّارِبُ الإِثْمَ كَالْمَاءِ**" (أي ١٥: ١٦)، "**الَّذِينَ إِلهُهُمْ بَطْنُهُمْ وَمَجْدُهُمْ فِي خِزْيِهِمِ، الَّذِينَ يَفْتَكِرُونَ فِي الأَرْضِيَّاتِ**" (في ٣: ١٦).

فعمل المسيح الخلاصي لم يتوقَّف. وهو جَلَس عن يمين الآب بجراحات الصليب في جسده المُمجَّد، صائراً رئيس كهنة فريداً: "**لَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُولٍ، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا**" (عب ٩: ١٢). من هنا "**إِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضاً**" (١يو ٢: ١،٢).

ويحضرنا في هذا المجال ما قاله الرب لتلاميذه وهو عالمٌ أنَّ ساعته قد جاءت. كانت ليلة الصليب، وقد انتهى الرب من عشاء الفصح، ورَسَمَ سرَّ الشكر. إذ بعدها خَلَعَ ثيابه وأَخَذَ منشفة وجلس على الأرض وابتدأ يغسل أرجُل تلاميذه. فلما جاء إلى بطرس، تمنَّع وهَاله أن يغسل الرب رجليه. فلما قال له الرب: "**إِنْ كُنْتُ لاَ أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ**". فقال بطرس: "**يَا سَيِّدُ، لَيْسَ رِجْلَيَّ فَقَطْ بَلْ أَيْضاً يَدَيَّ وَرَأْسِي**"، فردَّ

عليه السيد: **"الَّذِي قَـدِ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَـةٌ إِلاَّ إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ، بَلْ هُـوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ. وَأَنْتُمْ طَاهِرُونَ وَلكِنْ لَيْسَ كُلُّكُمْ"** (يو ١٣: ١-١٠).

فهنا **أحـد عشر** تلميذاً (طاهرون) في جانب، و**واحد** فقط على الجانب الآخر (غير طاهر). أي أنَّ المؤمن الذي اغتسل (أي آمن وتاب واعتمد) هـو طاهرٌ وقد انتقل مـن الموت إلى الحياة، وصار ابناً لله، والخطية بالنسبة له هي كالتلوُّث بغُبار الطريق وهو يسير في هـذا العالم، وليس له حاجة **"إِلاَّ إِلَـى غَسْلِ رِجْلَيْهِ"**، أي التوبة للتخلُّص مِمَّا عَلَق به. ودم يسوع المسـيح الشـفيع (الكفَّاري) الدائم يُطهِّر من كل خطية ويكفل الغفران إلى النهاية.

فالمؤمن عندما يُخطئ لا يفقد بنوَّته لله لأنها لم تكن مؤقَّتة. والابـن الضال بعد أن خرج من بيت أبيه وأَخَذَ نصيبه مـن المال، بَقَى ابناً لأبيه المُحب الذي ظلَّ ينتظر عودته. وهكـذا لَمَّا رآه قادماً مـن بعيد، رَكَضَ إليه **"ووقـع على عنقه وقبَّله"**، وأعلـن الفرح بعودة ابنه الذي **"كـان ضـالاً فُوجِـدَ"** (لو ١٥: ١١-٣٢). فالذين تحت مظلَّة النعمة، لا يمكـن أن تسودهم الخطية (رو ٦: ١٤).

فـالفارق بين المؤمـن وغير المؤمن عندما يُخطئان، هـو كالفـارق بـين مَـن قـاتَل وانفلت بعد جرحه، ومَن استسلم من البداية وتمَّ أَسْره؛ أو بين مَن تعثَّر داخل السفينة (المجال الإلهي) ثم نهض واقفاً صامداً ولسان حالـه يقـول: **"لاَ تَشْمَتِي بِي يَا عَدُوَّتِي، إِذَا سَقَطْتُ أَقُومُ"** (ميخا ٧: ٨)، ومَن سقط مـن السفينة وابتلعه اليَمُّ (العالم الشرير)؛ أو بين مَن أصابه مرض عابـر علاجـه مضمون ومُتاح، وصاحب المرض المُزمـن الذي يصعب شفاؤه؛ أو بين الثوب الجديد الذي لوَّثته بقعة يُزيلها التنظيف، والثوب المُتهرئ الذي لا يمكن رتقه ولا حَل هناك غير استبداله.

(٢) ما معنى أن المؤمن لا يُخطئ؟

"كُلُّ مَنْ يَثْبُتُ فِيهِ لاَ يُخْطِئُ... كُلُّ مَنْ هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ لاَ يَفْعَلُ خَطِيَّةً، لأَنَّ زَرْعَهُ يَثْبُتُ فِيهِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْطِئَ لأَنَّهُ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ... نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللهِ لاَ يُخْطِئُ، بَلِ الْمَوْلُودُ مِنَ اللهِ يَحْفَظُ نَفْسَهُ، وَالشِّرِّيرُ لاَ يَمَسُّهُ" (١يو ٣: ٦،٩؛ ٥: ١٨).

على ضوء ما سبق ذِكْره، فالقصد من الآيات السابقة أنَّ المؤمن، لأنه وُلِدَ من الله، لا يسعى للخطية ولا يُبادر بها إلاَّ استثناءً، ولا يستمر فيها راضياً كنهج غير المؤمنين. وكل تصرُّفاته تَشي بنفوره من الشر والأشرار (١كو ١٥: ٣٣)، ومَيْله إرادياً ومُمارسته لحياة القداسة والسماويَّات، وتطلُّعه للحياة الأبدية. فهو ساهرٌ متأهِّبٌ دوماً كالعذارى الحكيمات، مُدقِّقٌ يحفظ الوصية، ناكرٌ لذاته، عضوٌ حي في الكنيسة، لا يستكبر بل يخاف الله مُلتصقٌ به، وهو مُحبٌّ كسيِّده، يُعطي ويخدم غيره إلى حدِّ غَسْل الأرجل، ويغفر بغير حدٍّ، يتغذَّى روحيّاً بالصلاة والصوم والكلمة والتوبة والتناول، وبها يتسلَّح ضد الخطية ومكائد إبليس.

ولأن المؤمنين يتفاوتون في مستوى إيمانهم بين مَن هم أغنياء فيه (يع ٢: ٥)، ومَن هم ضعاف وقليلو الإيمان؛ فمنهم من يغلب الشرير والعالم (١يو ٢: ٤؛ ٥: ٤)؛ ومنهم مَن يبدأ ضعيفاً، ولكن بمعونة النعمة ومعرفة الله وكلمته ينمو إيمانه ليصير تُرساً (أف ٦: ١٦) أو دِرْعاً (١تس٥: ٨) يحميه من هجمات العدو، ويَهَبه أن يرى مجد الله (يو ١١: ٤٠).

كما يمكن القول إنَّ **الإنسان الجديد** الذي صار لنا بالميلاد الثاني (٢كو ٥: ١٧)، أو **الإنسان الباطن** (رو ٧: ٢٢؛ أف ٣: ١٧)، أو **الخليقة الجديدة** (٢كو ٥: ١٧) حيث يسكن المسيح فينا (غل ٢: ٢٠؛

أف ٣: ١٨)؛ لا يُخطئ ولا يستطيع أن يُخطئ. أمَّا الذي يُخطئ فهو **الإنسان العتيق** (أف ٤: ٢٢؛ كو ٣: ٩) الذي يذبل مع كلِّ يوم. وكما يقول **القديس بولس**: **"فَإِنِّي أُسَرُّ بِنَامُوسِ اللهِ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ. وَلكِنِّي أَرَى نَامُوساً آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي... إِذاً أَنَا نَفْسِي بِذِهْنِي أَخْدِمُ نَامُوسَ اللهِ، وَلكِنْ بِالْجَسَدِ نَامُوسَ الْخَطِيَّةِ"** (رو ٧: ٢٢-٢٥).

وكلمة المسيح وروحه تُساند المؤمن وتحفظه من الضعف والسقوط، وتحميه أمام هجمات العدو، فتطيش سهامه ولا تمسُّه، بل تُعطيه قوَّة ومناعة وخبرة في التعامُل مع المعارك الآتية: **"لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ، أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ"** (أف ٣: ١٦).

(٣) خطية للموت، وخطية ليست للموت.. كيف؟

يكتب **القديس يوحنا** في رسالته الأولى: "إِنْ رَأَى أَحَدٌ أَخَاهُ يُخْطِئُ **خَطِيَّةً لَيْسَتْ لِلْمَوْتِ، يَطْلُبُ** (من أجله)، فَيُعْطِيَهُ حَيَاةً... تُوجَدُ **خَطِيَّةٌ لِلْمَوْتِ**. لَيْسَ لأَجْلِ هذِهِ أَقُولُ أَنَّ يُطْلَبَ. كُلُّ إِثْمٍ هُوَ خَطِيَّةٌ، وَتُوجَدُ **خَطِيَّةٌ لَيْسَتْ لِلْمَوْتِ**" (١يو ٥: ١٦،١٧).

والخطية التي ليست للموت، هي خطية المؤمن بالضعف أو التجربة. وهذه بالتوبة ينال صاحبها الغفران، وهو ما كفله دم المسيح بفدائه. وفي العهد القديم كانت تُغفَر **خطية السهو** وحدها بعد تقديم اعتراف وذبيحة (عد ١٥: ٢٧،٢٨). أمَّا **الخطية التي للموت**، فهي خطية الخاطئ المُتعمِّد دون تراجُع عنها بالتوبة، وبغير شعور بالندم أو التبكيت إذ فارقه الروح القدس. وكل خطاياه بالتالي هي تُضيف إلى رصيد الموت الأبدي الذي ينتظره. والرسول مِن ثمَّ يُعلِّم أن لا يُطلَب من أجل هذا الخاطئ وغُفرانه ويُترك

الحُكْم لله. **وخطية العَمْد** لم تكن تُغفَر في العهد القديم بأيِّ حال، فعقوبتها الموت (خر ٢١: ١٢؛ عد ٣٥: ٣٠،٣١).

وقد أشار الرب إلى **الخطية التي لا تُغفَر** عندما تقوَّل عليه الكَتَبَة والفرِّيسيون إنه "ببعلزبول رئيس الشياطين يُخرج الشياطين" (مت ١٢: ٢٤؛ مر ٣: ٢٢؛ لو ١١: ١٥)، لأنهم بهذا يُنكرون لاهوته وبراءته من الخطية، ويتهمونه بشركة إبليس المُستحيلة؛ فقال لهم: **"كُلُّ خَطِيَّةٍ وَتَجْدِيفٍ يُغْفَرُ لِلنَّاسِ. وَمَنْ قَالَ كَلِمَةً عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ** (باعتباره واحداً من البشر) **يُغْفَرُ لَهُ"** (مت ١٢: ٣١،٣٢) [فاقرباؤه قالوا عنه إنه مُختل (مر ٣: ٢١)؛ وأكثر من ذلك استُهزئ به ولُطم وتُفل عليه وصُلِب، ولكنه طلب الغفران لصالبيه **"لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون"** (لو ٢٣: ٣٤)]. أمَّا الطعن في لاهوته، ونَسب عمل الروح القدس إلى الشياطين، فهو ما لا يمكن التسامُح فيه ولا يُغفَر لمُرتكب هذه الخطية (مت ١٢: ٣١،٣٢؛ مر ٣: ٢٨،٢٩)؛

"فَإِنَّهُ إِنْ أَخْطَأْنَا بِاخْتِيَارِنَا بَعْدَ مَا أَخَذْنَا مَعْرِفَةَ الْحَقِّ، لاَ تَبْقَى بَعْدُ ذَبِيحَةٌ عَنِ الْخَطَايَا، بَلْ قُبُولُ دَيْنُونَةٍ مُخِيفٌ، وَغَيْرَةُ نَارٍ عَتِيدَةٍ أَنْ تَأْكُلَ الْمُضَادِّينَ. من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة، فَكَمْ عِقَاباً أَشَرَّ تَظُنُّونَ أَنَّهُ يُحْسَبُ مُسْتَحِقًّا مَنْ دَاسَ ابْنَ اللهِ، وَحَسِبَ دَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قُدِّسَ بِهِ دَنساً، وَازْدَرَى بِرُوحِ النِّعْمَةِ؟ (يقصد الذين ارتدُّوا عن الإيمان وعادوا إلى اليهودية)" (عب ١٠: ٢٦-٢٩) (١).

فالخطية هي التي جعلت ابن الله يترك عرشه ومجده ويظهر في الهيئة كإنسان بلا خطية ليخلص البشر من ميراث الخطية والموت. فمَن يرفض ابن الله

---

(١) لتفاصيل أكثر عن هذا الموضوع يرجى الرجوع إلى مقال **"الخطية التي لا تغفر"** في **الكتاب العاشر من سلسلة "نور الحياة"** (ص ١١٨-١٣٣).

ويحتقر عمل دمه، يُفارقه الروح القدس، روح التوبة، فيفقد الشعور بالندم والدافع إلى التوبة؛ ومِن ثمَّ يبقى في خطيته دون غفران ونهايته الموت الأبدي. **"الذي لا يؤمن به قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد"** (يو٣: ١٨).

والروح يحفظ المؤمن من السقوط في خطية التجديف على الروح القدس، ويحفزه دائماً للتوبة كلما أخطأ. كما أن خطية التجديف لا تقع فجأةً، بل يسبقها تباعُد الشخص التدريجي عن حياة القداسة والجهاد وانجذاب إلى الخطية رغم إلحاح صوت الروح الذي أحزنه (أف ٤: ٣٠). فإن ظلَّ على تجاهُله للدعوة للرجوع، يأتي وقت ينطفئ فيه الروح (١تي ٥: ٩)، ويتخبَّط في الظلام كموقفٍ ثابت إلى النهاية(٢).

(٤) هل نعمة الغفران للتائب تجعل فعل الخطية سهلاً؟

يُثير البعض احتمال أنَّ الوعد الإلهي بغفران خطية التائب مهما عظمت وتكرَّرت (إش ١: ١٨؛ ١يو ١: ٧-٢: ٢٧)، قد يقود المؤمن إلى التكاسُل وعدم الجهاد واستسهال فعل الخطية والتخفيف من وقعها، طالما أن غفرانها قد كفله دم المسيح. وإنه إذا كان ردُّ المسيح على بطرس الذي سأله: **"كَمْ مَرَّةً يُخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَنَا أَغْفِرُ لَهُ؟ هَلْ إِلَى سَبْعِ مَرَاتٍ؟"**، بالقول: **"لاَ أَقُولُ لَكَ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ، بَلْ إِلَى سَبْعِينَ مَرَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ"** (مت ١٨: ٢١،٢٢)، فكم بالأَوْلَى اتِّساع قلب الله بالغفران للخاطئ التائب؟

---

(٢) ما يشير إليه كاتب العبرانيين عن **"الذين ذاقوا الموهبة السماوية، وصاروا شركاء الروح القدس، وذاقوا كلمة الله الصالحة، وقوات الدهر الآتي، وسقطوا، لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهِّرونه"** (عب٦: ٤-٦). كان للتحذير والتحفظ من السقوط (**إذا من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط**- ١كو١٠: ٣٢). وليس لأنه أمر حادث بين من كتب لهم، لأنه مدحهم في السياق من أجل تعب محبتهم في خدمة القديسين (عب٦: ٣).

ونقـــول إنَّ المؤمن الحقيقي الذي يُـــدرك تماماً الفارق بين ما كان عليه وما صار إليه، عندما افتقدته نعمة الله وأنقذته من الهلاك لما آمن بعمل المســـيح مـــن أجله؛ هو يُوقِّر دم الفادي المُخلِّص، ويشكر الله على نعمة الغفران، مِمَّا يجعلـــه يتمسَّك بالحياة مع الله الممتلئة بالسلام والنصرة، ويكره الخطية التي سبَّبت تعاسته طويلاً. فأن يُخطئ المؤمن بعد هذا لأنه واثقٌ مـــن حصوله على غفرانٍ يعـــرف الطريق إليه، فهذا سلوك المؤمنين الاسميين، والمُستهترين الانتهازيين الذين فقـــدوا روح التوبـــة، والمُزدرين لروح النعمة (عب ١٠: ٢٩).

في رسالته إلى رومیـــة، كَتَبَ معلِّمنا **القديس بـــولس** مُتسائـــــلاً: **"فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَنَبْقَى فِي الْخَطِيَّةِ لِكَيْ تَكْثُرَ النِّعْمَةُ؟"**، ويُجيب: **"حَاشَـــا! نَحْنُ الَّذِينَ مُتْنَا عَنِ الْخَطِيَّةِ، كَيْفَ نَعِيشُ بَعْـــدُ فِيهَـــا؟"** (رو ٦: ١، ٢). فالمؤمن الحقيقي مُبتهجٌ بالحرية التي نالها بالمسيح، ولن يســـمح أن تصـــير **"فرصةً للجسد"** (غـــل ٥: ١٣) أو **"سُترةً للشـــرِّ"** (١بـــط ٢: ١٦)، ليرتبك بنِير العبودية من جديد (غل ٥: ١).

فرغم وعود الله المُحب بطيء الغضب بأن لا يعود يذكر خطايـــا التائـــب (يؤ ٢: ١٢-١٤)، فهذا لا يجعل فعل الخطية سهلاً. فتكرار الخطية ثم التوبـــة عنها ثم العودة إليها من جديد، يُلوِّث الحياة، وشيئاً فشيئاً تتعسَّر التوبة. وهـــو يؤدِّي إلى انقسام القلب وتشتُّت الذهن، ويُعكِّر صفو الحياة، ويجعل الخطيـــة حاضرة منطلقة تقتحم الفكر حتى في أقدس الأوقات. وهذا مـــا لا يمكـــن أن يُقدِم عليه مؤمن حقيقي اختبر الحياة الجديدة مع الله.

قيامة الحياة

نأتي هنا إلى نهاية المطاف في قضية الخطية والشر.. فالخطية، التي كانت عاقبتها موت البشر وانفصالهم عن الله، تصدى لها الله لإنقاذ الإنسان من الموت الأبدي. فكان التدبير الإلهي بتجسد الابن بغير خطية الإنسان، وبذله نفسه حتى الموت الذي سحقه بقيامته، ووعده بالحياة الأبدية لكل من يؤمن به مخلصاً وفادياً، ومجيئه في آخر الأيام لتمجيد قديسيه ودخولهم الملكوت، ولدينونة إبليس وكل من لم يؤمن، وإعلان هزيمة الخطية والموت.

■ المسيح يعلن دينونة إبليس والخطية:

في اليوم التالي لدخوله أورشليم، قبل أيام من الصليب، قال الرب لتلاميذه: **"قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان... الآن دينونة هذا العالم. الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً. وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع** (قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يموت)"،

وكيف بصليبه سيختطف من يد الشيطان سباياه (يو ١٢: ٢٣، ٣١-٣٣).

وفي حديثه الأخير ليلة الصليب قال "**ومتى جاء ذاك** (الروح القدس) **يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة.. وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين**" (يو١٦: ٨، ١١).

■ مجيئه الأول للخلاص ومجيئه الثاني للدينونة:

بحسب التدبير الإلهي، كما أعلنته لنا كلمة الله، فقد جاء الرب إلى العالم **مخلّصاً وفادياً** ومنقذاً من الموت لكل من يؤمن، وليس لكي يدين أحداً. ولكن مجيئه الثاني سيكون **للدينونة**، وكما كان **المخلص** الذي "**بذل نفسه فدية عن كثيرين**" (مت٢٠: ٢٨) لوأد الخطية، سيكون هو **الديان** وحده لإبليس والخطية وكل من رفضوا الخلاص:

"**من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يُدَن**" (مر١٦: ١٦)؛

"**لأنه لم يرسل الله ابنه ليدين العالم بل ليخلص به العالم، الذي يؤمن به لا يدان، والذي لا يؤمن به قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد. وهذه هي الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة**" (يو٣: ١٧-١٩)؛

"**الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله**" (يو٣: ٣٦)؛

"**من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة**" (١يو ٥: ١٢)؛

"**إن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه. لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلّص العالم**" (يو١٢: ٤٧)؛

"**إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد**" (يو٨: ٥٠)؛

"**لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح**" (رو٨: ١)؛

"**لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن... وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً**" (يو٥: ٢٢، ٢٧)؛

"**من هو الذي يدين: المسيح الذي مات بل بالحري قام أيضاً، الذي هو عن يمين الله، الذي أيضاً يشفع فينا**" (رو٨: ٣٤)؛

"**يجازي كل واحد حسب عمله**" (مت١٦: ٢٧)؛

"**المعيّن من الله دياناً للأحياء والأموات**" (اع١٠: ٤٢، ١بط ٤: ٥)؛

"**أدين ودينونتي عادلة**" (يو٥: ٣٠)؛

"**يدين المسكونة بالعدل**" (أع١٧: ٣١)؛

"**الرب الديان العادل**" (٢تي٤: ٨)؛

"**دينونتي حق**" (يو٨: ١٦، رو٢: ٢).

■ عن المجيء الثاني:

في مجيئه الأول، أعلن لنا الرب عن أنه سيأتي في مجده لكي "**يجازي كل واحد حسب عمله**" (مت ١٦: ٢٧، رو٢: ٦، ١كو ٣: ٨)، فيمجد مؤمنيه بالحياة الأبدية، ويجازي الذين رفضوه وقاوموه بمشورة إبليس بالموت الأبدي، وهكذا يدخل الإنسان، بحسب خطة الله منذ الأزل، إلى حيث شجرة الحياة التي ضل الطريق إليها عند خلقته (تك٣: ٥):

"**فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته** (صوت ابن الله) **فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة**" (يو٥: ٢٨، ٢٩)؛

"لأنه لابد أننا جميعاً نُظهرَ أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً" (٢كو٥: ١٠)؛

"لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي ينير خفايا الظلام ويُظهر آراء القلوب، وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله" (١كو ٤: ٨)؛

"أما الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية. وأما الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون للحق بل يطاوعون للإثم فسخط وغضب، شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر" (رو٢: ٧-٩)؛

"ومتى جاء ابن الإنسان في مجده، وجميع ملائكته القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده. ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضها عن بعض... ثم يقول الملك للذين عن يمينه (الأبرار) تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم.. ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار (الأشرار) اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدَّة لإبليس وملائكته.. فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية" (مت٢٥: ٣١- ٤٦)؛

"وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون. هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للإزدراء الأبدي" (دا ١٢: ٢).

■ عن قيامة الحياة:

قيامة الحياة للمؤمنين ودخولهم إلى المجد هي المجازاة الإلهية لمن عاشوا بالإيمان مجاهدين ضد الخطية والعالم، رافضين تبعية إبليس، وطائعين لوصية الله، ومحتملين للإضطهاد والآلام من أجله **"لكي يستريحوا من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم"** (رؤ١٤: ١٣)؛ **"كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه"** (١كو٣: ٨).

واقع الأمر أن حياتنا الأبدية بدأت هنا منذ أن آمنّا واعتمدنا، وهكذا تمتد إلى الأبد عندما يأتي الرب على السحاب ويضم مؤمنيه إلى ملكوته الأبدي **"نحن أنفسنا نفتخر بكم في كنائس الله من أجل صبركم وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم والضيقات التي تحتملونها، بينةً على قضاء الله العادل أنكم تؤهلون لملكوت الله الذي لأجله تتألمون أيضاً"** (٢تس١: ٤، ٥)؛

"وهذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية، وهذه الحياة هي في ابنه" (١يو٥: ١١)؛

"لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء. والأموات في المسيح سيقومون أولاً، ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء وهكذا نكون كل حين مع الرب" (١تس٤: ١٦، ١٧)؛

"في لحظة في طرفة عين كلنا نتغير (١كو١٥: ٥١، ٥٢) لنقام جسماً نورانياً روحانياً ممجداً (١كو١٥: ٤٤) لأن **"لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله"** (١كو١٥: ٥٠). نعم... فالرب **"سيغير شكل جسد**

تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده" (في٣: ٢١) فلا جوع أو عطش (رؤ٧: ١٦)، ولا خطية ولا فساد، ولا ضعف أو تعب أو احتياج، ولا ألم أو مرض أو همّ أو قلق، ولا حُزن ولا دموع ولا صراخ ولا وجع (رؤ٢١: ٤)، ولا مفاجآت صادمة أو خسائر، بلا مركّبات نقص أو استعلاء وسائر أمراض الخطية القديمة، فلا كراهية أو غيرة أو خوف أو غضب أو شهوات. كما تتوارى العداوات والإرهاب والإضطهاد والتهديد، والتمييز والفروق الاجتماعية، والفقر والجهل والمرض، وكل نقائص وعيوب الحياة الجسدية والوجود في العالم. وتتوهج الصفات النبيلة من محبة واتضاع وخدمة باذلة وميل للخير، وامتلاء بالشكر والسلام والفرح بالأبدية والشركة الإلهية ورفقة الآباء والأنبياء والتلاميذ والرسل والشهداء والقديسين، وانفتاح المعرفة على ما كان محجوباً ونحن في سجن الجسد، مع إمكانات الروح في الانطلاق وحرية الحركة وفوق الكل رؤية النور الإلهي **"فإننا ننظر الآن في مرآة في لغز ولكن حينئذ وجهاً لوجه. الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عُرفت"** (١كو١٣: ١٢) حيث المسيح **"يملأ الكل في الكل"** (أف ١: ٢٣، ٤: ١٠، كو٣: ١١).

+ نعم.. سيكون أعظم ما في حياتنا الأبدية أن **"نكون كل حين مع الرب"** (يو١٤: ٣، ١٧: ٢٤، ١تس ٤: ١٧). وأن نراه **"وجهاً لوجه"** (١كو ١٣: ١٢، رؤ٢٢: ٤)، **"ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف** (بغير برقع) **كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح"** (٢كو ٣: ١٨)، ونراه **"كما هو"**

(١يو ٣: ٣). وكل ما سوف نعاينه في الملكوت سوف يكون جديداً وغير مسبوق لمعرفتنا **"ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان، ما أعده الله للذين يحبونه"** (١كو٢: ٩)، **"ولا يكون ليل هناك ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس. لأن الرب الإله ينير عليهم"** (رؤ٢٢: ٥) **"حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم"** (مت١٣: ٤٣).

+ وأعداؤنا لم يعُدوا هناك.. **فالجسد** قد انحلّ، و**العالم** قد مضى وشهوته (١يو٢: ١٧). **وإبليس "رئيس هذا العالم قد دين"** (يو١٦: ١١)، **"والموت** لا يكون في ما بعد" (رؤ٢١: ٤) "آخر عدو يُبطل هو **الموت"** (١كو١٥: ٢١) "أين شوكتك يا موت.. أما شوكة الموت فهي **الخطية"** (١كو ١٥: ٥٥، ٥٦).

هكذا نحيا في **"حرية مجد أولاد الله"** (رو٨: ٢١) بلا غواية، وكملائكة الله **"لا يزوِّجون ولا يتزوجون"** (مت٢٢: ٣٠)، فالتناسل في الأرض كان لتعويض النفوس التي يطويها الموت، أما والموت لم يعد هناك فينتفي الميل الجسدي ومعه الزواج والتناسل.

+ تمجيد الأبرار المؤمنين بالرب يسوع في مجيئه الثاني يعتبر **تمام الخلاص** وغايته، وهو **نوال الحياة الأبدية** (يو٣: ١٦). ويرافق مجيئه ظهور **"علامة ابن الإنسان في السماء"** (مت ٢٤: ٣٠) وهي الصليب الذي به تم إعلان **بدء الخلاص:**

"فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح" (في ٣: ٢٠)؛

"هكذا المسيح أيضاً بعد ما قُدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطية (لأنه تعامل معها في مجيئه الأول بالصليب والقيامة) **للخلاص** (الأخير والنهائي) **للذين ينتظرونه** (ينتظرون مجيئه لتمجيدهم)" (عب٩: ٢٨)؛

"أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يُعلن في الزمان الأخير (مجيئه الثاني)" (١بط ١: ٥).

فبعد الآلام والدموع والجهاد خلال حياتنا في الجسد، تأتي لحظة التمجيد عند مجيئ الرب. وكما يُكلل الفائزون في السباق يُكلل الأبرار. والكتاب يسمي الأكاليل **"بإكليل المجد"** (١بط٥: ٤)، و**"إكليل البر"** (٢تي ٤: ٨)، و**"إكليل الحياة"** (يع١: ١٢). وفي الكنيسة نعرف **إكليل الرسولية** (للتلاميذ والرسل) و**إكليل الشهادة** (للشهداء). وكل مؤمن عينه على الإكليل الذي يناله، والكتاب يحذر المؤمن من خداع إبليس متمسكاً بالإيمان **"لئلا يأخذ أحد إكليلك"** (رؤ٣: ١١).

+ عطية الخلاص والحياة الأبدية هي هبة الله الغنى المجانية لكل المؤمنين كباراً وصغاراً كالدينار الواحد الذي ناله كل فعلة الكرم، في المثل الشهير، الذين التقطهم صاحب الكرم بطالين من الطريق، سواء من عملوا من أول النهار أو من الساعة الأخيرة (مت٢٠: ١-١٦). ولا فضل لأحد، فالكل مهما فعلوا كل بر هم عبيد بطالون (لو١٧: ١٠):

"متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله" (رو٣: ٢٤، ٢٥)؛

"لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان، وذلك ليس منكم هو عطية الله. ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد. لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها" (أف ٢: ٨-١٠).

ولكن كما يمتاز نجم عن نجم في المجد (١كو١٥: ٤١)، هكذا يتمايز مؤمن عن آخر على قدر محبته وعطائه وجهاده خلال حياته على الأرض. كما يتميز الآباء إبراهيم واسحق ويعقوب، والأنبياء، والتلاميذ، والشهداء، والنساك وكل المجاهدين من أجل البر في المغاير وشقوق الأرض، والأتقياء المجهولين ولكنهم معروفون عند الله **"وهوذا آخِرون يكونون أولين، وأولون يكونون آخرين"** (مت١٩: ٢٠، ٢٠: ١٦، مر١٠: ٣١، لو١٣: ٣٠). والعبيد المجتهدون دخلوا جميعاً فرح السيد، ولكن نال كل منهم على قدر تعبه (مت٢٥: ٢١، ٢٣). على أن أحداً لن يشعر بأنه أفضل أو أبرّ من غيره، فآنية كل واحد ممتلئة، ولا مجال لمشاعر التعالي أو صغر النفس التي كانت في الجسد.

يسوع المسيح هو أساس الحياة والخلاص **"إن كان أحد يبني على هذا الأساس: ذهباً، فضة، حجارة كريمة، خشب، عشباً، قشاً، فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم** (عند المجازاة) **سيُبيّنه، لأنه بنار يُستعلن، وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو. إن بقى عمل أحد قد بناه عليه فسيأخذ أجرة. إن احترق عمل أحد فسيخسر، وأما هو فسيخلص، ولكن كما بنار** (كأنه اختطاف من النار)" (١كو٣: ١١-١٥).

وليس **الإيمان** أو **الأعمال**(١) ثمناً نقدمه لنأخذ مقابله، فمصدر العطايا واحد وهو الله. و**الإيمان** هو إعلان قبولنا دعوة الخلاص لأن الله يحترم إرادتنا ولا يجبر أحداً على أتباعه. و**الأعمال** هي وجه الإيمان الآخر وثماره (**"الإيمان العامل بالمحبة"**- غل٥: ٦)، وهي تشهد على صدق الإيمان وفاعليته ولا تنفصل عنه. فالإيمان بمعنى المعرفة والاعتقاد هو أمر يشترك فيه كل البشر (حتى الشياطين – يع٢: ١٩)، وهو لا يغيّر الحياة، ولكن الإيمان بالمسيح يختلف لأنه، بالإضافة إلى الاعتقاد، هو قوة من فوق لتغيير الحياة وأهدافها، وانطلاق من دائرة الجسد والعالم إلى السماويات والحياة الأبدية ونحن لازلنا على الأرض.

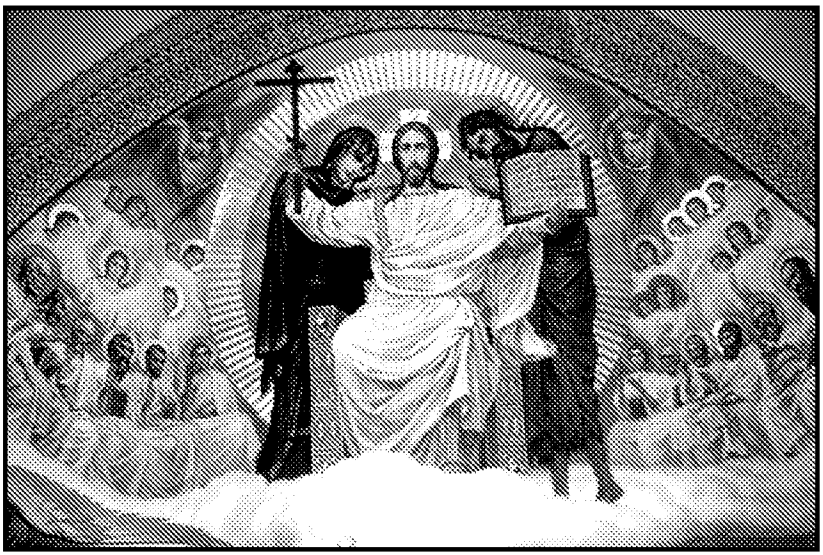

"وسيأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات"

(١) **"عن الإيمان والأعمال"** راجع **الكتاب الخامس** من سلسلة **"نور الحياة"** (ص ٨٢-١٣٠).

قيامة الدينونة(١)

المعنى الحرفي لكلمة **الدينونة** Judgement هو القضاء والمجازاة والحكم سواء بالمكافأة أو العقاب. **والديان** Judge هو القاضي.

وهناك آيات في الكتاب تتكلم عن **الدينونة** للكل أبراراً وأشراراً، كما في هاتين الآيتين: **"وكما وُضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة..."** (عب٩: ٢٧)، **"لأن الله يُحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيراً أو شراً"** (جا١٢: ١٤).

ولكن كلمة **الدينونة** في أكثر آيات الكتاب تقصد الإدانة والمصير الأليم بعد المحاكمة: **"من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد بل هو مستوجب دينونة أبدية"** (يو٣: ٢٩)؛

---

(١) يو ٥: ٢٩.

من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة.." (يو٥: ٢٤)؛

"لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح" (رو٨: ١)؛

"لأن كل الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب" (١كو١١: ٢٩).

فالمؤمنون المتمتعون بخلاص المسيح لا يخشون ذلك اليوم(٢) حيث يقف المسيح ديّاناً للمسكونة، وهو الذي اختبروه فادياً وشفيعاً محباً وكفارة لخطاياهم (رو٨: ٣٤، ١يو٢: ١، ٢). ومن ثم **"متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد"** (كو٣: ٤)؛ **"لكي يُحضرنا لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن ولا شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدسة وبلا عيب"** (أف٥: ٢٧). بالضبط كما أن الطلاب المجتهدين لا يتوجسون من نتيجة الامتحان بل هم واثقون من النجاح.

على العكس، فإن غير المؤمنين الذين رفضوا دم ابن الله واحتقروه، رغم تظاهرهم بعدم المبالاة، يرتعبون من مواجهة الديّان في اليوم الأخير، كالطلاب المهملين الذين يكون الامتحان رُعباً لهم، وشبح الرسوب يطاردهم. والرب لم يُخف هذا المصير للأشرار بل جَهَر به لردعهم ودفعهم إلى التوبة..

---

(٢) **"يوم الدينونة"** يسمى أيضاً في الكتاب **"يوم الدين"** (مت١٠: ١٥، ١١: ٢٢، ٢٤، ١٢: ٣٦، مر٦: ١١، ٢بط ٢: ٩، ٣: ٧، ١يو٤: ١٧) أو **"الدين"** (لو١١: ٣١)، و**"يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة"** (رو٢: ٥).

■ عن موضع الخطاة :

يذكر الكتاب عدداً من الأسماء التي تُطلق على الموضع الذي ينتهي إليه الخطاة والأشرار في الدينونة:

(١) **جهنم**: كلمة أصلها يوناني "**جي هنوم**" أي وادي هنوم (نح ١١: ٣٠) وهو وادٍ سحيق قرب جبل صهيون كانت تشتعل فيه نار دائمة لحرق الجثث والنفايات (مت٥: ٢٩، ٣٠، ١٠: ٢٨، ٢٣: ٣٣، مر ٩: ٤٣، ٤٥، لو ١٢: ٥، يع ٣: ٦، ٢بط ٢: ٤). ويرادفها أيضاً "**النار**" (٢بط ٣: ٧)، و"**نار جهنم**" (مت ٥: ٢٢)، و"**جهنم النار**" (مت١٨: ٩، مر٩: ٤٧) و"**النار الأبدية**" (مت ١٨: ٢٨، ٢٥: ٤١)، و"**نار لا تطفأ**" (مر٩: ٤٣-٤٨) و"**بحيرة النار**" (رؤ١٩: ٢٠، ٢٠: ١٠، ١٤). وفي مثل **الزوان** فإنه سيُجمع حزماً ويُحرق بالنار (مت١٣: ٣٠، ٤٠، ٤٢، ٥٠)، وفي مثل **الشبكة المطروحة في البحر** فإن الأردياء تُطرح في أتون النار (مت١٣: ٥٠). ويقترن بالنار "**العذاب الأبدي**" (مت٢٥: ٤٦)، و**الدود الذي لا يموت** (مر٩: ٤٤، ٤٦، ٤٨)، **والبكاء وصرير الأسنان** (مت٨: ١٢، ١٣: ٤٢، ٥٠، ٢٢: ١٣، ٢٤: ٥١، ٢٥: ٣٠، لو١٣: ٢٨).

(٢) **الهاوية**: وحرفياً هي الجُب أو البئر أو الهُوّة شديدة الغوْر التي تبتلع من يهوِى إليها ولا خروج منها. ووصف **يونان** وجوده في جوف الحوت في عمق البحر بقوله "**صرخت من جوف الهاوية**" (يون٢: ٢). وقد ارتبط مكان الأرواح منذ القديم بالهاوية (رو١٠: ٧): **فيعقوب** عندما خدعه أولاده عن فقد يوسف مزّق ثيابه ووضع مسحاً وناح عليه قائلاً "**إني أنزل إلى ابني نائحاً إلى الهاوية**" (تك٧: ٣٥، ٤٢: ٣٨، ٤٤: ٢٩، ٣١).

ولما عاقب الرب قورح ومن معه الذين تمردوا على موسى وهـــرون، مكتوب أن الأرض فتحت فاها **"وابتلعتهم وكل ما لهم فهبطوا أحياء إلى الهاوية"** (عد١٦: ٣٠، ٣٣).

و**القديس بطرس** وهو يبشر اليهود المجتمعين في أورشليم يوم الخمسين عن المسيح القائم من الأموات يستعيد المزمور **"لأنك لن تترك نفســـي في الهاوية ولا تدع قدوسك يرى فساداً"** (مز١٦: ١٠، أع٢: ٢٧). كمـــا يستعيد **القديس بولس** نبوة هوشع عن انتصار المسيح على الموت بقيامتـــه **"أين شوكتك (غلبتك) يا هاوية"** (هو ١٣: ١٤، ١كو١٥: ٥٥).

وارتبطت الهاوية بالأكثر بالأشرار **"الأشرار يرجعـــون إلى الهاويـــة"** (مز٩: ١٧) وبالهلاك (أم١٥: ١١). وإلى الهاوية تنبأ الرب عـــن مصـــير كفرناحوم (مت١١: ٢٣، لو١٠: ١٥)، والرب الديّان في الرؤيا يقول عن نفسه **"ولي مفاتيح الهاوية والموت"** (رؤ١: ١٨).

(٣) الجحيم: هو مكان كل الأرواح بعد الموت (قبل قيامة المســـيح) حيث يكون الأبرار في ناحية والأشرار في ناحية وبينهما أُثبتت هُوة عظيمة بحيث يمتنع الانتقال من جانب إلى آخر (كما ذكر المسيح في مثل **الغـــني ولعازر**- لو١٦: ٢٣). والرب عند موته نزلت نفسه المتحدة بلاهوتـــه إلى الجحيم (**"أقسام الأرض السفلى"**- أف٣: ٩) وبشّرت أرواح القديسين التي في السجن (١بط٣: ١٩) ونقلتهم إلى مكان انتظارهم (حـــتى يـــوم القيامة). حيث اختُطف **القديس بولس** (**السماء الثالثة** حيث **الفردوس** – ٢كو١٢: ٢، ٤)، وبقى الجحيم مكاناً للأشرار. ("وعلى هذه الصـــخرة أبني كنيستي، وأبواب **الجحيم** لن تقوى عليها- مت١٦: ١٨).

■ عن دينونة إبليس وملائكته :

إبليس وجنوده هم أول من سيُطرحون في جهنم المعدة لهم أولاً **"النار الأبدية المعدّة لإبليس وملائكته"** (مت٢٥: ٤١)؛

"لأنه إن كان الله لم يُشفق على ملائكة أخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلّمهم محروسين إلى القضاء" (٢بط٢: ٤)؛

"والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام" (يه ٦)؛

"وحدثت حربٌ في السماء: ميخائيل وملائكته حاربوا التنين وحارب التنينُ وملائكته ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد في السماء فطُرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي يُضل العالم كله طُرح إلى الأرض وطرحت معه ملائكته. وسمعت صوتاً عظيماً قائلاً في السماء: الآن صار خلاص إلهنا وقدرته وملكه وسلطان مسيحه، لأنه قد طُرح المشتكي على إخوتنا الذي كان يشتكي عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً وهم غلبوه بدم الخروف وكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت" (رؤ١٢: ٧-١١).

■ عن دينونة الخطاة :

في تعليم الرب عن مجيئه الثاني للدينونة، التي حرص أن يخبرنا بها قبل يومين من المحاكمات والصليب ممهداً لها بمثل **العذارى العشر** ومثل **الوزنات** (مت٢٥: ١-٣٠)، فذكر أن جميع الشعوب تجتمع أمامه وهو جالس على كرسي مجده فيميز الأبرار عن الأشرار ويقول **للأبرار** أن يرثوا

الملكوت المعد لهم منذ تأسيس العالم، معّدداً أعمال محبتهم التي صنعوها لإخوتهم، وحسب أنها قدمت لشخصه المبارك. أما **الأشرار** الذين رفضوا دعوته وعاشوا لذواتهم وشهواتهم يجيئهم الرد الإلهي **"اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية... فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية"** (مت٢٥: ٣١-٤٦).

ويكتب **القديس بولس** في ذات السياق **"وأما الظالم فسينال ما ظَلم به وليس محاباة"** (كو٣: ٢٥)؛ **"إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً، وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته، في لهيب نار معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيُعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته، متى جاء ليتمجد في قديسيه ويُتَعجّب منه في جميع المؤمنين لأن شهادتنا عندكم قد صُدّقت"** (٢تس١: ٦-١٠).

وفي الدينونة يتحقق كل ما قاله الرب للكتبة والفريسيين وسائر المعلمين الكذبة الذين هم أخر من يحفظ الوصايا **"ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ولعلة تطيلون الصلوات لذلك تأخذون دينونة أعظم... لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً ومتى حصل تصنعونه ابناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً"** (مت٢٣: ١٤، ١٥، مر١٢: ٤٠، لو٢٠: ٤٧).

■ عن الذين يشاركون في دينونة الخطاة:

ليس فقط أعمال الخطاة هي التي تدينهم في اليوم الأخير، وإنما هناك، بحسب الكتاب، عناصر أخرى سوف تسهم في دينونتهم، نذكر هنا بعضها:

(١) كلام الرب الذي لم يطيعوه:

بحسب قول الرب "**إن سمع أحد كلامي، ولم يؤمن فأنا لا أدينه لأني لم آت** (في مجيئه الأول) **لأدين العالم بل لأخلص العالم. من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه: الكلام الذي تكلمت به** (وأصمّ أذانه عنه) **هو يدينه في اليوم الأخير**" (يو١٢: ٤٨).

(٢) الضمائر المشتكية:

أول من يدين الإنسان عند فعل الخطية هو **الضمير**، وهو صوت الروح المبكّت. عندما جاءت جموع الشعب بالمرأة الزانية إلى الرب وسألوه أن تُرجم بحسب ناموس موسى، كشف لهم أنهم خطاة مثلها وقال لهم "**من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر... وأما هم فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تبكتهم خرجوا واحداً فواحداً مبتدئين من الشيوخ إلى الأخرين**" (يو٨: ١-٩). وهكذا بيّن **القديس بولس** أنه حتى الأمم الذين ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم فيُظهرون عمل الناموس مكتوباً في قلوبهم "**شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم في ما بينها مشتكية أو محتجّة**" (رو٢: ١٥).

(٣) الذين قبلوا كلمة الله وتابوا يدينون من رفضوها:

ومكتوب عن **نوح** أنه باستقامته **"دان العالم وصار وارثاً للبر"** (عب١١: ١٧). والرب يقول أن **رجال نينوى** في القيامة يدينون الخطاة لأنهم تابوا بمناداة يونان، وكذلك فإن **ملكة التيمن** (سبأ) التي أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان ستدين هذا الجيل في القيامة. فكم تكون دينونة الذين جاءهم الرب، الذي هو أعظم من يونان وسليمان، ولم يتوبوا (مت١٢: ٤١، ٤٢، لو١١: ٣١، ٣٢).

والرب خاطب تلاميذه، الذين صاروا شهوده إلى العالم، قائلاً: **"أنتم الذين تبعتموني** (خلافاً لليهود الكثيرين الذين رفضوا المسيح)، **في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر"** (مت١٩: ٢٨، لو٢٢: ٣٠).

والرسول بولس في توبيخه للمؤمنين الذين يقاضون بعضهم بعضاً في محاكم العالم يقول **"ألستم تعلمون أن القديسين** (أي المؤمنين) **سيدينون العالم. فإن كان العالم يُدان بكم، أفأنتم غير مستأهلين للمحاكم الصغرى. ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة** (سقطوا) **فبالأوْلى أمور هذه الحياة"** (١كو ٦: ٢، ٣).

(٤) الذين سجّل الكتاب عقابهم على خطيتهم، فلم يردع مصيرُهم الخطاةَ من بعدهم:

مثل **قايين** القاتل التائه في الأرض (تك٤: ١١، ١٢)، و**العالم القديم** الذي أهلكه الطوفان أيام **نوح** (تك٧: ٢٢، ٢٣، ٢بط٢: ٥)، و**أهل**

سدوم وعمورة الذين أحرقتهم النار (تك١٩: ٢٤، ٢٥، ٢بط٢: ٦، يه ٧)، **وامرأة لوط** التي صارت عمود ملح (تك١٩: ٢٦، لو١٧: ٣٢)، و"**عيسو المستهتر**" الذي باع بكوريته بأكلة عدس ففقد البركة أيضاً (تك٢٥: ٣١-٣٤، ٢٧: ٣٤-٤٠، عب١٢: ١٦، ١٧)، **وقورح** والذين معه الذين فتحت الأرض فاها وابتلعتهم (عد١٦: ٣٠، ٣٣)، **والمتذمرون** الذين أهلكتهم الحيات (عد ٢١: ٦)، **وشاول الملك** الذي تغرّب عن الله حتى أنه في النهاية قتل نفسه بأن سقط على سيفه (١صم ١٩: ١٤، ٣١: ٤)، **ويهوذا** الخائن الذي أسلم سيده ومضى وخنق نفسه (مت٢٦: ٤٩، ٥٠، ٢٧: ٥، مر١٤: ٤٥، لو ٢٢: ٤٧، يو ١٨: ٣-٥، أع ١: ١٨).

ويضاف إليهم في عالمنا من يؤكد الكتاب دينونتهم من الذين يفعلون السيئات، ويتقدمهم **المرتدون** دون توبة وعودة، ومعهم **المسيحيون الشكليون** الذين بسلوكهم ينكرون الإيمان (٢بط ٢: ٢٠-٢٣، عب ١٠: ٢٦، ٢٧)، **والضالّون والمضِلّون** (٢تي ٣: ١٣)، **والملحدون** الماديون وكل المقاومين لله عمداً وقصداً (٢تس٢: ٣، ٤، ١يو٢: ١٨)، **والفجّار** الذين يتفاخرون بسقوطهم "**خطايا بعض الناس واضحة** (علنية صارخة) **تتقدم** (أمامهم وتسبقهم) **إلى القضاء** (الدينونة) **وأما البعض فتتبعهم** (الذين يتسترون فلا تظهر سيئاتهم ولكنها تلتصق بهم ولا تفارقهم" (١تي ٥: ٢٤) من الذين يمتلئ بهم عالمنا مثل الإرهابيين والشهوانيين وتجار النجاسة (٢بط ٢: ١٠، ١٨) وعصابات الإجرام، والذين يجمعون المال الحرام، وغيرهم.

■ عن طبيعة عذاب الأشرار:

في الدينونة يستيقظ وعي الإنسان: أبراراً وخطاة، وتصفو الذاكرة فيستعيد الأشرار كل كلمة بطالة خرجت من أفواههم، إلى جانب قائمة الخطايا والشهوات وأعمال الظلمة **"خطيتي أمامي دائماً"** (مز٥١: ٣)، وهي التي لم يشعروا بوطأتها أثناء حياتهم. كما يتذكرون افتقاد الرب لهم بكل وسيلة وصدودهم وتعاليهم عن الاستجابة، ورفضهم لكل فرص التوبة واحتقارهم لكلمة الله ودمه النازف لأجل خلاصهم، وكم جدّفوا عليه وأهانوه.

والمؤسف أن هذا كله لن يقودهم إلى التوبة التي مضى زمانها، وإنما يسودهم إحساس غامر بسوء الحال وباستحقاقهم لما هم فيه، ولا يبقى لهم غير البؤس والحزن والكآبة والتنهد، والتأسي على الفرص الضائعة والسنين التي أكلها الجراد، والتي يعبِّر عنها الكتاب **"بالبكاء وصرير الأسنان"**، وهي مقاربات لغوية من حياتنا في الجسد تكشف عن رداءة الحال وتعاسته الذي يعانيه الخطاة في الأبدية.

ولأن الأجسام لن تكون مادية فعذاب الجحيم لن يكون مادياً. **فالنار التي لا تطفأ والدود الذي لا يموت** هو تعبير عن معاناة نفسية وذهنية ساحقة، كالمريض النفسي والعقلي الذي يتوهم أنه يجتاز أتوناً من النار أو أن حيّات تلتف حول جسمه، أو يعاين الكوابيس في نومه فينتفض ويصرخ مفزوعاً. كما أن الخلايا السرطانية تلتهم العضو المصاب بأقسى مما يفعله الدود أو النار.

ولا أمل هناك في نهاية تختم على هذا العذاب، فلا موت يُنتظر بعد هذا الموت الثاني الممتد إلى الأبد. فالنفس تبقى لتعاني هذه اللاحياة أو الهلاك (مت٢١: ٤١، رو٩: ٢٢، في٣: ١٩، ٢تس ١: ٩، رؤ١٧: ٨، ١١).

ولن يتراجع الخطاة في الجحيم عن نهجهم من كراهية الصلاة والتسبيح، وسخريتهم من المؤمنين، وازدرائهم لمحبة الله وطول أناته وتفاديهم لحضرته. وما يثير الإشفاق عليهم أن ما كان يسعدهم من مسرات العالم من طعام وشراب وخمر وشهوات أدمنوها في حياتهم لم تعد هناك. ولم يبق لهم غير **"سخط وغضب وشدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر"** مقابل **"مجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح"** (رو٢: ٨، ٩).

ولعله لا يوجد عذاب في الجحيم أقسى على النفس الخاطئة من حرمانها الأبدي من الوجود في حضرة الرب وملائكته وقديسيه والتمتع برؤياه في مجده، والذي يهون أمامه موت الجسد الذي انتهت به حياتها على الأرض (وإن كانت لا تدرك ذلك بالطبع). على العكس، فإن الأشرار، وقد أحبوا الظلمة أكثر من النور، لا يحتملون النور الإلهي ولا يطيقون الوجود في الحضرة الإلهية، ولا يرتاحون إلا في الظلمة بعيداً عن مواجهة الحق (مت٨: ١٢، ٢٥: ٣٠). وإذا كان شعب إسرائيل في القديم. لم يحتملوا رؤية وجه **موسى** وقد انعكس عليه النور الإلهي بعد لقائه على الجبل وأخذ الوصايا، حتى أنه غطى وجهه ببرقع (خر٣٤: ٢٩-٣٥، ٢كو٣: ٧)، فكم يكون مجد النور الإلهي ذاته الذي لا يطيقه الأشرار.

+ والشياطين لما أمرهم الرب بالخروج من مجنون كورة الجدرين صرخت قائلة **"مالنا ولك يا يسوع ابن الله. أتيت قبل الوقت لتعذبنا"** وطلبت أن يؤذن لها بالدخول في قطيع الخنازير (النجسة مثلهم). فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحيرة واختنق (لو٨: ٢٦-٣٣). فكما ترتعب الشياطين من مواجهة الرب، كذلك فإن مجرد ظهور الله في مجده سيكون رعباً على كل الذين رفضوا الحق وأسلموا أنفسهم إلى أهواء الهوان، فراحتهم هي في البعد عن النور وقداسة الحق.

+ وفي رؤيا **القديس يوحنا** نقرأ أن **"ملوك الأرض والعظماء والأغنياء والأمراء والأقوياء وكل عبد وكل حر أخفوا أنفسهم في المغاير وفي صخور الجبال وهم يقولون للجبال والصخور اسقطي علينا واخفينا عن وجه الجالس على العرش وعن غضب الخروف لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم ومن يستطيع الوقوف"** (رؤ٦: ١٥-١٧).

+ ولكن كما يتمايز المؤمنون في حالة الفرح والمجد التي يتمتعون بها في الملكوت بحسب جهاد وأعمال كل واحد في حياته تحقيقاً لعدل الله، هكذا أيضاً لن يكون العذاب للجميع بدرجة واحدة في الجحيم، وإنما بحسب إنحراف كل منهم عن جادة الحق. والرب وهو يوبِّخ المدن التي صنع فيها أكثر قواته لأنها لم تتب، يقول مخاطباً كورزين وبيت صيدا "إن صور وصيدا تكون لهما حالة **أكثر احتمالاً** يوم الدين مما لكما". كما يواجه كفر ناحوم العاصية بالقول "وأنت يا كفر ناحوم المرتفعة إلى السماء ستُهبطين إلى الهاوية. لأنه لو صنعت في سدوم القوات المصنوعة فيك لبقيت إلى اليوم (ولم تحترق). ولكني أقول لكم أن أرض سدوم تكون لها حالة **أكثر احتمالاً** يوم الدين مما لك" (مت١١: ٢-٢٤، لو١٠: ١١-١٥). هناك إذاً تفاوت في حجم العقاب.

+ والقديس يعقوب يكتب في رسالته **"لا تكونوا معلمين كثيرين يا إخوتي عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا"** (يع٣: ٢). فالذين يشتهون التعليم وهم لا يستحقون فإنهم سيُحاسبون ويُدانون بأكثر من الذين لم يرتئوا فوق ما يستطيعون، والذين يعرفون أكثر سيُحاسَبون بالأكثر.

■ كيف تسمح محبة الله بعذاب الخطاة الأبدي؟:

نعم.. هل تغيّرت صفات الله في الدينونة؟ وكيف تتفق محبته مع هذا العذاب الأبدي للخطاة؟ أين ذهبت محبته ورحمته للخطاة (مت٩: ١٣، مر٣: ١٧، لو٥: ٣٢)، ونزوله لخلاصهم، واحتماله الآلام لأجلهم حتى موت الصليب، ليحل مكانها شدّته وقبوله لموتهم الأبدي عندما يبدأ مهمته دياناً للأحياء والأموات (أع١٠: ٤٢)؟ وهل يتعامل الله بمقاييس البشر فيغضب وينتقم ويتشفى في من عادوه ورفضوه وأهانوه؟!

حاشا لله أن يكون عنده تغيير أو ظل دوران (يع١: ١٧). الله ليس مثلنا. الله كامل وثابت في صفاته. ويسجل الكتاب كلماته **"محبة أبدية أحببتك من أجل ذلك أدمت لك الرحمة"** (إر٣١: ٣)؛ **"هل مسرة أُسَرّ بموت الشرير إلا برجوعه عن طريقه فيحيا"** (حز١٨: ٢٣، ٣٢، ٣٣: ١١، ٢بط٣: ٩).

+ عندما ساء الرب تعاظم خطية أهل سدوم وعمورة وأعلن ذلك لإبراهيم عند ظهوره له مع ملاكيه، نعرف أن **إبراهيم** توسل إلى الرب كثيراً كي يتحول عن حكمه وتجاسر إلى القول **"حاشاك يا رب أن تفعل**

هذا الأمر أن تميت البار مع الأثيم.. أديَّان كل الأرض لا يصنع عدلاً؟". ثم يسأله أن يصفح عن المكان إن وجد خمسين باراً، ثم يواصل تذللـــه ويأخذ في إنقاص العدد حتى وصل إلى عشرة، وكان الرد الإلهي **"لا أهلك من أجـــل العشرة"** (تك١٨: ١٦-٣٢). فيا لغنى لطف الله وإمهاله وطول أناته وهـــو يترجى توبة الخطاة الذين تفرح السماء برجوعهم (لو١٥: ٧، ١٠).

+ كان الرب في طريقه إلى أورشليم ولم تقبل قرية من الســـامريين أن يمر منها، فطلب تلميذاه يعقوب ويوحنا أن تنزل نار من السماء لتحـــرق القرية (كما فعل إيليا في القديم- ٢مـــل١: ١٠، ١٢)، فالتفـــت الـــرب وانتهرهما قائلاً: **"لستما تعلمان من أي روح أنتما، لأن ابن الإنســـان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلّص"** (لو٩: ٥١-٥٦).

+ وعندما ألقى الجنود الأيادي على الرب، استل بطرس سيفه دفاعـــاً عن سيده فقطع أذن عبد رئيس الكهنة. فقال له يسوع رغـــم المحنـــة **"رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون بالسيف بالســـيف يهلكـــون"** (مت٢٦: ٤٧-٥٢) وانحنى ليلمس أذن العبد فأبرأها (لو٢٢: ٥١).

نعم.. فالرب الوديع المحب الذي أتى لخلاص العالم يأبى العنـــف، ولا ينتقم لنفسه، ولا يُهلك أنفس الناس لكي يهدأ غضبه. بل أنه وهو علـــى الصليب والآلام تسحقه والدم يترف من جراحه يمتلئ قلبه بالشفقة علـــى صالبيه فيتحامل على نفسه ويسأل من أجلهم وهو في الترع الأخير **"يا أبتاه اغفر لهم لأنه لا يعلمون ماذا يفعلون"** (لو٢٣: ٣٤).

الله الديان إذاً لم يطرح أبداً محبته وقدم وجهه الآخر ليتشفّى في الخطاة! حاشا لله... الخطاة في الحقيقة هم من صنعوا مصيرهم وكتبوا الحكم بأيديهم واختاروا هذه النهاية الأليمة. هم من رفضوا الحياة واختاروا الموت. الله، من جانبه، أحبهم وأتاح لهم التوبة والغفران ولكنهم احتقروا محبته وتبعوا إبليس وربطوا مصيرهم بمصيره. ولم يكن هناك غير إعمال العدل لينال كل من البار والخاطئ جزاءه **"أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة. ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تدخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله"** (رو٢: ٤-٦).

الله، الذي يدين الغضب (مت٥: ٢٢)، لا يُقارَن غضبُه بغضب الإنسان الذي تستثيره نوازع الكبرياء ومحبة الذات وقلة الصبر. غضب الله هو غيرة على الحق والعدل وإدانة للباطل والظلم. عندما اشتكى البعض على الرب وهو مزمع أن يشفي ذا اليد اليابسة، مكتوب أنه **"نظر حوله إليهم بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم"** (مر٣: ٥). فغضبه يختلط بالحزن والتأسف في القلب إزاء أصحاب القلوب الغليظة التي أعمتها الكراهية عن رؤية الخير والحق. تماماً كما نظر باكياً على أورشليم التي لم تعرف زمان افتقادها (لو١٩: ٤١-٤٤).

ألم الله يشبه (مع الفارق) موقف **داود** من ابنه **أبشالوم** الذي تمرد على أبيه واستولى على الحكم ولكن لما هُزم جيشه وسمع داود عن مقتله صرخ

باكياً **"يا ابني أبشالوم يا ابني. ليتني مِتَ عوضاً عنك"** (٢مل١٨: ٣٣).

ذكْر غضب الله هو للتحذير بمعنى ألا يستغل أحد تسامحه فيستمرئ عصيانه. الله يليق به المجد والكرامة لا الاستخفاف والاستهانة، فالعقاب في انتظار غير التائبين **"فكم عقاباً أشرّ تظنون أنه يُحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قُدّس به دنساً وازدرى بروح النعمة"** (عب١٠: ٢٩).

وكما يقول الأب متى المسكين(٣) فإن المسيح سيدين العالم باستحقاق فائق لأنه هو الحق والنور والحياة، وأعماله تشهد له، وحياته البشرية أكملها على قياس كامل من الحق **"فلم يفعل خطية ولم يوجد في فمه مكر"** وهو النور الذي لم تدركه الظلمة، وهو جوهر الحياة الذي غلب الموت، وتزكية قضائه قائمة بشهادة حياته وقيامته".

❁ ❁ ❁

بهذا نختم هذه الدراسة الكتابية عن **قضية الخطية والشر**، في محاولة للإجابة عن العديد من الأسئلة حولها. وقد بدأنا بأصل الشر وكيف دخلت الخطية إلى حياة البشر ومعها الموت. ثم كان وعد الله بالخلاص وإرساله الناموس والأنبياء للدعوة للحياة وعدم الانصياع إلى الشر. وفي آخر الأيام حقق الله المحب وعد الخلاص وأفاض نعمته على الخطاة وفتح أمامهم أبواب الملكوت من جديد ببذله حياته عنهم، وأعطى المؤمنين الذين قبلوه سلطاناً أن يصيروا أولاد الله. وترك لنا كلمته نوراً يضئ في الظلمة، وأسس كنيسته

(٣) في كتابه **"كيف سيدين المسيح المسكونة بالعدل"**.

وفيها ذبيحته تغفر خطايا التائبين. وجعل يوماً للمجازاة ليتمجد الذين آمنوا به، وعاشوا بالروح، ورفضوا الخضوع للشر، ويحيوا معه إلى الأبد، ولإدانة الذين احتقروا محبته وداسوا دم صليبه. ولكنه في عدله لا يتشفّى أو ينتقم من الخطاة، بل، ورغم أنهم من اختاروا مصيرهم بإرادتهم، فإنه كأب يرثي لهم وقلبه يمتلئ بالإشفاق عليهم بعد أن حرموا أنفسهم من محبته والحياة في ملكوته.

على أنه ستظل هناك أسئلة بلا إجابات، وستبقى أمور كثيرة خافية عنا ولن تنكشف لنا إلا مع اليوم الأخير. هكذا يردد كل منا مع **القديس بولس "الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عُرفت"** (١كو١٣: ١٢).

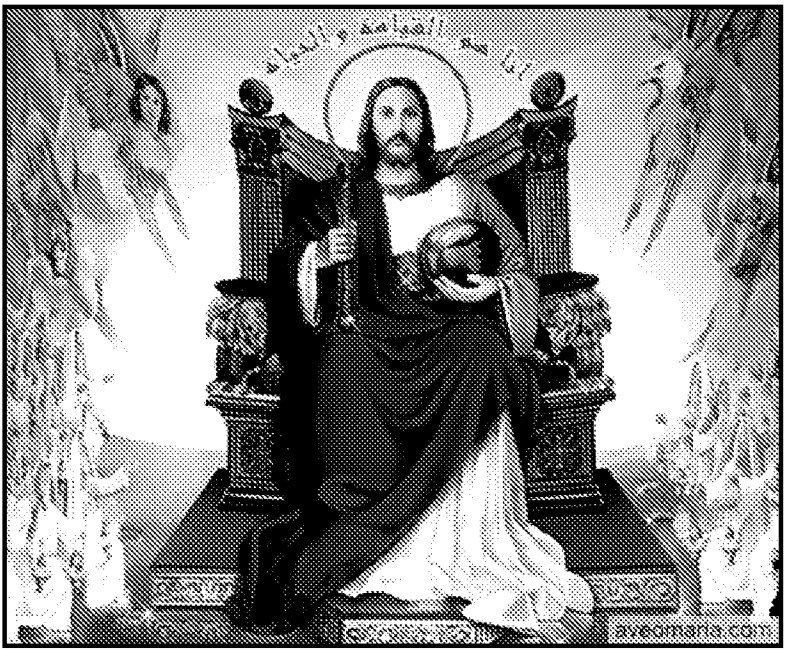

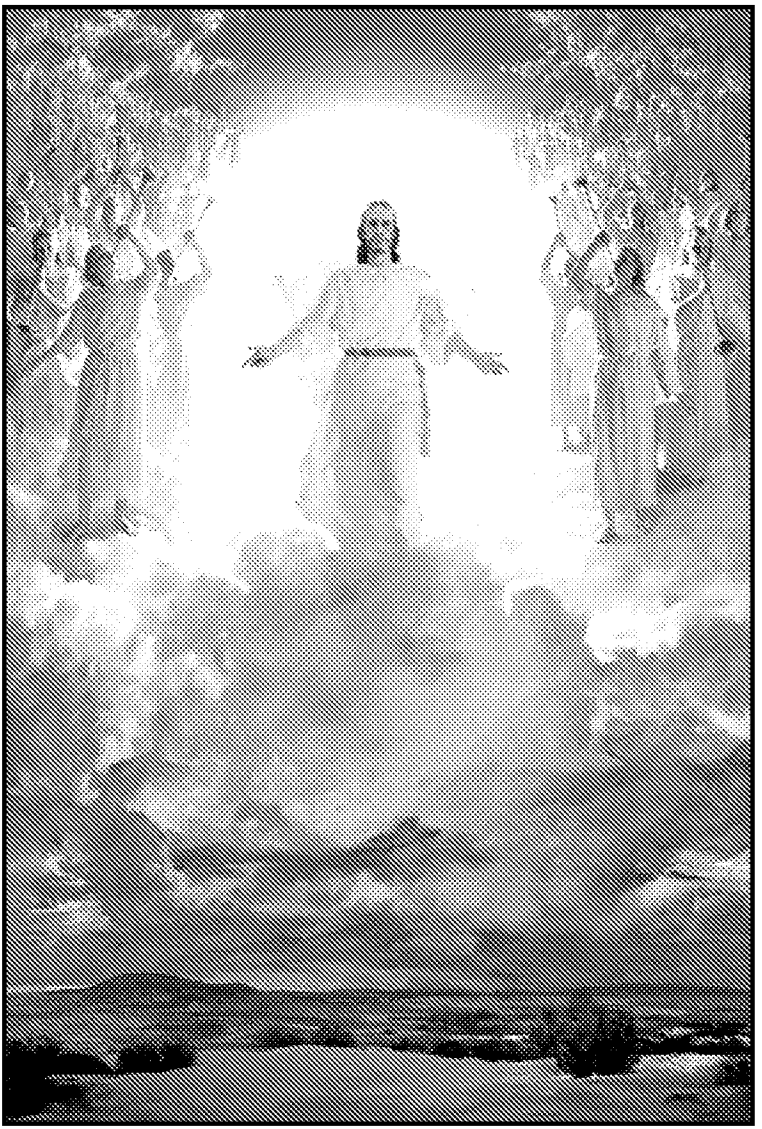

"هوذا ياتي مع السحاب و ستنظره كل عين و الذين طعنوه وينوح عليه جميع قبائل الارض" (رؤ ١: ٧)

قضية الألم والمرض

- عن الألم والمرض في حياة البشر
- عن مصادر الألم والمرض
- الله والإيمان وقضية الألم والمرض

عن الألم والمرض في حياة البشر

لا تخلو حياة البشر من الآلام والأمراض، يُقاسيها الكل: كباراً وصغاراً، أبراراً وخطاةً، أغنياء وفقراء. وعندما نأخذ في الاعتبار أنَّ الآلام والأمراض متنوِّعة، فهي ليست فقط جسدية، وإنما هي أيضاً نفسية وروحية، فلن يفلت من اختبارها أحدٌ.

وفي الكتاب ما يُشير إلى أنَّ الآلام هي من صميم حياة البشر. فمُعلِّمنا **بولس**، وهو يُبشِّر مع برنابا في لسترة، وجاءهما كاهن زَفْس بثيران وأكاليل يُريد أن يذبح لهما بعد شفاء المُقعد؛ صاحا في الجمع قائلَيْن: **"نَحْنُ أَيْضاً بَشَرٌ تَحْتَ آلاَمٍ مِثْلُكُمْ"** (أع ١٤: ٨-١٥). ومُعلِّمنا **يعقوب** يكتب عن **إيليا النبي**، الذي صلَّى فمنع المطر، أنه: **"كَانَ... إِنْسَاناً تَحْتَ الآلاَمِ مِثْلَنَا"** (يع ٥: ١٧).

على أنَّ النظرة المتأنِّية تكشف لنا أنَّ الآلام والأمراض، في الأغلب الأعم، ليس هي ما يسود الحياة، بل إنه الاستثناء. فالأفراح والنِّعَم

كثيرة. والناس يحبُّون الحياة، ومن أجل استمرارها يقبلون ما يأتي عليهم من آلام أو أمراض إلى أن تَعْبُر وتُشرق شمس الهناء والقوَّة من جديد. والذين تضيق بهم الحياة حتى أنهم ينهونها بإرادتهم قليلون، غلبهم المرض النفسي وضغوط الأيام، أو سئموا حياة الرفاهية واليُسر. ومع هذا فهناك مَن يولدون ومعهم آلامهم وأمراضهم من المهد إلى اللَّحد. وهناك مَن تسود حياتهم المُعاناة من كلِّ نوع، وأفراحهم قليلة مُتباعدة. ومِن هؤلاء مَن يعيش راضياً قابلاً، ومنهم مَن يغلب نقصه وعاهته بإرادة التحدِّي.

■ هل مِن وجه إيجابي للآلام؟

رغم قسوتها أحياناً، فإنَّ للآلام أيضاً وجهها الإيجابي:

+ فالشعور بالألم الجسدي في حدِّ ذاته علامةٌ إيجابية على أنَّ الجهاز العصبي يعمل بكفاءة. فالمخ يستقبل الإشارات الواردة من العضو المُصاب خلال النخاع الشوكي، ويُعلِن بالألم عن الأمر للتصرُّف بردِّ فعلٍ سريع. فالشخص الأشلُّ لا يشعر بالألم؛ وهكذا فإنَّ عدم الشعور بالألم ليس أمراً طيِّباً دائماً.

+ إنَّ الألم والوجع في أحد أجزاء الجسم نداءٌ واستغاثة للنجدة بتناول الدواء، أو الذهاب إلى الطبيب للعلاج، أو التدخُّل الجراحي (مثل ألم الأسنان أو الذبحة الصدرية). بل إنَّ غياب الألم في بعض الحالات يمكن أن يُبدِّد فرصة الإنقاذ لو لم تتوفَّر أعراض أخرى يُدركها الطبيب الماهر وأجهزته (مثلاً في حالة الجلطة الصامتةsilent infarction).

+ بالألم والمرض نُدرك أننا كنَّا نتمتَّع بصحةٍ جيدة قبل أن تُداهمنا الأزمة بما يكشف لنا الحقيقة التي لا ننتبه إليها. وكما يقولون: "الصحة تاجٌ على رؤوس الأصحَّاء، لا يراه إلاَّ المرضى".

+ رغم كل شيء، فللآلام دورها الذي لا يُنكَر في بناء الشخصية ونموِّها، وتراكُم الخبرات بالتعامُل مع المصاعب والتجارب والمِحَن، فتزداد النفس قوَّةً ونُضجاً، وتتحرَّر من محبة الذات وحصار الشهوات "**إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها، ولن إن ماتت تأتي بثمر كثير**" (يو ١٢: ٣٤).

بل إنَّ كلَّ نجاح في الحياة، جسديّاً أو روحيّاً، يستلزم التعب والجهاد، وربما مُعاناة الإخفاق المُتكرِّر، إلى أن يفوز المُجتهد بتحقيق غايته "**أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يَرْكُضُونَ فِي الْمَيْدَانِ جَمِيعُهُمْ يَرْكُضُونَ وَلَكِنَّ وَاحِداً يَأْخُذُ الْجَعَالَةَ؟ هَكَذَا ارْكُضُوا لِكَيْ تَنَالُوا. وَكُلُّ مَنْ يُجَاهِدُ يَضْبِطُ نَفْسَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. أَمَّا أُولَئِكَ فَلِكَيْ يَأْخُذُوا إِكْلِيلاً يَفْنَى وَأَمَّا نَحْنُ فَإِكْلِيلاً لاَ يَفْنَى**"(١كو ٩: ٢٤،٢٥).

+ وكل الأعمال العظيمة والتحوُّلات الكبيرة في تاريخ البشرية لم تتحقَّق إلاَّ بالكفاح والآلام والمثابرة. ونجاح التلميذ مرهونٌ باجتهاده وسهره، وألاَّ يُهدر وقته هباءً. وثمار الأرض لا تأتي إلاَّ بالعمل الشاق والرعاية الدائمة "**فَتَأَنَّوْا أَيُّهَا الإِخْوَةُ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ. هُوَذَا الْفَلاَّحُ يَنْتَظِرُ ثَمَرَ الأَرْضِ الثَّمِينَ مُتَأَنِّياً عَلَيْهِ حَتَّى يَنَالَ الْمَطَرَ الْمُبَكِّرَ وَالْمُتَأَخِّرَ**"(يع ٥: ٧). والتوصُّل إلى دواء لعلاج مرضٍ بعينه يمرُّ بمراحل طويلة وتجارب مُضنية إلى أن يتمَّ إنتاجه وتداوُله. ويسمّون أعباء تقدم الأمم

بآلام المخاض التي تسبق تحقيق آمال الأمة كأنها الأم التي تعاني قبل أن تلد صغيرها (يو١٦: ٣١).

+ وقراءة التاريخ تكشف لنا أنَّ مُعاناة الفقر والحياة الشاقَّة، أنجبت عُظماء وقادة للدول. وآلام **يوسف** المُمتدَّة منذ أن كان صبياً، أعدَّته ليكون مُنقذاً لشعب مصر من المجاعة. فارتفع من السجن إلى القصر، ودعاه فرعون: **"صفنات فعنيح"**، أي "قُوت الحياة" أو "مُخلِّص العالم" (تك ٤١: ٤٥). كما أنَّ **موسى** احتاج أربعين سنة للتدرُّب والاحتمال الطويل ليتهيَّأ لقيادة شعبه المُعاند في الخروج من مصر إلى كنعان في رحلة دامت أربعين سنة أخرى.

+ آلام الآخرين توقِظ فينا مشاعر الأُخوَّة الإنسانية للمُشاركة والتعاطُف والخدمة. والربُّ طوَّب خدمة المرضى وجعلها كأنها مُقدَّمة له هو، وأنَّ لها دورها في تمجيد المؤمنين في اليوم الأخير (مت ٢٥: ٣٦،٣٩،٤٠).

حقّاً استثارت آلام البشر أفضل ما في البشر، سواء بالتدخل لتخفيف مُعاناتهم بابتكار الدواء أو الوسائل الجراحية، أو بالتبرع بالأعضاء لاستبدال الأعضاء التالفة (كالكبد والكلية)، أو بالتبرع المادي لخدمة البحوث التي تتصدَّى للأمراض، أو بإقامة المستشفيات المجانية لعلاج الفقراء، أو بتشكيل القوافل الطبيَّة التي تذهب إلى المناطق الموبوءة أو مواقع الكوارث (مثل منظمة **"أطباء بلا حدود"** الذين يخدمون الكل بغير تمييز)، أو بالتدخل لعلاج جرحَى الحروب وإنقاذ النازحين من مناطق المعارك (كمؤسَّسة **"الصليب الأحمر"** التي أُنشئت خلال القرن التاسع عشر

لتخفيف الآلام عن ضحايا الحروب، والتي تتنقَّل في أرض المعارك بين كل الفُرقاء بغير تمييز)، أو بإقامة بيوت المُسنِّين للعناية بكبار السنِّ في شيخوختهم، ورعاية الميئوس من شفائهم حتى خروجهم من الحياة بسلام.

بل إنَّ إنشاء **"الأُمم المتحدة"** بعد الحرب العالمية الثانية، كان دافعه مَنْع الحروب، بعد المُعاناة والخراب وهلاك البشر (٥٠ مليون ضحايا هذه الحرب)، والتدخل السريع لإحلال السلام في المناطق المُلتهبة؛ بل وإنشاء قوَّات حِفْظ السلام للفصل بين المُتحاربين وضمان عدم استئناف المعارك.

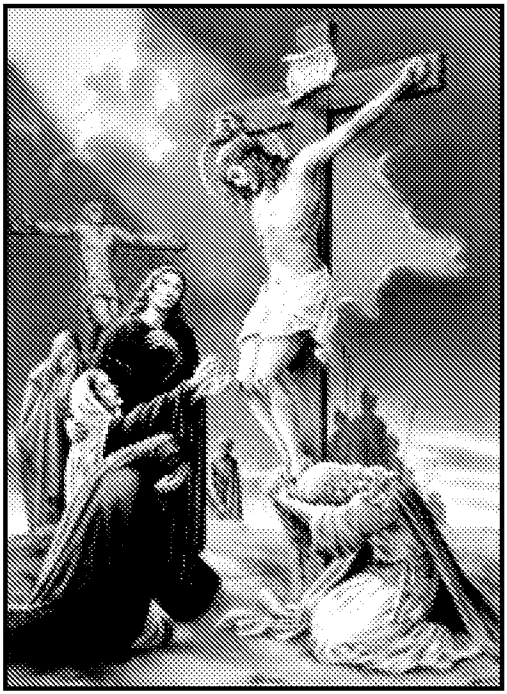

"لأنه في ما هو قد تألم مجرَّبًا يقدر أن يعين المجرَّبين" (عب ٢ : ١٨)

عن مصادر الألم والمرض

■ عن الأسباب الطبيعية للآلام والأمراض:

+ ببعض التأمُّل قد نجد للآلام - خاصة **الجسدية - أسبابها الطبيعية**. فالعيوب الجينية والأمراض الوراثية تؤثِّر على الأجنَّة أثناء تكوينها بما يؤدِّي إلى ولادة أطفال مرضى أو ذوي عاهات.

+ كما أننا لا نحيا وحدنا، بل تُشاركنا حياتنا كائنات أخرى بعضها ضار ويمكن أن تُهاجمنا، إذا تراجعت مناعتنا، فنُصاب بالمرض، ومنهم مَن هو ناقلٌ للمرض. كذلك فإنَّ البيئة من حولنا تؤثِّر فينا كما نؤثِّر فيها. فالذين يعيشون في بيئاتٍ فقيرة يسودها التلوث، مُعرَّضون للأمراض أكثر من غيرهم. والصحة يلزم حمايتها بالتغذية المُناسبة والوجود في بيئاتٍ نظيفة، وأيضاً بأَخْذ الاحتياطات أمام التقلُّبات الجوية، وهذه خاضعة لقوانين الطبيعة التي تضمن سلامة الكون وسلامة حياتنا.

+ بعض آلام الجسد نُسبِّبها نحن لأنفسنا عندما نتخلَّى عن حذرنا، فنتعرَّض للحوادث، وبعضها نجوز فيها عندما نكسر نواميس الطبيعة. فالذي يضع يده في النار ستحترق، والذي يلمس سلك الكهرباء غير المعزول سيُصعَق، والذي يحمل أكثر من طاقته سيسقط.

+ قد نتألَّم **نفسيّاً وروحيّاً** من أجل الآخرين البعيدين عن طريق الله، أو الذين يُعانون المِحَن بأنواعها، وهي آلام مقبولة لأن دافعها الحب ورِقَّة المشاعر، ولن تُنسَى قدَّام الله. وقد عبَّر **القديس بولس** عن أنَّ له **"حُزناً عظيماً ووجعاً في قلبه لا ينقطع!"** من أجل إخوته اليهود الذين ظلُّوا يرفضون الإيمان بشخص الربِّ الذي جاء لخلاص اليهود والأُمم معاً، حتى أنه يبلغ إلى القول **"فَإِنِّي كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُوماً مِنَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ. الَّذِينَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ وَلَهُمُ التَّبَنِّي وَالْمَجْدُ وَالْعُهُودُ وَالاِشْتِرَاعُ وَالْعِبَادَةُ وَالْمَوَاعِيدُ. وَلَهُمُ الآبَاءُ وَمِنْهُمُ الْمَسِيحُ حَسَبَ الْجَسَدِ الْكَائِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلَهاً مُبَارَكاً إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ"**(رو ٩: ٢-٥).

■ الخطية كمصدر للألم:

في الكتاب المقدَّس ارتبط الألم بالسقوط من النعمة وفقدان البراءة الأولى والتغرُّب عن الله. ومع الصفحات الأولى من سفر التكوين، نقرأ كلمات: اللعنة والأتعاب والوجع، في قول الرب لأبوينا الأوَّلَيْن بعد عصيانهما للوصية، فقال لحواء: "تَكْثِيراً أُكَثِّرُ **أَتْعَابَ** حَبَلِكِ، **بِالْوَجَعِ** تَلِدِينَ أَوْلاَداً"؛ وقال لآدم: **"مَلْعُونَةٌ** الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. **بِالتَّعَبِ** تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكاً وَحَسَكاً تُنْبِتُ لَكَ،

وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. **بِعَرَقِ وَجْهِكَ** تَأْكُلُ خُبْزاً" (تك ٣: ١٦-١٩).

صار، إذاً، الألم والتعب والجهد، عناصر أساسية في حياة الإنسان، بعد حياة السلام والشركة مع الله قبل السقوط. وأصاب النقص والضعف والقصور طبيعة الحياة، وخضع الإنسان لسطوة المرض وقسوته.

+ بعض الآلام تأتينا من **الآخرين** عَرَضاً أو عَمْداً، بدافع الشرِّ، كمَن يعتدي علينا ويؤذينا أو يظلمنا أو يضطهدنا بكلِّ نوعٍ.

+ كما قد نتسبَّب **نحن**، في آلامنا وأوجاعنا وأمراضنا الجسدية والروحية، بأكثر مِمَّا يُصيبنا من غيرنا، بانحرافنا نحو الشرِّ والخطية:

+ فانجذابنا إلى **شهوات الجسد والعيون**، يُدمِّر الكيان، ويُسبِّب التعاسة والانقسام والحُزن بعد البداية الخادعة. **وداود** النبي والملك عانَى الآلام والانكسار بعد اشتهائه "بشبع" وتورُّطه في قتل زوجها "أوريا" بقلبٍ بارد، وأصاب التفكُّك بيته (٢صم ١١ وما بعده)، ولم يُنقذه غير توبته وانسحاقه. ومكتوبٌ عن **شهوة الجسد** بالذات: **"طَرَحَتْ كَثِيرِينَ جَرْحَى، وَكُلُّ قَتْلاَهَا أَقْوِيَاءُ"** (أم ٧: ٢٦). والكتاب يحثُّنا أن نهرب من **الشهوات الشبابية: "أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا، وَ اتْبَعِ الْبِرَّ وَالإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالسَّلاَمَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّبَّ مِنْ قَلْبٍ نَقِيٍّ"** (٢تي ٢: ٢٢).

+ و**"محبة المال"**، كما يقول الكتاب: **"أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ، الَّذِي إِذِ ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ"** (١تي ٦: ١٠). والذي يُسيطر عليه **"تعظُّم المعيشة"** ويلهث وراء المال

واكتنازه، كمَن يشرب من ماء البحر؛ فهو أبداً لن يرتوي. مِن هنا حذَّرنا الرب من **"الطمع"** (لو ١٢: ١٥)، الذي يصفه **مُعلِّمنا بولس** أنه **"عبادة أوثان"** (كو ٣: ٥).

وقد ينتهي حُب المال الشديد إلى **البُخل**. فيكتر الغَني الغبي ماله ويضنُّ به على نفسه وعلى أهله، فيحيا حياةً فقيرة تعسة رغم توفُّر ماله.

+ **الكبرياء** والتعالي على الآخرين والسعي للمكان الأول والطموح المَرضي، كلها مصادر للأوجاع، فكلما ارتفعنا كان السقوط عظيماً. ومكتوبٌ في سِفْر الأمثال: **"قَبْلَ الْكَسْرِ الْكِبْرِيَاءُ، وَقَبْلَ السُّقُوطِ تَشَامُخُ الرُّوحِ"** (أم ١٦: ١٨). كما أنَّ **الأنانية** وحُب الذات والاعتداد بالرأي، يؤدِّي إلى الانقسام والاختلاف والآلام النفسيَّة على مستوى العائلة والكنيسة والجماعة.

+ **الإدمان** للعادات الرديئة، كالتدخين أو السُّكر أو المخدرات أو القمار، كلها مصادر للآلام وانحدار الحياة وتدمير الكرامة الإنسانية. والكتاب يُحذِّرنا: **"لاَ تَسْكَرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلاَعَةُ"** (أف ٥: ١٨)، **"لِمَنِ الْوَيْلُ؟ لِمَنِ الشَّقَاوَةُ؟ لِمَنِ الْمُخَاصَمَاتُ؟ لِمَنِ الْكَرْبُ؟ لِمَنِ الْجُرُوحُ بِلاَ سَبَبٍ؟ لِمَنِ ازْمِهْرَارُ الْعَيْنَيْنِ؟ لِلَّذِينَ يُدْمِنُونَ الْخَمْرَ"** (أم ٢٣: ٢٩، ٣٠).

+ **الحنق والغضب** والانفعال غير المنضبط، يمكن أن يؤدِّي إلى تداعيات ضارة، ليس فقط على الآخر، وإنما أيضاً على صاحبه سواء نفسيّاً أو جسديّاً (ما يُسمَّى بالتأثيرات النفس جسديَّة psychosomatic)، كما

يُفقده علاقته بالآخرين حتى أقرب الناس إليه: **"الْغَضُوبُ يُهَيِّجُ الْخُصُومَةَ"** (أم ١٥: ١٨).

+ ويتَّصل بما سبق **الخصام** وحُب الاختلاف والتراع العنيف، فصاحبها فاقدٌ للسلام وهدوء النفس ولا يعرف الراحة. والكتاب يوصينا: **"وَالْمُبَاحَثَاتُ الْغَبِيَّةُ وَالسَّخِيفَةُ اجْتَنِبْهَا، عَالِماً أَنَّهَا تُوَلِّدُ خُصُومَاتٍ، وَعَبْدُ الرَّبِّ لاَ يَجِبُ أَنْ يُخَاصِمَ"** (٢تي ٢: ٢٣،٢٤)، وأن نتجنَّب أيضاً أصحاب **"مُمَاحَكَاتِ الْكَلاَمِ، الَّتِي مِنْهَا يَحْصُلُ الْحَسَدُ وَالْخِصَامُ وَالاِفْتِرَاءُ وَالظُّنُونُ الرَّدِيَّةُ"** (١تي ٦: ٤،٥).

+ نحن نتعرَّض للمشاكل بتدخُّلنا في شئون الغير، كما قد نتسبَّب في اتِّساع هوَّة الخلاف بين الناس بالحديث عنه وإذاعته والثرثرة الفارغة والاغتياب عالمين أنَّ **"كَثْرَةُ الْكَلاَمِ لاَ تَخْلُو مِنْ مَعْصِيَةٍ، أَمَّا الضَّابِطُ شَفَتَيْهِ فَعَاقِلٌ"** (أم ١٠: ١٩). والكتاب يُحذِّر المؤمنين من **"الْقَبَاحَةُ، وَ... كَلاَمُ السَّفَاهَةِ وَالْهَزْلُ الَّتِي لاَ تَلِيقُ"** (أف ٥: ٤).

+ ثم يبقى أنَّ الخضوع **للهموم** والانحصار فيها، دون طرحها أمام الله، هو مصدر للتعاسة وفقدان السلام، ووصية الكتاب في هذا المجال: **"أَلْقِ عَلَى الرَّبِّ هَمَّكَ فَهُوَ يَعُولُكَ"** (مز ٥٥: ٢٢)، **"مُلْقِينَ كُلَّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ لأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِي بِكُمْ"** (١بط ٥: ٧).

■ الخطية كمصدر للمرض:

+ في العهد القديم كان المرض يُعتَبَر عقوبة في بعض الأحيان. فيذكُر سِفْر العدد أنه لَمَّا تقوَّلت مريم أخت موسى عليه، بعد زواجه من المرأة الكوشيَّة، عاقبها الرب بالبَرَص، ولم يَعفُ عنها إلاَّ عندما طلب موسى من

أجلهـــا، وبَقِيَت خـــارج المحلَّة سبعة أيام قبل أن تُشفَى (عد ١٢: ١-١٥).

كمـــا أنَّ النبي أليشـــع غضب على غلامـــه جيحزي الذي اشـــتهى مـــال نُعمان السرياني قائد جيش أرام، وكـــان قـــد شفاه أليشـــع مـــن بَرَصه، وحَكَم على جيحزي بأن يلصق بَرَص نُعمان به وبنسله إلى الأبـــد (٢مل ٥: ١-٢٧).

+ وتكشف بعض معجزات الرب أيام تجسُّده عن أنَّ بعـــض المـــرض مصدره الخطية. فقبل أن يشفي الرب المفلوج مـــن عجزه، قـــال له: **"ثِقْ يَا بُنَيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَـــاكَ"**، وبعدها قال له: **"احْمِـــلْ فِرَاشَـــكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِـــكَ!"**(مـــت ٩: ٢،٦؛ مر ٢: ٥،١١؛ لو ٥: ٢٠،٢٤).

وبعد أن شفى الرب مريض بِرْكة بيت حسدا الذي حمـــل سريـــره ومشى، **"وَجَـــدَهُ يَسُوعُ فِي الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: "هَا أَنْتَ قَـــدْ بَرِئْتَ، فَلاَ تُخْطِئْ أَيْضاً، لِئَلاَّ يَكُـــونَ لَكَ أَشَرُّ"** (يو ٥: ١٤)؛ مِمَّا يَشي بـــأنَّ مـــا أصابه كـــان سببه خطية (ومعروفٌ أنَّ عديداً مـــن الأمـــراض يُســـبِّبه الإدمان بأنواعه والعلاقات الجنسية النجسة).

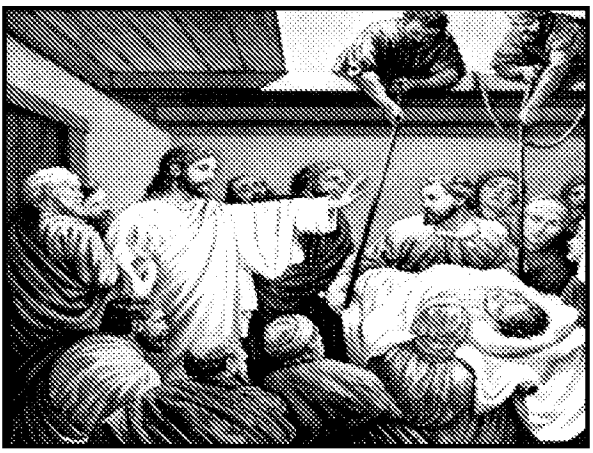

+ وعرفنا مـــن الكتاب أنَّ مَن ينغمســـون في الخطيـــة والشهوات، يصيرون أرضـــاً مُستباحـــة لهجمات الأرواح الشريرة، فيُعانون الأوجاع والآلام، كما تسلبهم عقولهم فيُصيبهم الجنون أو العَمَى.

فـــالمجنون الأخـــرس شفاه الرب بإخـــراج الشيطان منه (مـــت ٩: ٣٢؛ لو ١١: ١٤). وهكذا شفى الرب أيضاً **المجنون الأعمى الأخـــرس** (مت ١٢: ٢٢)؛ والذي أصابـــه **الصـــرع** (مت ١٧: ١٠،١٨؛ مر ٩: ١٤-٢٧؛ لو ٤: ٢٣-٢٦؛ ٩: ٣٨-٤٢)؛ أو **الجنون** (مـــر ٥: ١-١٥) مثل **ابنة الكنعانية** (مت ١٥: ٢١-٢٨؛ مر ٧: ٢٤-٣٠)؛ و**مجنون كورة الجدريين** الذي كـــان يسكن القبور والجبال هائجـــاً يقطـــع السلاســـل والقيود، وبعد شفائه مضى إلى المـــدن يُبشِّر بمـــا صنعه معه الرب يسوع (مت ٨: ٢٨-٣٢؛ لو ٨: ٢٦-٣٥).

+ وكَشَفَ **القديس بولس** عن أنَّ بعض أوجاع الجسد هي من حسد إبليس وحربه ضد المؤمنين، فيكتب في رسالته الثانية إلى أهـــل كورنثوس مُتحاشياً أن يفتخر بعطايا النعمة الفائضة، خاصةً اختطافـــه إلى الفردوس (٢كو ١٢: ٧).

وفي حديثه عن تأسيس الرب لسرِّ الشكر ليلة آلامه، وحثه المؤمنين علـــى الاستعداد اللائق لقبول السرِّ، بيَّن أنَّ **"الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ** (من جسد الرب ودمه) **بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ، غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ. مِنْ أَجْلِ هذَا فِيكُمْ كَثِيرُونَ ضُعَفَـــاءُ وَمَـــرْضَى، وَكَـــثِيرُونَ يَرْقُـــدُونَ"** (١كـــو ١١: ٢٩،٣٠). فالمرض بل والموت، قـــد يكونان عقاباً إلهيّاً لمَـــن يستهينون بالمقدَّسات ولا يتهيَّأون بالتوبة والانسحاق عند التناول.

الله والإيمان وقضية الألم والمرض

■ الله وقضية الألم والمرض:

تؤكِّد لنا كلمة الله أنَّ الله هو مُحب البشر وصانع الخيرات. وأنَّ الإنسان – إذ خُلِقَ حُرّاً – فبعصيانه وصية الله وانصياعه لخداع إبليس وحسده، عرف الألم والوجع والضعف وكل تداعيات الخطية. ولأن الله هو ضابط الكل، فهو يسمح للإنسان بتجربة الألم والمرض، ولكنه لا يُسبِّبهما. ومكتوبٌ: **"إِنَّ اللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ"** (١يو ١: ٥)، وأنه **"لاَ يُجَرِّبُ أَحَداً"** (يع ١: ١٣).

وهو لم يتركنا نهلك، بل في ملء الزمان أرسل ابنه مُتجسِّداً "آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ" (في ٢: ٧) ليُشاركنا آلامنا ويُخلِّصنا. وخلال خدمته على الأرض، أَظهر تحنُّنه على المتألِّمين والمرضى بكلِّ نوع، ومدَّ لهم يد الشفاء بغير تمييز (مت ٩: ٣٦؛ ١٣: ١٤؛ ١٤: ١٤؛ مر ٦: ٣٢). وهو أشفق على الأرملة التي فَقَدَت وحيدها وأزال حزنها، إذ أقامه من الموت (لو ٧: ١١-١٥).

وهـــو قَبْل أن يُقيم لعازر من الموت، شارَك أُختيه حزنهما، بل وبكى مع الباكين (يو ١١: ٣٣،٣٥). وهـــو دعـــا كـــل المتألِّمين أن يأتوا إليه قائلاً: **"تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم"** (مت ١١: ٢٨).

وفي النهاية، قـــدَّم الرب حياتـــه على الصليب **"البار من أجـــل الأثمـــة"** (١بط ٣: ١٨) إعلاناً عن حبِّه اللامتناهي للبشر (يو ٣: ١٦)، وأنه **"يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ"** (١تي ٢: ٤).

الله لم يكتفِ، إذاً، أنـــه ككلِّي المعرفة يُدرك معنى الألم والضعف، ولكنه جاز فيهما لكي نثق أنه على الدوام معنا يرثي لضعفنا ولا يمكن أن يكـــون ضدنا **"لأنه في ما هو قد تألم مجرَّباً يقدر أن يعين المجربين"** (عـــب ٢: ١٨). فهـــو حاضرٌ وسط الضيق، يتدخَّل للإنقاذ (مـــز ٩١: ١٥؛ ١١٨: ٥). وهناك نعمته التي تكمل في الضعف (٢كو ١٢: ٩) والتي تجعـــل **"كُـــلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّـــونَ اللهَ"** (رو ٨: ٢٨). وعندنـــا وعده **"هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ"** (مت ٢٨: ٢٠). وهو دعا مؤمنيه إلى مدِّ يـــد المعونة للمتألِّمين (كما في مَثَل السامري الصـــالح: لو ١٠: ٢٥-٣٧)، وإلى خدمـــة المـــرضى (مـــت ٢٥: ٣٦، ٤٣). وفي الكنيسة، فإنَّ مسحة المرضى هي أحد أسرار الكنيسة الســـبعة، والصـــلاة مـــن أجـــل المرضى هي من صميم الليتورجية.

■ الألم والمرض وحياة الإيمان:

الإيمـــان بشخص المسيح يُغيِّر نظرتنـــا للآلام والأمراض. فالمؤمن لم يَعُد يتألَّم صاغراً مُتحيِّراً، يتجرَّع الكأس وحـــده، ولكنه يُشارِك بنصـــيبه في آلام السيِّد مـــن أجلنا (رو ٨: ١٧؛ غل ٢: ٢٠؛ ١بط ٢: ٢١). والإيمان الحقيقي

يجرد الألم من أشواكه السامة، ومع هِبَات للروح الصبر والاحتمال، تنكسر حِدَّة الألم **"بالتعزية التي نتعزى نحن بها من الله. لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً"** (٢كو ١: ٥).

+ بعض الآلام يسمح بها الله **"لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللهِ فِيهِ** (فينا)" (يو ٩: ٣)، كما قال الرب لتلاميذه أمام مشهد الأعمى من بطن أُمِّه، وهُم ظنُّوا أنَّ فَقْد بصره كان بسبب خطيته أو خطية والديه. فشُكراً للآلام التي تدفعنا أن نستدعي الرب للتدخُّل، فنتمتَّع بأن تظهر أعماله فينا، فنُشارِك في تمجيده (مز ٥٠: ١٥).

+ وإذا كان الإيمان يحفظ المؤمن من الانهيار تحت وطأة الألم أو المرض، فإنَّ تجربة الألم أو المرض من جانبها هي اختبار للإيمان وصموده. فإن اجتاز التجربة ينتقل إلى مرتبة أعلى تتصدَّى للأقسى والأشدِّ. فنصرة **داود** السابقة، عند هجوم الأسد والدُّب على قطيع غنمه، كانت سنده في التجربة الأكثر هولاً أمام جليات، وهكذا قال بكلِّ يقين للملك شاول: **"الرَّبُّ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ يَدِ الأَسَدِ وَمِنْ يَدِ الدُّبِّ هُوَ يُنْقِذُنِي مِنْ يَدِ هذَا الْفِلِسْطِينِيِّ"** (١صم ١٧: ٣٧). وهو بالفعل ما كان، إذ وقف أمام جليات **"باسم ربِّ الجنود"**، وغَلَبَه.

+ الإيمان يُجرِّد من الألم أشواكه السامة، حيث يَهَبُ الروحُ التسليمَ والثباتَ. وهكذا تُنقِّي التجربة المؤمن كما تُنقِّي النار الذهب. ومثالنا هنا هو **أيوب** الذي بعدما فَقَدَ ثروته وأولاده قال: **"لأَنَّهُ يَعْرِفُ طَرِيقِي. إِذَا جَرَّبَنِي أَخْرُجُ كَالذَّهَبِ"** (أي ٢٣: ١٠). فالتجارب تسحب الخطايا إلى السطح كما

يحدث مع الذهب(١). وبَدَل أن تُحطِّمنا التجربة، فإنها تُجرِّد الحياة من نقائصها: **"فَإِنَّ مَنْ تَأَلَّمَ فِي الْجَسَدِ، كُفَّ عَنِ الْخَطِيَّةِ"** (١بط ٤: ١)، وتستثير التوبة فنتحرَّر من الخطايا المتستِّرة بالظلام.

+ الآلام تُعطي ثماراً كثيرة في حياة المؤمن: فرحاً وسط الضيق، **وصبراً** بغير شكوى أو أحزان **"احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة. عالمين أن امتحان إيمانكم ينشئ صبراً. وأما الصبر فليكن له عمل تام، لكي تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين في شيء"** (يع ١: ٢-٤).

+ قد يسمح الله بالآلام والأمراض للبعض **تأديباً** (رؤ ٣: ١٩)، لكي يُعالج كبرياءهم وليتعلَّموا أن يتضعوا **"تحت يد الله القويَّة"** (١بط ٥: ٦)، أو لكي يُديم عليهم اتضاعهم إذا تهدَّدهم التعالي أو الافتخار، بحسب اختبار **معلمنا بولس** الذي لطمه الشيطان بشوكة في الجسد لئلا يرتفع من فرط الإعلانات (٢كو ١٢: ٧).

+ أعظم الآلام التي ينبغي أن نقبلها بفرح هي تلك التي من أجل الإيمان بالمسيح **"لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تألموا لأجله"** (في ١: ٢٩). وتبرز بينها مُعاناة الاضطهاد بأنواعه وإلى حدِّ الموت، وهي أسطع مُشاركة للربِّ في آلامه والتي تؤدِّي في النهاية إلى مجدٍ أبدي: **"اُذْكُرُوا الْكلاَمَ الَّذِي قُلْتُهُ لَكُمْ: لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ. إِنْ كَانُوا قَدِ اضْطَهَدُونِي فَسَيَضْطَهِدُونَكُمْ وَإِنْ كَانُوا قَدْ حَفِظُوا كلاَمِي فَسَيَحْفَظُونَ كلاَمَكُمْ"** (يو١٥: ٢٠)؛

---

(١) ينصهر خام الذهب (عند درجة ١٠٦٤ مئوية)، فتطفو على السطح الشوائب، وتنفصل كقشرة عندما يُصبُّ الذهب السائل في القالب ليبرد ويتصلَّب.

"**فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَداً فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضاً وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضاً مَعَهُ. فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا**" (رو ٨: ١٧،١٨)؛

"**لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيّاً**" (٢كو ٤: ١٧)؛

"**صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ: انَّهُ انْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَهُ فَسَنَحْيَا ايْضاً مَعَهُ. إِنْ كُنَّا نَصْبِرُ فَسَنَمْلِكُ ايْضاً مَعَهُ. انْ كُنَّا نُنْكِرُهُ فَهُوَ ايْضاً سَيُنْكِرُنَا. إِنْ كُنَّا غَيْرَ امَنَاءَ فَهُوَ يَبْقَى امِيناً، لَنْ يَقْدِرَ انْ يُنْكِرَ نَفْسَهُ**" (٢تي٢: ١١-١٣)؛

"**الَّذِي بِهِ تَبْتَهِجُونَ، مَعَ أَنَّكُمُ الآنَ – إِنْ كَانَ يَجِبُ – تُحْزَنُونَ يَسِيراً بِتَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، لِكَيْ تَكُونَ تَزْكِيَةُ إِيمَانِكُمْ، وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ بِالنَّارِ، تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ**"(١بط ١: ٦،٧).

+ اختبار الألم والمرض، خاصة لو كان قاسياً، يجعلنا نشفق على من يجتازون الآلام والأمراض ونسعى للتخفيف عنهم. والرب طوّب زيارة المرضى التي لا تكلف أكثر من البقاء بجوار المريض الذي يسعده رفقة قلب محب وتخرجه من الانحصار في مرضه.

+ من الطبيعي ألاَّ يُرحِّب أحدٌ بالآلام والتجارب فهي محنة للجميع. ونحن في الصلاة التي علَّمنا الرب إيَّاها نقول: "**ولا تُدخِلنا في تجربةٍ**" (مت ٦: ١٣؛ لو ١١: ٤)، أي لا تسمح – كعارفٍ ضعفنا – أن ندخل في ضيقة أو تجربة، والتي لا يكفل للمؤمن عبورها إلاَّ نعمة الله. من هنا فإنَّ أفضل ما في الآلام والأمراض أنها مجالٌ لاختبار **حضور الله** بصورةٍ أكثر جلاءً مِمَّا نختبره في

أيـــام الدِّعة والراحة. فاحتياجنا المُلحّ وقتها لتـــدخُّل الله يُضـــرم الحـــرارة في صلواتنا ويهبنا بركة الإحساس المُكثَّف برفقة الله **"مع أنه** (دوماً) **عـــن كـــل واحد منا ليس بعيداً. لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد"** (أع ١٧: ٢٧،٢٨).

وكثيرة هي آيات الكتاب التي تكشف عن تدخل الله في حياتنا ومساندته لنا خاصة وسط الآلام لكي نخرج منها منتصرين:

"قَرِيبٌ هُوَ الرَّبُّ مِنَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُـــوبِ وَيُخَلِّـــصُ الْمُنْسَـــحِقِي الرُّوحِ. كَثِيرَةٌ هِيَ بَلاَيَا الصِّـــدِّيقِ وَمِـــنْ جَمِيعِهَـــا يُنَجِّيـــهِ الـــرَّبُّ " (مز٣٤: ١٨، ١٩)؛

"لأَنَّهُ تَعَلَّقَ بِي أُنَجِّيهِ. أُرَفِّعُهُ لأَنَّهُ عَرَفَ اسْمِي. يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ. مَعَهُ أَنَا فِي الضِّيقِ. أُنْقِذُهُ وَأُمَجِّدُهُ. مِنْ طُولِ الأَيَّامِ أُشْبِعُهُ وَأُرِيهِ خلاصِي" (مز٩١: ١٤-١٦)؛

"بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ وَلاَ تَنْسَيْ كُلَّ حَسَنَاتِهِ. الَّذِي يَغْفِرُ جَمِيـــعَ ذُنُوبِكِ. الَّذِي يَشْفِي كُلَّ أَمْرَاضِكِ. الَّذِي يَفْدِي مِنَ الْحُفْرَةِ حَيَاتَـــكِ. الَّذِي يُكَلِّلُكِ بِالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ. الَّذِي يُشْبِعُ بِالْخَيْرِ عُمْرَكِ فَيَتَجَدَّدُ مِثْـــلَ النَّسْرِ شَبَابُكِ" (مز١٠٣: ٢-٥).

+ الله يسمح بالمرض الشديد أو الذي لا شفاء منه، كي يُعِدَّ المؤمن لقبول الموت الذي يختم على آلامه ليكون مع المسيح. كما يُهيِّئ الأهل والأصـــدقاء لانتهاء حياته على الأرض وتسليم حياتهم هم أيضاً للربِّ **"لأَنْ لَيْسَ لَنَا هُنَـــا مَدِينَةٌ بَاقِيَةٌ، لَكِنَّنَا نَطْلُبُ الْعَتِيدَةَ"**(عب ١٣: ١٤). ويُطلق الـــبعض علـــى مرض السرطان اسم **"مرض الفردوس"** باعتبار أنه في أكثر حالاته لا شـــفاء منه، فهو مِن ثمَّ طريق مُباشر للخروج من هذا العالم وسُكنى الفردوس.

+ حتى لو خَلَت حياتنا من الآلام الساحقة أو الأمراض المُزمنة، فيكفي أنها لابد أن تُختَتَم بالموت الذي يصفه الكتاب أنه **"آخر عدو يُبطَل"** (١كو ١٥: ٢٦). ولعل الله سمح لحياتنا الحاضرة بالقصور والنقص والأحزان والآلام والمرض، وفي النهاية الموت، لكي نتطلَّع إلى الحياة الكاملة الدائمة في الملكوت التي تمتلئ بالفرح الذي لا يُقارَن بما نختبره هنا، والتي لن تنتهي مرَّةً أخرى بالموت، وإنما تمتدُّ إلى الأبد " **لأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ نُقِضَ بَيْتُ خَيْمَتِنَا الأَرْضِيُّ، فَلَنَا فِي السَّمَاوَاتِ بِنَاءٌ مِنَ اللهِ، بَيْتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، أَبَدِيٌّ. فَإِذَانَحْنُ وَاثِقُونَ كُلَّ حِينٍ وَعَالِمُونَ أَنَّنَا وَنَحْنُ مُسْتَوْطِنُونَ فِي الْجَسَدِ فَنَحْنُ مُتَغَرِّبُونَ عَنِ الرَّبِّ. فَنَثِقُ وَنُسَرُّ بِالأَوْلَى أَنْ نَتَغَرَّبَ عَنِ الْجَسَدِ وَنَسْتَوْطِنَ عِنْدَ الرَّبِّ**"(٢كو٥: ١، ٦، ٨)؛

"طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّجْرِبَةَ، لأَنَّهُ إِذَا تَزَكَّى يَنَالُ «إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ" (يع١: ١٢)؛

"وَسَمِعْتُ صَوْتاً عَظِيماً مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: «هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْباً. وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلَهاً لَهُمْ. وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ»"(رؤ ٢١: ٣،٤).

* * *

بعد كل ما عرضناه، سنظلُّ نقف أحياناً حيارَى عاجزين، عن تفسير آلام أطفال أبرياء يُصابون بأعتى الأمراض أو يُولدون مُشوَّهين،

تُلازمهم عاهاتهم كل الحياة؛ أو ضحايا الحوادث المفاجئة وكوارث الطبيعة المدمرة، أو الملايين الذين يفقدون حياتهم في حروبٍ لا يد لهم فيها أو وهُم يُحاولون النجاة من الهَول فتغرق بهم السفينة. أو نرى شريراً لا يُعكِّر صفو حياته شيء، وخادماً أميناً لله يُعذِّبه مرضٌ قاسٍ، أو مَن تنتهي حياته في شرخ الشباب بيد سِكِّير أرعن أو بطلقة طائشة؛

على أنَّ الحيرة ستنتهي في اليوم الأخير. وقتها تكتمل الصورة. وكما قال أبونا **إبراهيم** للغَني في المَثَل الشهير: **"اذْكُرْ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ، وَكَذلِكَ لِعَازَرُ الْبَلاَيَا. وَالآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ"** (لو ١٦: ٢٥). فالمؤمنون الذين يأتون من الضيقة العظيمة بعد مُعاناة الآلام سيتمجَّدون بأعظم مِمَّا تألَّموا به، والذين صنعوا الشرَّ سيُجازون عن شرِّهم **"وليس مُحاباة"** (كو ٣: ٢٥). وإلى أن يأتي هذا اليوم فعلينا أن نثق في **محبة الله** التي لا يمكن أن تسقط (١كو ١٣: ٨). وفي **حكمته** التي لا يُسبَر غورها: **"يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاِسْتِقْصَاءِ!... لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ"** (رو ١١: ٣٣،٣٦).

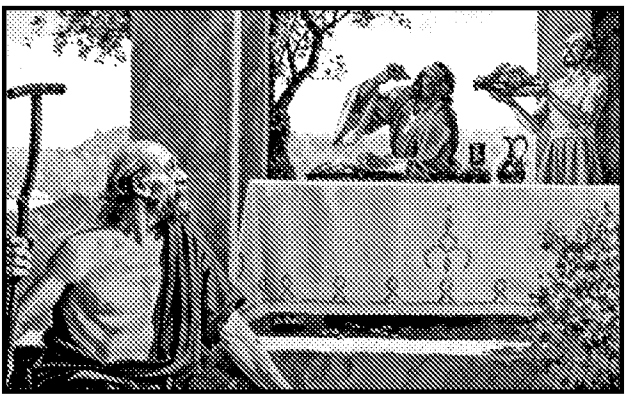

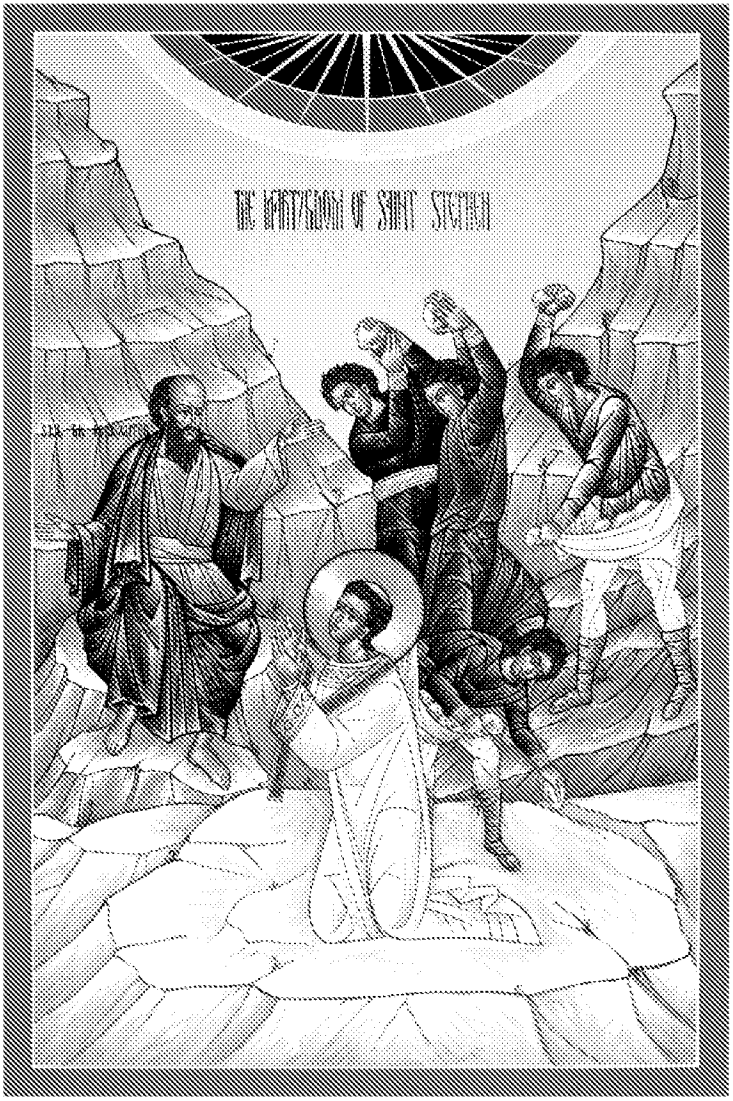

"يا رب لا تقم لهم هذه الخطية" (أع ٧: ٦٠)

اضطهاد لا ينتهي.. وماذا بعد؟!

- بداية الاضطهاد للإيمان.. واتساع دائرته
- لماذا الاضطهاد وكيف نواجهه؟
- موجات الاضطهاد تتفاقم من حولنا ونذر الحروب الدينية في الأفق

بداية الاضطهاد للإيمان واتساع دائرته

تحتفل الكنيسة كل عام برأس سنة جديدة في التقويم القبطي (١٧٣٤ش)، والذي تعود جذوره إلى أكثر من ستة آلاف عام، ولكن جعل له المصريون بداية جديدة تُواكِب إعلان إيمانهم بالمسيح.

ولم يكن دخول الإيمان المسيحي إلى العالم، بعد تأسيس الكنيسة يوم الخمسين، سهلاً هيِّناً؛ بل اجتاز في بحار الدم امتداداً لِمَا واجهه المؤمنون وقادتهم في **أورشليم** و**اليهودية** (**القديسان استفانوس**: أع ٧: ٥٩؛ **ويعقوب بن زبدي**: أع ١٢: ٢)، وفي **روما** (**الرسولان بطرس وبولس**)، وفي **مصر** حيث بدأ الاضطهاد باستشهاد **القديس مرقس**(١) مُبشِّرها (٦٨م). وعدا **القديس يوحنا**، الذي نُفي في جزيرة بطمس اليونانية، فكل تلاميذ الرب ورُسله قدَّموا حياتهم على

(١) عن حياة القديس مرقس وكرازته واستشهاده، راجع مقال "**عيد مار مرقس**"، في الكتاب **الخامس عشر** من سلسلة "**نور الحياة**" (ص١٤١-١٥٤)

مذبح الاستشهاد في البلاد التي بشَّروها بالمسيح(٢).

وخلال القرون الثلاثة الأولى، حيث كان الحُكْم الروماني سائداً، أَخَذَت أعداد شهداء الإيمان في التصاعُد بدءاً من عهد نيرون Nero (٥٤-٦٨م)، وخُلفائه العشرة، حتى **دقلديانوس** Diocletian (٢٨٤-٣٠٥م)، آخر الطُّغاة وأعتاهم في اضطهاده، الذي جاء إلى مصر (٣٠٣م) ليتولَّى بنفسه أَمْر عقاب مسيحيِّي مصر. إلى أن أذن الله بفترة من السلام بتولِّي **قسطنطين** الحُكْم الروماني (٣١٢م)، الذي أَصدَرَ ما يُعرف بمرسوم ميلان للتسامُح (٣١٣م)، وفيما بعد أَعلن إيمانه بالمسيح، بعد أن آمنت أُمه **الملكة هيلانة**، التي أسهمت في اكتشاف الصليب.

ولأن موجة الاضطهاد الأخيرة التي واجهتها مصر المسيحية كانت قاسية جدّاً (٨٠٠.٠٠٠ شهيد) كأكبر عدد من شهداء الإيمان قدَّمته كنيسة مسيحية، فقد اختار الآباء يوم وسنة اعتلاء دقلديانوس الحُكْم (٢٩ أغسطس ٢٨٤م)(٣) بداية جديدة لتقويمهم وأسموها: **سنة، أو تقويم، الشهداء** Anno Martyri، تمجيداً وافتخاراً بشهداء الكنيسة الذين

---

(٢) **فالقديس يعقوب** (بن حلفى) أسقف أورشليم أُلقي من فوق الهيكل وضُرِبَ فيما بعد حتى الموت؛ **والقديس متى** قُتِلَ في إثيوبيا طعناً في ظهره بالسيف (وقيل أنه استُشهد في مدينة هيرابوليس اليونانية)؛ **والقديس أندراوس** عُلِّق على صليب على شكل حرف X في باترا غربي اليونان، وظل يومين على الصليب يُبشِّر بالمسيح حتى أَسْلَم الروح؛ **والقديس فيلبُّس** صُلِبَ مُنكَّس الرأس؛ **والقديس برثولماوس** (نثنائيل) استُشهدَ في أرمينيا بسَلْخ جلده ثم صلبه؛ **والقديس توما** طُعِنَ برُمح قُرب مدراس بالهند؛ **والقديس يهوذا** (بن حلفى) صُلِبَ في آراراط بأرمينيا وقُتِلَ بالسهام؛ **والقدِّيسان سمعان القانوي وتدَّاوس** قُتلا في فارس أو أرمينيا؛ **والقديس متياس** رُجِمَ في إثيوبيا ثم قُطِعَت رأسه؛ **والقديس لوقا** قُتِلَ بحدِّ السيف في اليونان.

(٣) بسبب فارق الـ ١٣ يوماً بين التقويمين القبطي والجريجوري، صارت بداية السنة القبطية ١١ أو ١٢ سبتمبر.

أكَّدوا حبهم للملك المسيح، وتمسُّكاً بإيمانهم حتى الدم. وصار يوم الأول من شهر توت، إكليل السنة القبطية، **"عيداً للشهداء"**، والذي يُعرَف أيضاً **بعيد النيروز**(٤).

وكما نعرف، فإنه لم تكد تمضي ثلاثة قرون أخرى حتى دارت عجلة الاضطهاد من جديد، باجتياحٍ فارسي ثم عربي من الشرق، حاملاً الدعوة لدين جديد يسانده السيف الذي أعمله الفاتحون في رقاب من تمسكوا بإيمانهم ولم يستطعوا افتداء حياتهم بالمال. وتصاعَد التنكيل من كلِّ الغُزاة، فامتدَّ من هدم الكنائس والأديرة أو حرقها ومَنْع بناء كنائس جديدة، إلى التمييز في الحقوق وتولِّي الوظائف؛ بل وفي لون الملابس، وإرغام المسيحيين على وَشْم الصليب لتمييزهم عن غيرهم(٥)، وإرهاق الكنيسة مادياً ومعنوياً، وحصار اللغة القبطية وإحلال العربية، التي سادت منذ القرن العاشر.

وكانت موجة الاضطهاد تعلو وتهبط بحسب الحاكم، حتى خضعت مصر للحُكْم العثماني الشديد الوطأة (١٥١٧-١٨٠٥م). ومع بداية القرن التاسع عشر بَدَأَت رياح التغيير بتأسيس الدولة المدنية

---

(٤) على الأرجح من الكلمة الفارسية **"نوروز"** (نِي روز)، وتعني: "اليوم الجديد" أو "يوم الاحتفال" (وهو بإيران بداية العام الجديد). وقد حملت رأس السنة القبطية هذا الاسم منذ احتلال الفُرس لمصر (٥٢٥-٤٠٥ق.م) بقيادة قمبيز، وحتى اليوم. وإنْ كان البعض ينسب الكلمة إلى اللغة المصرية القديمة. وكان عيد النيروز واحداً من أهم أربعة أعياد مسيحية في زمن الدولة الفاطمية (٩٦٩-١١٧١م) (باعتباره عيد الفيضان) في مصر، مع ليلة الغطاس وخميس العهد وعيد الميلاد. وقد احتُفِلَ بعيد النيروز في مصر لأول مرَّة (٢٠٠٧/٩/١٢م) في القرية الفرعونية بحضور عدَّة مئات مِمَّن يحفلون بتاريخهم الفرعوني القديم.

(٥) وهو ما رحَّب به الأقباط المسيحيون واستمروا يُمارسونه منذ الطفولة شهادةً وافتخاراً.

والمجالس النيابية والانفتاح على الحضارة الأوروبية.

على أنه مع ظهور الجماعات الدينية في النصف الأول من القرن العشرين، تحوَّل الاضطهاد الذي كان تتولاَّه الدولة ليصبح بصورة رئيسية في يد الجماعات المُتطرِّفة والإرهابية، التي هي في الأساس تسعى لتولِّي السلطة. فهي تُحارِب الدولة وتغتال رموزها وتقتل جنودها، وفي السياق تقتل المسيحيين الذين تراهم كُفَّاراً لا يستحقُّون الحياة، وتصاعَدَت هجماتهم خاصة في العقود الأخيرة.

فإضافة إلى الذَّبْح على الهويَّة، واختطاف الفتيات المسيحيات وإجبارهن على إنكار الإيمان، كان القتل الجماعي بإطلاق النار أو التفجير الانتحاري وسط المُصلِّين في الكنائس خاصة أيام الأعياد(٦). وعلى غير ما يبغي العدو، فقد أفرزت موجة الاضطهاد العنيف نماذج عظيمة من إيمانٍ قويٍّ يتحدَّى العالم ولا يهاب الموت.

ولاشك أن نمو الجماعات الدينية في السبعينات من القرن الماضي، واستقطابها لكل المستويات الاجتماعية، رجالاً ونساءً وشباباً، قد عمّق الكراهية ضد شركاء الوطن من المسيحيين. فإذا أضفنا إلى ذلك أن التعليم في بلادنا يضم الملايين الذين يتعلمون في مدارس دينية تنتشر من أقصاء البلاد إلى أقصائها، وتتصاعد من الطفولة حتى التعليم الجامعي، بما يعني أنهم لم يلتقوا يوماً في فصولهم بمسيحي أو مسيحية، كما أن هناك مؤسسات

---

(٦) انظر صورة (ص ١٤٠)، وملحق (١) في آخر الكتاب عن **"سجل أحداث اضطهاد الأقباط ومسيحيي الشرق في العصر الحديث"** (ص ٢٠٨).

تحظر تعيين المسيحيين فيها بصورة علنية، لأدركنا مدى الانفصال والتغرب بين الفريقين، وهو المقدمة لتشرذم البلاد إلى قرى وأحياء ومدن تضم واحداً من الفريقين دون غيره بما يهدد بالحرب الطائفية، التي نسأل الله أن يجنبنا إياها، على عكس ما كانت عليه مصر قبل أقل من قرن حين كان أتباع العقيدتين ينتشرون في كل ربوع الوطن مما كان يسمح بالوحدة والتآلف والقوة.

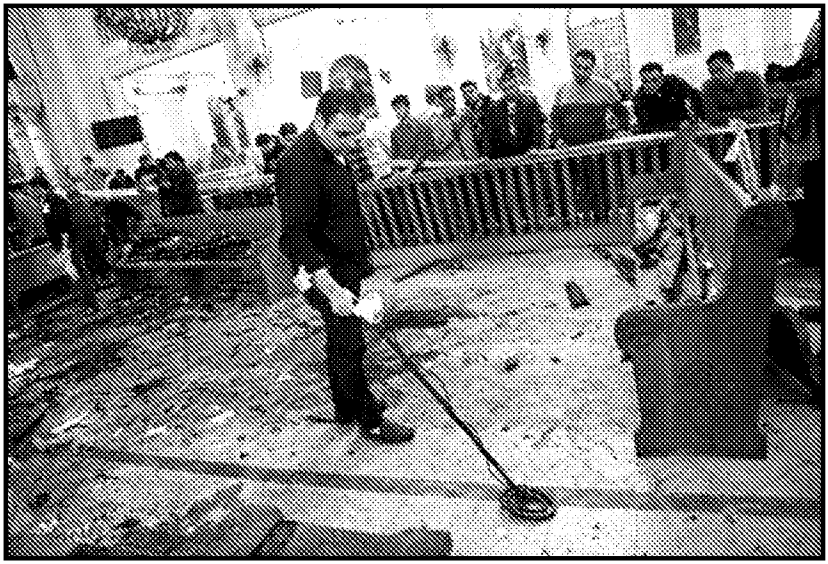

أثار تفجير كنيسة مارجرجس بطنطا يوم أحد السعف (٢٠١٧/٤/٩)

لماذا الاضطهاد وكيف نواجهه؟

من الطبيعي أن نتساءل: لماذا كل هذه المُقاومة الدامية للإيمان المسيحي الذي يُبشِّر بالكلمة ولا يعرف العنف؟ ولماذا يظل الاضطهاد هو ردَّ العالم على دعوة المسيح للخلاص؟

وهل تُعتبر المطالبة بحقوق مواطنة وعبادة متكافئة إزاء هذا الظلم الإنساني، كما يراها البعض، تهرباً من متطلبات الإيمان؟ وأليس في قبولنا بتجاوزات الأشرار وظلمهم تشجيعاً لهم على الإيغال في طغيانهم وبالتالي سعيهم إلى حتفهم وهلاكهم؟

ماذا يقول الكتاب؟

■ لماذا اضطهاد المؤمنين؟(١)

ليس غريباً أن يُقاوَم الإيمان المسيحي أو يُضطهَد المؤمنون بالمسيح،

---

(١) راجع مقال **قضية الإضطهاد** في **الكتاب الخامس** من سلسلة **"نور الحياة"** للكاتب (ص ١٣٨-١٤٩).

بـــل هـــو الطبيعي والمحتوم. فابن الله تجسَّد لكي **"يُخلِّص شـــعبه مـــن خطاياهم"** (مت ١: ٢١)، أي ينقذهم من موت الخطية، وينتزعهم مـــن براثـــن العدو، بحسب الترتيب الإلهي منذ السقوط (**"هو يسحق رأسكِ"** – تك ٣: ١٥). هناك، إذاً، حربٌ روحية بين الـــرب ومؤمنيـــه، مـــن جانبٍ؛ وبين إبليس(٢) ومملكته، وهي العالم الشرير، من الجانب الآخـــر (أف ٦: ١١،١٢؛ ١بط ٥: ٨).

ومنذ بدايات العهد الجديد تتالت الإشارات عن هذه المواجهـــة بـــين الإيمان والعالم:

+ فالملاك يُبشِّر الرعاة بميلاد **"مخلِّص هو المسيح الرب"** (لو ٢: ١١).

+ والعذراء تدخل بطفلها الإلهي إلى الهيكل بعد أربعين يومـــاً مـــن ميلاده لتُقدِّم ذبيحة، فيأتي – بـــالروح – سمعان الشيخ البار التَّقي ليحمله مُمجِّداً الله ويقول: **"عينيَّ قد أبصرتا خلاصك"**، ويُعلِن لـــلأُم العـــذراء: **"ها إنَّ هذا قد وُضِعَ لســـقوط وقيـــام كـــثيرين، ولعلامـــةٍ تُقـــاوَم"** (لو ٢: ٣٠،٣٤)، وقـــد كـــانت إشارة مُبكِّرة عـــن **"علامـــة ابـــن الإنســـان"** (مت ٢٤: ٣٠)، أي الصليب الـــذي كـــان أداة الخـــلاص، والـــذي بسببه لا تهـــدأ مُقاومـــة **"أعداء صليب المسيح"** (في ٣: ١٨).

+ والربُّ، وهو يبدأ تعاليمه، سبق فتنبَّأ عن القتل والطـــرد والتـــهجير والتعيير والتمييز الذي سيتعرَّض لـــه المؤمنون بـــه والمُبشِّـــرون باسمـــه، مُطوِّباً إيَّاهم: **"طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِـــرِّ، لأَنَّ لَهُـــمْ مَلَكُـــوتَ**

---

(٢) ومكتوب عن إبليس أنه **"رئيس هذا العالم"** (يو ١٦: ١١)، وأنه **"رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية"** (أف ٢: ٢)، وأنَّ **"إبليس خصمكم كأسدٍ زائر، يجول مُلتمساً مَن يبتلعه"** (١بط ٥: ٨).

السَّمَوَاتِ. طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ" (مت ٥: ١٠، ١١).

+ وعندما بدأ المعلِّم في إعداد تلاميذه للكرازة، قال لهم: **"هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ فِي وَسْطِ ذِئَابٍ... وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي... لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنَ الْمُعَلِّمِ، وَلاَ الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ سَيِّدِهِ... وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا... فَكُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي قُدَّامَ النَّاسِ أَعْتَرِفُ أَنَا أَيْضاً بِهِ قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ، وَلكِنْ مَنْ يُنْكِرُنِي قُدَّامَ النَّاسِ أُنْكِرُهُ أَنَا أَيْضاً قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ... وَمَنْ لاَ يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُنِي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي"** (مت ١٠: ١٦، ٢٢، ٢٤، ٢٨، ٣٢، ٣٣، ٣٨).

+ والربُّ أكَّد مراراً على حتمية حَمْل الصليب لَمن يتبعه (مت ١٦: ٢٤؛ مر ٨: ٣٤؛ لو ٩: ٢٣؛ ١٤: ٢٧). وحتى لَمَّا أشار هو إلى البركات التي سينالها مؤمنوه، الذين يتركون من أجله الأهل والممتلكات، أضاف أن **"معها اضطهادات"** (مر ١٠: ٣٠)(٣).

+ والمسيح، رئيس إيماننا، هو أول مَن تعرَّض للمقاومة والاضطهاد من رؤساء العالم، ومن قادة اليهود الذين أحبُّوا مجد العالم وتمسَّكوا برئاستهم رافضين خلاصهم، وتكلَّم باسمهم قيافا قائلاً: **"خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا"** (يو ١١: ٥٠؛ ١٨: ١٤)، وبحسب الكتاب، فالربُّ، قبل أن يُرفَع

---

(٣) وفي الرسائل الكثير عن ارتباط الإيمان بالآلام: **"لأنه قد وُهِبَ لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألَّموا لأجله"** (في ١: ٢٩)، **"وجميع الذين يعيشون بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون"** (٢تي ٣: ٢)، **"وأنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت السموات"** (أع١٤: ٢٢)

على الصليب ويموت، بُصِقَ عليه ولُكِمَ ولُطِمَ، واستُهزئ به، وتخلَّى عنه أكثر تلاميذه وهربوا وتركوه وحده؛ بل إنَّ واحداً منهم خانه وأَسْلَمَه، وآخر أنكره وسط محنته.

فهو قدَّم لنا نفسه النموذج والمثال في احتمال الآلام (١بط ٢: ٢١)، وخاطب تلاميذه وتابعيه كي يَقُدهم لمواجهة الاضطهاد ومغالبته: «**إِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُبْغِضُكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أَبْغَضَنِي قَبْلَكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ. وَلكِنْ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ، بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ، لِذلِكَ يُبْغِضُكُمُ الْعَالَمُ. اُذْكُرُوا الْكَلاَمَ الَّذِي قُلْتُهُ لَكُمْ: لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ. إِنْ كَانُوا قَدِ اضْطَهَدُونِي فَسَيَضْطَهِدُونَكُمْ... بَلْ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً للهِ**» (يو ١٥: ١٨-٢٠؛ ١٦: ٢).

والربُّ، في مواجهته لشاول "**مُضطهِد الكنيسة**" (في ٣: ٦) كَشَفَ أنه، باعتباره رأس الكنيسة (أف ١: ٢٢؛ كو ١: ١٨)، أول مَن يقع عليه الاضطهاد: "**لماذا تضطهدني؟... أنا يسوع الذي أنت تضطهده**" (أع ٩: ٤،٥؛ ٢٢: ٧،٨؛ ٢٦: ١٤،١٥).

■ «نتمجَّد أيضاً معه»:

واقع الأمر أنَّ الله لا يتركنا وحدنا نواجه الآلام، بل نحن معها نتمتَّع بمُساندته وتعزيات الروح القدس، وفي نهاية المطاف فإننا نتمجَّد أيضاً معه: "**وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ**" (مت ٢٨: ٢٠)؛

"**لأَنَّهُ كَمَا تَكْثُرُ آلاَمُ الْمَسِيحِ فِينَا كَذلِكَ بِالْمَسِيحِ تَكْثُرُ تَعْزِيَتُنَا أَيْضاً... عَالِمِينَ أَنَّكُمْ كَمَا أَنْتُمْ شُرَكَاءُ فِي الآلاَمِ، كَذلِكَ فِي التَّعْزِيَةِ أَيْضاً**" (٢كو ١: ٥،٧)؛

"مُضْطَهَدِيـــنَ، لكِـــنْ غَـــيْرَ مَتْرُوكِينَ. مَطْرُوحِينَ، لكِنْ غَيْرَ هَالِكِينَ" (٢كو ٤: ٩)؛

"فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَـــانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِـــالْمَجْدِ الْعَتِيـــدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا... إِنْ كُنَّـــا نَتَأَلَّـــمُ مَعَـــهُ لِكَـــيْ نَتَمَجَّـــدَ أَيْضـــاً مَعَـــهُ" (رو ٨: ١٨،١٧)؛

"لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَـــأَكْثَرَ ثِقَـــلَ مَجْـــدٍ أَبَـــدِيًّا" (٢كو ٤: ١٧)؛

"صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ: أَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَهُ فَسَنَحْيَا أَيْضاً مَعَهُ. إِنْ كُنَّـــا نَصْبِرُ فَسَنَمْلِكُ أَيْضاً مَعَهُ. إِنْ كُنَّا نُنْكِرُهُ فَهُوَ أَيْضاً سَيُنْكِرُنَا. إِنْ كُنَّا غَيْـــرَ أُمَنَاءَ فَهُـــوَ يَبْقَى أَمِيناً، لَـــنْ يَقْدِرَ أَنْ يُنْكِرَ نَفْسَهُ" (٢تي ٢: ١١-١٣)؛

"حِينَئِذٍ يُضِيءُ الأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ فِي مَلَكُوتِ أَبِيهِمْ" (مت ١٣: ٤٣)؛

"مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ فِي الْمَجْـــدِ" (كو ٣: ٤).

+ وإذا كـــان المجد مـــن نصيب المتألِّمين والمُضطهَدين من أجل المسيح، فإنَّ الذين اضطهدوا الإيمان لن يفلتوا من العقاب الإلهي: "إِذْ هُوَ عَادِلٌ عِنْدَ اللهِ أَنَّ الَّذِيـــنَ يُضَايِقُونَكُمْ يُجَازِيهِمْ ضِيقاً، وَإِيَّاكُمُ الَّذِينَ تَتَضَايَقُونَ رَاحَـــةً مَعَنَا، عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ مِنَ السَّمَاءِ مَعَ مَلاَئِكَةِ قُوَّتِهِ، فِي نَارٍ لَهِيبٍ، مُعْطِياً نَقْمَةً لِلَّذِيـــنَ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ، وَالَّذِيـــنَ لاَ يُطِيعُـــونَ إِنْجِيلَ رَبِّنَـــا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِيـــنَ سَيُعَاقَبُونَ بِهَلاَكٍ أَبَدِيٍّ مِـــنْ وَجْهِ الـــرَّبِّ وَمِـــنْ مَجْدِ قُوَّتِـــهِ" (٢تس ١: ٦-٩)؛

"وَأَمَّا الظَّالِمُ فَسَيَنَالُ مَا ظَلَمَ بِهِ، وَلَيْسَ مُحَابَاةٌ" (كو ٣: ٢٥).

■ في مواجهة الاضطهاد:

+ إنَّ دعوة المسيحي في أساسها ليست للموت، وإنما لحياةٍ مقدَّسة، نختبرها هنا أولاً على الأرض وتمتدُّ في الملكوت، وأن نشهد للإيمان في العالم من حولنا: **"أنتم نور العالم... فليُضئ نوركم هكذا قدَّام الناس"** (مت ٥: ١٤،١٦)، **"لستُ أسأل أن تأخذهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير"** (يو ١٧: ١٥). والمسيحي لا يكره حياته، بل يحبُّها كعطية من الله (١بط ٣: ١٠)، الذي **"يمنحنا كل شيء بغِنًى للتمتُّع"** (١تي ٦: ١٧). ولكن عندما يكون الاختيار بين الحياة والموت من أجل الإيمان، فلا مجال للتردُّد أو الحلول الوسط: **"لي الحياة هي المسيح، والموت هو ربحٌ"** (في ١: ٢١).

+ المسيحي لا يسعى للاضطهاد، ولا يستفزُّ العدو ويتحدَّاه. فالوصية تُطالِب المؤمنين أن يكونوا: **"حُكماء كالحيَّات وبُسطاء كالحمام"** (مت١٠: ١٦)، وأن يُصلُّوا لأجل الذين يُسيئون إليهم ويطردونهم (مت ٥: ٤٤). والمسيح وهو على الصليب طلب الغفران لصالبيه (لو ٢٣: ٣٤)، وعلى نهجه سار استفانوس والأحجار تنهال عليه (أع ٧: ٦٠). فلا نُجازي أحداً عن شرٍّ بشرٍّ بل نغلب الشر بالخير (رو ١٢: ١٧،٢١)، ذلك أن رد العنف بالعنف يضرمه ويعطي المعتدي مبرراً ليرضى عن عدائه.

+ يحثنا الكتاب على تقديم الخير للعدو المضطهِد لإثارة نوازع الخير الدفينة فيه، كنجدته ساعة ضعفه **"إن جاع عدوك أطعمه"** (رو١٢: ٢٠)، أو زيارته عند مرضه وتعزيته في آلامه وأحزانه **"أحسنوا إلى مبغضيكم"** (مت٥: ١٤)، فربما خفّف ذلك من غلواته أو أعاده إلى إنسانيته المفقودة أو أعادها إليه، ولعل السعي إلى وساطة عاقلة قد تكون بذات فائدة.

+ إنَّ المُساندة الإلهية والإيمان بالمسيح ومحبته أكثر من الكلِّ ومن الحياة، ويقين المصير الأبدي؛ تهب المؤمن شجاعة المواجهة، وتنتزع من قلبه كل خوف.

كان **الرسول بولس** يُحاكَم أمام **فيلكس الوالي** (أع ٢٤: ٢٤،٢٥) ثم أمام خليفته **فستوس** ومعه **الملك أغريباس** (أع ٢٦: ٢٨،٢٩)، فكان واثقاً قويّاً يُبشِّرهم بإلهه ويدعوهم للإيمان؛ بينما كان فيلكس، الذي يُحاكمه، يرتعب.

+ هناك خطر يتهدد المسيحي الذي يعيش في مجتمع يرفضه أو يسيء إليه، هو أن يترلق إلى التعصب والسلبية والانطواء أو العزلة، وكلها صور من كراهية الآخر واستقالة صريحة من وصية المسيح وهزيمة للإيمان، ولا حل غير التوبة وطلب مؤازرة النعمة:

"من قال إنه في النور وهو يبغض أخاه فهو إلى الآن في الظلمة" (١يو٢: ٩).

+ إنَّ القبول بالاضطهاد من أجل الإيمان لا يمنع إدانته والتشهير به. فالمُضطهِد شريرٌ وظالمٌ ويُعادي الله، ولن تمرَّ جرائمه بغير عقاب. مِن هنا، فمُقاومته والتصدِّي له، لا بالعنف والشر وقوة الجسد؛ وإنما بالقانون والكلمة والفكر والصمود الشُّجاع حتى الدم، هو حقٌّ وواجب.

+ إنَّ المُطالبة بالحقوق، بحسب القانون، متى أُتيحت، لن تكون تهرُّباً من متطلبات الإيمان وحَمْل الصليب؛ بل هي تعبيرٌ عن الشهادة للحقِّ وإعلانه وإعلائه، وهي أيضاً لردع المُضطهِد ووقف إيغاله في طغيانه وإنقاذه من انحرافه وقسوته التي ستقوده إلى حتفه. وكما أنَّ المسيح هو مثالنا في احتمال

الاضطهاد، فهو أيضاً مثالنا في الصمود والشجاعة أمام المُضطهدين. فعندما كان يُحاكَم أمام رئيس الكهنة واجَه العبد الذي لطمه قائلاً: **"إن كنتُ قد تكلَّمتُ رديّاً فاشهدْ على الرَّدِيِّ، وإنْ حسناً فلماذا تضربُني؟"** (يو ١٨: ٢٢،٢٣).

و**الرسول بولس** تمسَّك بحقِّه كمواطنٍ روماني لا تجوز عليه عقوبة الجَلْد، وواجَه جنود السلطة قائلاً: **"أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانيّاً غير مَقْضِيٍّ عليه؟"** (أع ٢٢: ٢٥-٢٩)، فتنَحَّوْا عنه وحلُّوا قيوده. كما تمسَّك بحقِّه في أن يرفع دعواه إلى القيصر أُغسطس في روما (أع ٢٥: ١١،١٢)، وهكذا تحقَّق وَعْد الرب له أن يُكرز باسمه في العاصمة الرومانية (أع ٩: ١٥؛ ٢٣: ١١).

و**القديس أثناسيوس**، كما أرادوا إثناءه عن التمسُّك بعقيدته المستقيمة وحذَّروه أنَّ العالم يقف ضدَّه، فبكل شجاعة الإيمان قال قولته المشهورة: **"وأنا ضد العالم"**، حتى لقَّبوه Athanasius contra mundum. وتاريخ الشهداء المسيحي حافلٌ بصُور الشجاعة والاستهانة بالموت التي يهبها الرب لشهدائه في مواقف المواجهة المؤلمة.

+ إنَّ الآلام وألوان الاضطهاد ليست وقفاً على المؤمنين بالمسيح، وإن كانت تتفرَّد عن غيرها أنها إعلانٌ للإيمان بمَن أحبنا أولاً وذاق **"الموت لأجل كل واحد"** (٢كو ٥: ١٥؛ عب ٢: ٩)، وأنها تكتمل بالمجد في اليوم الأخير.

فعالمنا حافلٌ بصنوف الأوجاع والمظالم بما في ذلك الفقر والأمراض والإعاقات وثورات الطبيعة، والاستغلال والظلم والتمييز، بل والتطهير العِرْقي والديني؛ إضافةً إلى الحروب وويلاتها وضحاياها بالملايين، وغيرها

وغيرها. فهذه كلها أيضاً آلام ولكنها بلا عائد، حتى وإنْ كان الله يُتيح في بعضها أن يُمارِس الإنسان خدمة الرحمة ويقترب من أخيه الإنسان، ولكن أكثرها يعسُر فهمه؛ وإنما هي فقط تشهد **"أنَّ تصوُّر قلب الإنسان شريرٌ منذ حداثته"** (تك ٨: ٢١)، وأنَّ **"العالم كله وُضِعَ في الشرير"** (١يو ٥: ١٩)، وأنَّ طبيعته هي النقص والضعف، وأنَّ الجسد **"ترابٌ وإلى ترابٍ يعود"** (تك ٣: ١٩)، وأنَّ مآل العالم أن ينتهي، وبحسب وعد الله: **"ننتظر سمواتٍ جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر"** (٢بط ٣: ١٣؛ رؤ ٢١: ١).

* * *

ختام القول إننا لا ننشد الاضطهاد في ذاته. فلسنا مرضى نفسيين نتلذَّذ بالألم، أو مُتشائمين نتوجَّس من مباهج الحياة، أو نسعى وراء بطولة كي يُمجِّدنا الناس. فسيف الاضطهاد مؤلم، والضيقات تُعكِّر صفو الحياة؛ بل إننا نسأل الله دوماً أن يحفظ سلام الكنيسة وألاَّ يُدخلنا في تجربة. ولكننا نقبل الاضطهاد ونرحب بالموت فقط حباً وإيماناً بالمسيح مخلصنا، وأن غايتنا أن يتمجد الله بنا سواء بحياتنا أو موتنا. هكذا نردد مع الرسول بولس: **"من سيفصلنا عن محبة المسيح: أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف... قد حُسبنا مثل غنم للذبح، ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا"** (رو٨: ٣٥-٣٧).

موجات الاضطهاد تتفاقم من حولنا ونذر الحروب الدينية في الأفق

■ عن اضطهاد مسيحيي الشرق:

لم تقتصر محنة الاضطهاد في منطقتنا على أقباط مصر ولكنها طالت أيضاً مسيحيي الشرق كله. ولا يغيب عن البال أهوال **الحرب اللبنانية** التي استمرت خمسة عشر عاماً من القرن الماضي (١٩٧٥- ١٩٩٠) حيث اشتعل القتل على الهوية بين المسلمين والمسيحيين، والذي لم يتوقف إلا عندما فطن الفريقان أن القتل والقتل المضاد حلقة مفرغة لا تؤدي إلا إلى الخراب وتأصيل العداء، وأن التسامح وقبول التعايش معاً هو السبيل الذي يختم على هذه الفتنة التي تجسد مأساة الإنسان منذ أن وُجد.

وأرض المسيح المقدسة تكاد تخلو حالياً من المسيحيين، بما فيها القدس والناصرة وبيت لحم.

وفي القرن الحالي، ظهرت جماعة **داعش** الإرهابية التي احتلت مساحاتٍ في **سوريا** و**العراق**(١) و**ليبيا**(٢)، وأشاعت الدمار فيها، وأعملت في مسيحيِّي هذه البلاد ذبحاً وتقتيلاً وتهجيراً، كما دمَّرت كنائسهم وأديرتهم سعياً لإنشاء دولتهم في هذه المناطق خالية من المسيحيين.

ورغم انحسار سطوة داعش، خاصةً في **سوريا** بعد حرب لسنوات دُمرت فيها البلاد وقُتل فيها الملايين وتشرد الملايين، وفي **العراق**، الذي نجح في طردهم من الموصل، فلا تزال عصابة الشر تنفث تهدُّداً وقتلاً في **ليبيا**، وهي تتسلل إلى بلادنا من حدودها الغربية، ولها ضحاياها من الجنود والمسيحيين، كما أنَّ إرهابها طال البلاد الأوروبية بالتفجير وسط التجمُّعات أو ذَبْح الأفراد باعتبارهم كُفَّاراً يُستَحَلُّ دمهم.

ولكن إن كان نجم داعش ينطفئ، فقد امتد منها منذ ما يقرب من عقدين ذراع شرير إلى **نيجيريا** في غرب أفريقيا هي جماعة **بوكوحرام** الإرهابية (وكان اسمها في البداية جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد) والتي تمارس نشاطها من الجزء الشمالي الشرقي الفقير من البلاد حيث يتركز

---

(١) أواخر ٢٠١٤، تمَّ إخلاء مدينة **الموصل** (نينوى) العراقية من مسيحييها بالكامل (٢٠٠٠ عائلة) الذين أخرجهم إرهابيو داعش منها بعد الاستيلاء على كلٍّ مُمتلكاتهم، ثم حرقوا كل الكنائس والأديرة أو هدموها. وقد بدأ خروج المسيحيين العراقيين منذ بداية القرن الحالي، خاصةً بعد تفجير كنيسة "سيدة النجاة" في بغداد. ولا يزال نزوحهم مستمراً، وأُضيف إليهم مؤخَّراً مسيحيو سوريا، تحت ضغط الاضطهاد الداعشي وويلات الحرب والإرهاب.

(٢) لم يَنجُ أقباط مصر المُقيمون في ليبيا من إرهاب داعش، وكان من ضحاياها الـ ٢١ شهيداً الذين تمَّ ذبحهم أمام عدسات التصوير، وظهرت صورهم في ٢٠١٥/٢/١٥: هُم في صفٍّ يرتدون ملابس الاستشهاد البرتقالية، وجلاَّدوهم يلبسون السَّواد وقد استتروا وراء الأقنعة كأنهم يُخافونهم؛ وهم يسيرون على شاطئ البحر المتوسط الذي صَبَغَت دماؤهم مياهه بعد استشهادهم. وأُضيف إليهم في ٢٠١٥/٤/٢٠ ثلاثون مسيحياً إثيوبياً ذبحاً وقتلاً بالرصاص.

المسلمون (نصف عدد السكان)، بينما يعيش المسيحيون في الوسط والجنوب. وبين الحي والحين تنفجر اعتداءات بوكوحرام على مسيحيي الجنوب وكان آخرها في مارس ٢٠١٩ حيث ذبحوا المئات كباراً وصغاراً وأصابوا العشرات ودمروا مئات المنازل.. كما تنشط بوكوحرام أيضاً في تشاد والنيجر وشمال الكاميرون.

وفي سائر أنحاء أفريقيا الأخرى تواجه الكرازة المصاعب وسط التخلف والأوبئة والأخطار، وصراع القبائل والأديان، بما يجعل الإيمان بالمسيح قبولاً للموت بالنية.

■ الاضطهاد في أوروبا وآسيا:

يسجل لنا التاريخ أنَّ الاضطهاد الذي عرفته البلاد التي آمنت بالمسيح منذ القديم(٣)، طال أيضاً تلك التي ظلَّت قروناً في الظلام قبل أن يغمرها نور المسيح(٤). ففي العالم المتَّسع من حولنا عانت جميع الكنائس سواء القديمة منها أو الوليدة، كما ذاق الكارزون، صنوف الاضطهاد تحت كل النُّظم السياسية.

فالشيوعية التي حَكَمَت الاتحاد السوفييتي القديم (١٩١٧) وغيره من البلاد في الغرب والشرق، عادَت الإيمان المسيحي قتلاً وتشريداً وحصاراً للكنيسة(٥)، ومُصادرةً للكُتُب المقدَّسة، وتشويهاً للإيمان؛ إلى أن انهار النظام وتفكَّكت الدولة واستعادت روسيا وجهها المسيحي من جديد.

---

(٣) **أرمينيا**، التي عرفت المسيح منذ القرن الرابع، تعرَّضت للإبادة من الأتراك العثمانيين (أكثر من مليون شهيد) بين عامَي ١٩١٥ و١٩١٧.

(٤) **روسيا**، لم تعرف المسيح إلاَّ قبل ألف عام. وبلاد كثيرة، خاصة في أفريقيا وشرق آسيا (مثل: الصين واليابان وغيرهما) لم تختَبر الإيمان المسيحي إلاَّ في القرن الماضي.

(٥) تمَّ إعدام ٣٠٠ أسقف، ٨٠.٠٠٠ من الكهنة والرهبان. وفي **جيورجيا**، التي كان فيها ١٥٠٠ كنيسة، لم يبقَ منها إلاَّ خمسون تحت الحُكْم الشيوعي.

وبالمثل خاصَم الحُكْم النازي الكنيسة في **ألمانيا** واضطهد قادتها ومؤمنيها، وشجَّع الإلحاد والمادية حتى هزيمته في الحرب (العالمية الثانية: ١٩٣٩-١٩٤٥م). وفي معظم الدول الأوروبية والأمريكية، حيث تسود المسيحية وتكثر الكنائس والمعاهد اللاهوتية، فإنَّ الغالبية لا تَحْفَل بالدِّين، والحرية عندهم فرصة للجسد، ويَرَوْنَ في التديُّن تخلُّفاً وارتداداً إلى الماضي. ولكن الله لا يترك نفسه بلا شاهد.

ولقد قدَّم المئات من المُرسلين والكارزين من الغرب حياتهم من أجل البشارة بالإنجيل في **الصين**، ذات المليار ونصف، التي قاومت الإيمان المسيحي بأديانها القديمة ونظام حُكْمها الشيوعي. والملايين التي قَبِلَت الإيمان، تُمارس عبادتها تحت أقسى الظروف.

ولا ننسى أيضاً الجماعات التي خرجت من عباءة تنظيم "**القاعدة**" الإرهابي واضطهادها للأقليات المسيحية في **باكستان** و**أفغانستان**. ومؤخراً (٢٠١٩/٤/٢١) تم تفجير ثلاث كنائس يوم الاحتفال بعيد القيامة في **سريلانكا** حيث قُتل ٣٢١ وأصيب أكثر من ٦٠٠ من الأقلية المسيحية (ربما رداً على تفجير مسجد في **نيوزيلاندا** قبل شهر).

والأمر ينطبق على سائر بلاد شرق آسيا ووسطها، حيث الريح مُضادة لانتشار الإيمان، ويتعرَّض المؤمنون ومُبشِّريهم لكلِّ صنوف المُقاومة والآلام حتى الموت.

■ عن ألوان الاضطهاد الأخرى:

لم يقتصر الاضطهاد والعنف على المسيحيين في منطقتنا وفي غيرها من البلاد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً(٦)، ولكن اشتعلت أيضاً الحروب الدامية

---

(٦) نضع في الاعتبار أيضاً ردود الأفعال من بعض المتطرفين اليمينيين المضادة لأعمال الإرهاب التي يرتكبها الإسلاميون وتستهدف تجمعات المسيحيين في الكنائس، فرأينا تفجير المساجد في أوروبا والولايات المتحدة ومؤخراً في نيوزيلندا الوادعة (٢٠١٩/٣/١٦) وغيرها.. فالشر لا يلد إلا شراً.

في أنحاء مختلفة من الأرض لأسباب دينية(٧)، وإنما أيضاً الفروق العرقية(٨) واللونية(٩). وبدا أن لا سبيل لوقف سيل الدم والخراب وتهجير البشر العزل رجالاً ونساءً وأطفالاً من مواطنهم لتهيم على وجوهها في الصحارى والبحار لتفنى جوعاً أو غرقاً، أو ليتحولوا إلى لاجئين في الخيام ممثلين عبئاً ضاغطاً على اقتصاد وأمن دول كانت تحيا في سلام، مما لا يزال مستمراً إلى اليوم وغدٍ.

وربما سيبقى طويلاً هذا التمييز ضد **المرأة** في أنحاء مختلفة من العالم حيث تعامل المرأة بحسب بعض الأديان كمخلوق أدنى من الرجل ناقصة العقل ومسببة للنجاسة ومصدراً للعار، ويمكن طردها من بيتها بكلمة من الرجل. وهي مجرد وعاء لتفريغ شهوة الرجل ولا حاجة له بها إذا مرضت ولا ينفق على علاجها، ويُحرم خروجها من بيتها إلا إلى القبر، ويمنع اشتغالها لأنها مصدر للغواية ويحل قتلها إن أخطأت، وينبغي بالتالي اخفاؤها عن الأعين بطبقات من الثياب من قمة الرأس إلى أخمص القدمين كأنها كائن وهمي.

---

(٧) الحرب الممتدة بين المسلمين والهندوس في كشمير الهندية، وقتل النازيون ملايين اليهود في أفران الغاز.

(٨) ولا تزال أصداء الحروب العرقية الدامية بين القبائل الأفريقية (كتلك التي نشبت في رواندا في ١٩٩٤ بين **الهوتو** Huto - الأغلبية - **والتوتسي** Tutsie - الأقلية الحاكمة - حيث قُتل نصف مليون إلى مليون من التوتسي، ولجأ مليونان من الهوتو إلى بوروندي المجاورة)، والصراعات بين الجماعات المتناحرة في **الصومال**، وتلك التي بين جماعات مذهبية ضمن الدين الواحد كالحروب بين **السُنة والشيعة** في المنطقة العربية، وبين **الكاثوليك والبروتستانت** في أيرلندا الشمالية (التي استمرت ثلاثة عقود انتهت في ١٩٩٧).

(٩) كالتمييز العنصري ضد السود في **جنوب أفريقيا** قبل المصالحة التي وضع أساسها **نيلسون مانديلا** الذي تولى الرئاسة (١٩٩٤-١٩٩٩) بعد ٢٧ سنة قضاها في السجن من أجل الدفاع عن حقوق الأغلبية السوداء المسلوبة.

■ الحروب الدينية.. الخطر القادم:

كثير من المراقبين وقادة العالم، الذين يؤرقهم سلام العالم، يرون أن الخطر القادم الذي ينبغي محاصرته واجهاضه هو قيام حرب عالمية بين الدول المسيحية والإسلامية، لا تبقي ولا تذر. وكما سبق ذكره فعنف جماعات من أحد الجانبين يستثير العنف من جماعات من الجانب الآخر، وإذا اتسعت المواجهات المحدودة فقد تشتعل هذه الحرب التي تختلف عن غيرها بسبب دوافعها العميقة والتي قد تكون فيها نهاية هذا العالم.

■ عن جذور العداء والعنف بين البشر:

في فجر التاريخ الإنساني، لما عرف **آدم حواء**، ولدت له **قايين** الذي قالت فيه **"اقتنيت رجلاً من عند الرب"** (تك٤: ١). ثم ولدت حواء آخاه **هابيل**، وكان حرّياً به أن يفرح أن صار له أخ في الأرض ولكن نعرف أن قايين اغتاظ من أخيه لما نظر الرب إلى ذبيحته ورفض تقدمته هو. ورغم التحذير الإلهي فإن **"قايين قام على هابيل أخيه** (الوحيد) **وقتله"** (تك٤: ٨).

فمنذ عصيان آدم وحواء دخل الشر إلى العالم، فكره الأخ أخاه ولم يحتمل وجوده. ولما كثر الناس في الأرض، يقول الكتاب أن الرب رأى **"أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه"** (تك ٦: ٥، ٦). وبعد الطوفان ونجاة نوح وأسرته عاد الرب وأكد **"أن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته"** (تك ٨: ٢١).

بعد قرون كثيرة نلتقي **بإبراهيم** أبي الآباء الذي آمن بالله ودُعي **"خليل الله"** (تك١٥: ١٦، ٢أخ ٢٠: ٧، أش ٤١: ٨، رو٤: ٣، غل ٣: ٦). وأنجب إبراهيم من جارية امرأته **هاجر** ابنه **اسماعيل**. وبعد ١٤ سنة فتح

الرب رحم امرأته **سارة** فولدت ابنه **اسحق** الموعود به من الله (تك١٧: ١٩).

ولكن اسماعيل، وهو لم يزل في بطن أمه، تنبأ عنه الملاك قائلاً **"أنه يكون إنساناً وحشياً، يده على كل واحد ويد كل واحد عليه"** (تك١٦: ١٧). وبالفعل فقد بدأ وهو الأخ الكبير يضايق اسحق الصغير، وربما يعتدي عليه، غيظاً وحسداً باعتبار الفارق بينه كابن للجارية وبين اسحق الابن المفضّل، حتى أن سارة لما رأته يمزح (إشارة إلى سوء سلوكه) وخشيتها أن يسيء إلى اسحق أو يفسد أخلاقه فقالت لإبراهيم **"اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية** (ولم تحتمل أن تذكر اسمه أو اسم أمه) **لا يرث مع ابني اسحق"** (تك٢١: ٩-١١).

ونستعيد هنا ما كتبه معلمنا **القديس بولس** في رسالته إلى أهل غلاطية حيث يلتقط هذا الخيط لكي يكشف عن تمايز البشر إلى أشرار يعيشون حسب الجسد، يكرهون ويحسدون ويعتدون ويقتلون سائر البشر الآخرين المؤمنين السالكين بحسب الروح، الذين يعانون من الجماعة الشريرة، كما كان الحال بين اسماعيل المولود حسب الجسد واسحق ابن الموعد، فكتب يقول ليهود غلاطية الذين آمنوا والمتمسكين بالناموس وأعماله أن الإيمان بشخص المسيح يجمع اليهود والأمم معاً وأن كل من يؤمن يصير ابناً للموعد، ابناً لإبراهيم بالإيمان، يستوي في ذلك من كان يهودياً أو من كان أممياً فليس بأحد غير المسيح الخلاص.

فجذور اضطهاد المؤمنين قديمة.. والحروب بين شعب الله والأمم المتغربة استمرت طويلاً.. والضحايا كثيرون. ولكن الله لم يحابِ شعبه، فلما كان ينحرف كان الله يسلمه لأعدائه. وعرفنا أن مملكة داود العظيمة انقسمت، ونشب الصراع بين المملكتين، بل أنهم تعرضوا للسبي والمذلة طويلاً وخضعوا في النهاية للمحتل الأممي، الذي امتد اضطهاده للمؤمنين بالمسيح.

ورغم أن شريعة المسيح حققت المساواة بين البشر، وأن المسيح أعلن أنه قد جاء للجميع وهو مات من أجل الكل، وهو ما سجله **القديس بولس** في رسائله مبيناً أن الإيمان بالمسيح يصهر الجميع معاً ويلغي فروق الأصل والعرق واللون والجنس من البشر:

"لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني لأن رباً واحداً للجميع" (رو١٠: ١٢)؛

"الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل" (١كو١١: ١١)؛

"لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين عبيداً أم أحراراً" (١كو١٢: ١٣)؛

"لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح. ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى. لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع" (غل٣: ٢٧، ٢٨)؛

"لبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه. حيث ليس يوناني ويهودي. ختان وغرلة، بربري سكيثي، عبد حر، بل المسيح الكل وفي الكل" (كو٣: ١).

على أنه بعد أقل من سبعة قرون تحدث ردة بنشأة دين جديد يكرس التمييز ضد المرأة، ويحمل ثقافة صحراوية تستبعد المرأة من الحياة وتجردها من الحقوق التي كفلها لها الخالق، وتعاملها كمجرد أداة للذة والانجاب دون احترامها كند مكافئ للرجل، في اقترانهما معاً بالحب يكون استمرار الحياة.

■ أمل يشرق :

يلفت نظرنا في هذا الصدد الخطوات التي بدأها **البابا فرنسيس** بابا الفاتيكان الذي مدّ يد السلام والتآخي للقادة الدينيين خاصة في العالم الإسلامي. وكانت **أولى** زياراته **لمصر** في ٢٨، ٢٠١٧/٤/٢٩(١٠) (في أعقاب الاعتداء الإرهابي على كنيسة مارجرجس بطنطا والكنيسة المرقسية بالإسكندرية يوم ٢٠١٧/٤/٩)، **والثانية** لدولة **الإمارات** في ٦ فبراير ٢٠١٩، ليصير أول بابا كاثوليكي يزور دولة في شبه الجزيرة العربية، حيث وقّع مع فضيلة شيخ الأزهر أحمد الطيب **"وثيقة الأخوّة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك"**(١١) ، وأخيراً زيارته **للمغرب** (٣٠، ٢٠١٩/٣/٣١) التي تضم إلى جانب الأغلبية المسلمة مسيحيين ويهوداً (كما سبق له زيارة **تركيا والبوسنة والهرسك والأردن وفلسطين وأذربيجان**)، في محاولة لإثارة مشاعر الإخوة الإنسانية بين جميع البشر باعتبار أنهم جميعاً، مهما اختلفوا ديناً أو عرقاً أو لوناً أو جنساً، هم أبناء أب واحد هو **آدم** وأم واحدة هي **حواء**، وأنهم جميعاً متساوون في الحقوق والواجبات والكرامة، وأن الحياة تتسع للكل، و **"للرب الأرض وملؤها"** (مز٢٤: ١)، وهي للجميع وليس لواحدٍ دون الآخر، مع تبني ثقافة التسامح والتعايش والسلام والحوار والتعاون والتعارف المشترك نهجاً

---

(١٠) سبق أن زار مؤسس رهبنة الفرانسيسكان **القديس فرانسيس الأسيزي** (١١٨٢-١٢٢٦) مصر في عام ١٢١٩ في فترة الحروب المسماه بالصليبية حيث التقى بالسلطان **الملك الكامل** بهدف تأسيس التعايش بين المسيحية والإسلام، وملافاة أثار الحرب السلبية. كما زار **البابا يوحنا بولس الثاني** مصر عام ٢٠٠٠ حيث التقى **بشيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي**.

(١١) انظر ملحق رقم (٢): **"الوثيقة.. الوثيقة.. هل تكون صرخة في واد؟!"** – مقتطفات من مقالين للكاتب **أحمد عبد المعطي حجازي**، ضمن فصل الملاحق في أخر الكتاب (ص ٢١٤).

وطريقاً، ونبذ الحروب والصراعات والتطرف والتعصب.

كما أن غرور القوة والسعي للتسلط والطمع في ثروات الآخرين يدفع الدول إلى الحرب، رغم أنها الحل الفاشل لكل مشكلة والكل فيه خاسرون، كذلك فإن الشر الكامن في نفوس بعض البشر، وشعورهم بالأفضلية لأنهم أغلبية، أو بسبب عقد التفوق والاستعلاء، هو الدافع لكراهية المختلفين عنهم، فهكذا تنشأ الطائفية والتعصب والتطرف والتشدد، واستبعاد الآخر والتمييز ضده وحرمانه من حقوقه الإنسانية والوطنية، وإن أمكن استعباده، وإن احتاج الأمر قتله بقلب بارد.

وكل هذه الألوان من العنف هي في النهاية عمل شيطاني بامتياز ولا يمكن تبريرها بأي حال، حتى وإن استخدم الدين كغطاء لستر هذه الجرائم **"كأحرار وليس كالذين الحرية عندهم سترة للشر"** (١بط ٢: ١٦). كما سبق الرب وأشار **"بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله"** (يو١٦: ٢). ولكن الدين - أي دين - منها براء، والله لم يكلف أحداً بالدفاع عنه فهو ضابط الكل الذي **"به نحيا ونتحرك ونوجد"** (أع١٧: ٢٨).

فالحياة عطية إلهية مجانية، وليس للإنسان أن يعطيها أو يأخذها **"لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن أخذها"** (يو١٠: ١٧، ١٨)، ووصية الله منذ القديم صريحة **"لا تقتل"** (خر٢٠: ١٣، مت٥: ٢١).

في العالم
سيكون لكم ضيق،
لكن ثقوا،
أنا قد غلبت العالم
يوحنا ١٦: ٣٣

نحن وثورة يناير ٢٠١١ وتوابعها

■ عن إيجابيات الثورة وسلبياتها

عن إيجابيات الثورة وسلبياتها

منذ بداية هذا العقد الثاني من قرننا الحادي والعشرين حفلت بلادنا بالكثير من الأحداث، بدأت بالثورة الشعبية في ٢٥ يناير ٢٠١١، وما تلاها من التطورات المتلاحقة بما يشبه سونامي اجتاح كل جوانب الحياة في مصر، بقصد أن يعيد تشكيلها بصورة أفضل، بما انعكس بدرجة ما على حياتنا الروحية. على أن واقع الأمر تمخض على أن بعض ما جرى كانت له سماته الإيجابية وبعضه الآخر اتسم بالسلبية.

■ عن إيجابيات الثورة:

كانت أولى الإيجابيات هي **العودة إلى الوطن بعد التغرب**.

فلعقود لم يُتح لأغلب شعب مصر خدمة بلاده من خلال العمل السياسي وانتخاب أفضل العناصر لتمثيله وإدارة شئون الدولة، كما لم تكن هناك أحزاب سياسية حقيقية، هي عماد العمل السياسي، بما يتيح

للشعب المشاركة في العمل الوطني. وقد استأثرت بالعمل السياسي جماعة محدودة لم يكن دافعها نبيلاً لرفعة الوطن وإنما لفائدتها هي في المقام الأول، فحيّدت أجيالاً من أفضل عناصر الوطن، شباباً وشيباً، وجعلتهم ينكفئون على أنفسهم منسحبين من الوطن الذي رفضهم فاعتزلوه هم أيضاً، وتوجهوا للعمل لحسابهم وذويهم، أما اهتماماتهم العامة فقد اتجهت إلى التدين والعمل الاجتماعي. وهكذا انحصرت في الكنيسة والمسجد. وهذان تحولا بحكم اتساع مسئولياتهما إلى مؤسسات ضخمة لا تخدم فقط الدين وإنما المجتمع من حولها أيضاً، فاهتمت بأمور العلاج والتعليم ومساعدة الطبقات الفقيرة والمهمشة التي سحقها إهمال الدولة.

هكذا استقل أهل الحكم بالحكم واجتذبوا إليهم أصحاب الأموال كما حام حولهم الانتهازيون الطامعون في السلطة والثروة. وظلت هذه الجماعة الشريرة تحكم وتتحكم حتى شاء الله أن يضيق الشباب بواقعهم وهم يرون بلادهم العظيمة تتراجع وتركد، وتسبقها دول صغيرة في المنطقة أخذت ما لا تستحق على حساب مصر الكبيرة التي تخلفت عن الركب وشاخت وهي أم الحضارة.

في ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ خرج كل الشباب من المسلمين والأقباط (أو في الحقيقة الأقباط المسلمين والأقباط المسيحيين) من سجنهم، طردوا روح الخوف ووقفوا أمام السلطة، يطلبون التغيير والإسهام في إدارة شئون بلادهم، وتحقيق العدل والمساواة وتوزيع عادل للثروة على الجميع، وسقط المئات بين قتيل وجريح، ضحايا العنف والقسوة غير

المبرّرة والتعامل المتعسف من أهل السلطة المتشبثين بمواقعهم. ولكن بصمود الشباب أياماً كثيرة وإقامتهم في الميدان نهاراً وليلاً وتماسكهم ووحدتهم، أقباطاً ومسلمين، وانضمام الشعب إليهم، وباحتمالهم النبيل لضربات السلطة، انهار النظام وسقط أنقاضاً، واستعاد الشعب وطنه المختطَف وأتيح لكل من غابوا عن وطنهم، رغم محبتهم له وتوقهم لخدمته، أن يعودوا إليه فقد عاد إليهم بعد الغياب.

وهكذا انتهى تغرب الشعب وعزوفه عن العمل العام والتطوعي وخدمة الوطن الذي انفردت به جماعة قليلة: حزباً وحكومةً وطبقةً، استغلته لحسابها ونهبت خيراته واستخدمت كل ألوان الفساد بعد أن نحّت القانون جانباً.

ولكن الذين عادوا إلى الوطن لم يتخلّوا عن اهتماماتهم الأولى بالعمل والعائلة وجماعتهم الدينية، لكن هذه صارت جزءاً من اهتمامهم بالوطن الكبير الذي يحتضن الآن الجميع. وبعد أن كانوا قد انطووا على أنفسهم جماعات تعمل كلٌّ منها في دوائرها المغلقة، الآن يعودون جماعة واحدة متحدة يضمها الحب والعمل المشترك بما لفت إليهم أنظار العالم كله.

■ عن المسيحي والعمل السياسي:

عاد الكل إذاً للعمل السياسي الذي هو في حقيقته خدمة المجتمع، والذي لا يتعارض مع الإيمان المسيحي. ولقد يقال إن السياسة مجال يمتليء بالشر والطمع والكذب والفساد فهذا ليس صحيحاً في أساسه، ولكنه حال السياسة عندما تفسد أي عندما تستولي أقلية على الحكم

وتعمل لحسابها. أما بالمشاركة الجماعية والانتخاب الحر وحرية الرأي والرقابة الشعبية والشفافية وسيادة العدل والقانون تتطهر السياسة من أي أمراض تصيبها.

وللمسيحي أن يعمل بالسياسة ولكن ليس الكنيسة (ونقصد قادة الكنيسة) فمجال خدمتها أشمل وأرحب وأبقى. وفي العصور الوسطى، اقتربت الكنيسة من الحكام وصار لها نفوذٌ سياسيٌ بالغ فكانت تُعيِّن وتحاكم وتحكم، فأصابها الكثير من الوهن وشوهتها السياسة، إلى أن أدركت أن قوتها في استقلالها عن نفوذ العالم والتحامها بإلهها مصدر القوة والنقاء.

وفي مصر، اضطرت الكنيسة والمسجد لتولي أدوار سياسية أرهقتهما وحمَّلتهما آلاماً. الآن تتنفس الكنيسة والمسجد (وخاصة الكنيسة) الصعداء. فالعمل السياسي في طريقه لأن ينتعش والشعب الفقير سيسترد حقوقه والشباب يتأهب لاستعادة حريته في الاختيار. ولكن يظل دور الكنيسة فاعلاً في مساندة التغيير إلى الأفضل بالصلاة والتضرع من أجل الدولة ومسئوليها، وخدمة الطبقات الضعيفة في المجتمع إلى أن تنال حقوقها في العمل الشريف، ويصير للفقراء والمرضى منهم التأمين الذي يكفل لهم حياة كريمة.

ونبادر إلى القول إن ما جرى ليس بدعاً. فالمسيحيون في العالم كله يعملون بالسياسة ويشتركون في الأحزاب ويشاركون في الانتخابات على كل مستوى كواجب وطني، وبينهم هم أيضاً خدام وشباب تقي، وبعضهم يُنتخب في المجالس النيابية أو حتى رئاسة الدولة. فالرئيس

الأمريكي **جيمي كارتر** قس معمداني وهو حتى اليوم يشارك في رقابة الانتخابات العامة في بلاد العالم المختلفة. والقس **مارتن لوثر كينج** كان قائداً لحركة الحقوق المدنية للأمريكيين السود وفقد حياته في سبيل رسالته. والأسقف **ديزموند توتو** الجنوب أفريقي كان مدافعاً عن حقوق السود في جنوب أفريقيا لسنوات طوال حتى نالوا استقلالهم.

على أنه ليس مطلوباً من الأسقف والكاهن والخادم والشماس أن يترك خدمته ويعمل بالسياسة، فخدمته الهامة تستولي على كل وقته، ولكنه على الأقل يبالي بما يدور في وطنه، خاصة في أوقات المحن والحروب، فيوجّه ويدلي برأيه وينتخب ويشجع ويعزي ويحث على سيادة السلام والأمن، ويساند مشاريع التنمية والتقدم.

إن العمل السياسي في حقيقته تضحية وخروج من الذات إلى خدمة الآخرين، فإن تمت ممارسته بروح مسيحية تتطلب محبة الكل وبذل النفس فاض بالخير على كل الوطن.

وترتب على **العودة إلى الوطن** تصرف القبطي المسيحي ليس فقط كمؤمن ينتمي إلى الكنيسة وإنما كمواطن حر ينتمي إلى الوطن، وكما يمارس فيه واجباته يتمتع أيضاً بحقوقه ويطالب بها إن انتُقصت. وهكذا رأيناه بعد الاعتداء على كنيسة **صول بأطفيح** هدماً وحرقاً يخرج بالآلاف في الميدان يحتجّ على استباحة مقدساته ويطالب بإعمال القانون إزاء من دفعهم الجهل والتعصب لتشويه الثورة العظيمة وإظهار الوجه القبيح للأمراض المتوطنة التي تطعن وحدة الوطن في الصميم. وبسلوكه هذا نال الاحترام والمساندة فوقف إلى جانبه مسلمون ومسلمات

يحملون الشعارات ويطالبون باسترجاع الكنيسة كما كانت ومعاقبة الجناة، مما دعا المسئولين إلى اتخاذ القرار بإعادة بناء الكنيسة وتهيئتها للخدمة ليُحتفل فيها بعيد القيامة، وبدأ التحقيق مع المتسببين في هذه الجريمة، وهبّ كل أصحاب الضمائر المستنيرة وقادة الرأي لإطفاء هذا الحريق الذي ما يكاد أن يخبو حتى يشتعل من جديد.

كما رأينا المسيحيين كباراً وصغاراً يشاركون سائر المواطنين الوقوف في طوابير الاستفتاء على التعديلات الدستورية بعد أن كانوا عازفين مثلهم من قبل عن المشاركة في الانتخابات لأن أصواتهم لم يكن يُعتَد بها. لقد استردوا حقوق المواطنة وبدأوا في ممارسة حقهم في بناء وطنهم.

نعم.. عاد المسيحيون لحضن الوطن مواطنين كاملي الأهلية وصارت استعادة حقوقهم المغتصبة مسئولية الوطن، يساندهم في ذلك شركاء الوطن، حتى وإن كان بينهم من ينكر عليهم حقوقهم، فقد كشفت الثورة عن الملايين الذين يطالبون بحقوق متكافئة للجميع مسلمين وأقباط، ففي العدل والمساواة سلامة هذا الوطن واحتضانه للكل.

وضمن الإيجابيات أيضاً كانت **إرادة التغيير**. فإن روحاً جديدة قد بزغت من وسط الآلام وأنقاض النظام، تدين الفساد والتمييز والظلم والتعذيب وانحراف السلوك، وتحث على العدل والمساواة واحترام الإنسان والترفع عن الدنايا والالتزام بالنظام والأمانة والصدق والتطوع للخدمة ومساندة القطاعات الضعيفة في المجتمع.

ويجدر بالذكر هنا أن نشير إلى بروز عدد من الأصوات الشريفة الحرة (أكثرهم من المسلمين) (١) داومت على تبني قضايا الأقباط، تنادي بالمساواة وعدم التمييز، وتؤيد حقوق الأقباط كمواطنين كاملي الأهلية وأصحاب حق مكافئ لسائر المصريين، وتدين أعمال الشر والعنف المتمسحة بالدين التي يفرزها التعصب والكراهية، خاصة في المناطق الشعبية الفقيرة والتي يضطر فيها المسيحيون للصلاة في مبانٍ عشوائية أو على قارعة الطريق، وتندد بتراخي ذراع الدولة عن إعمال القانون، وتحملت في سبيل ذلك الإهانات والتهجم من المتعصبين.

ولكننا نؤكد هنا أن التغيير لم يكن ولن يكون أبداً لحظياً، ولكنه يحتاج إلى جهد ومثابرة وتفعيل القانون ومقاومة الشر بالخير وممارسة التسامح، وبمواصلة المسيرة بغير تراجع يمكن لهذه الثورة أن تحقق أعظم أهدافها وهو **تغيير النفوس**.

■ عن سلبيات الثورة:

ونبادر إلى القول إن هذه السلبيات لا تنتسب إلى الثورة، بقدر ما هي بعض التراث الرديء والأمراض المتوطنة في بلادنا التي كنا نعاني منها وكانت تظهر وتتوارى، ولكن لا تختفي أبداً. ولما جاءت الثورة بدا أنها قد زالت ونحن نرى تواصلاً بهيجاً بين كل المصريين اختفت منه

---

(١) نذكر منهم الكتّاب: **إبراهيم عيسى، د. طارق حجي، أحمد عبد المعطي حجازي، د. خالد منتصر، فاطمة ناعوت، د. محمد أبو الغار، حمدي رزق، سحر الجعارة، عادل نعمان**، إضافة إلى عدد من الكتاب الأقباط كرسوا أقلامهم في خدمة قضيتهم، منهم **د. عماد جاد، يوسف سيدهم، هاني لبيب**، وغيرهم (وفي ملحق رقم (٣) ضمن فصل الملاحق في أخر الكتاب مختارات من كتابات بعضهم وغيرهم) (ص ٢١٦).

الفوارق الدينية وتعالت نبرة الوطن الواحد. ولكن لم تكد تمضي أيامٌ حتى عادت من جديد للظهور النعرات الطائفية، كما تطاولت بجسارة ووجه مكشوف جماعات التعصب والتمييز التي ما أن اطمأنت إلى نجاح الثورة وثبات أقدامها حتى انقضّت عليها وقفزت إلى صفها الأول متصدرة واجهتها بغير مواربة، نموذجاً للانتهاز السياسي ومحاولة الاستيلاء على الوطن.

وتتابعت الأحداث تشير إلى أن ميراث الكراهية لا يزال يملأ نفوس الكثيرين. وفي غمرة الفوضى السائدة بعيداً عن العاصمة جرى ما جرى من تدمير الكنائس وحرقها، أو طلب نقلها إلى أطراف المدن لأن مرآها يضايق البعض، وتهجير المواطنين المسيحيين من قراهم وحرق منازلهم، أو فرض الأتاوات عليهم (وهي المقابل العصري للجزية!) مقابل الرضا بإقامتهم في بيوتهم (أطفيح - البدرمان - القمادير). وفي غياب أمني سائد أخذ البعض القانون في أيديهم وحكموا على مواطن مسيحي، أجّر شقة في بيته لسيدتين، بقطع أذنه وإجباره على التنازل عن حقه والقبول بالصلح الذي رضي به خوفاً على عائلته (قنا)، بل أنهم قطعوا الطرق وتظاهروا بالملايين رافضين محافظاً مسيحياً لإقليمهم (قنا).

ورغم الدستور الذي ينص على **الدولة المدنية** وعدم التمييز بين مواطنيها، فإن البعض يسعى جاهداً لتأسيس دولة ظاهرها أنها مدنية ولكنها عملياً **دولة دينية** يصير فيها المسيحي مواطناً من الدرجة الثانية، ويستمر فيها التطرف والاحتقان الطائفي والتمييز بين المواطنين، وتعاني الدولة الانقسام والتشرذم، فتؤول إلى الضعف والانحطاط.

وقد حذر الرب من خلط الدين بالسياسة وأكد على ضرورة الفصل الكامل بينهم "**أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله**" (مت ٢٢:٢١، مر ١٢:١٧، لو ٢٠:٢٥). كما أن عبرة التاريخ حسمت أن تبتعد الكنيسة عن أمور السياسة تماماً ففي ذلك سلامة الكنيسة ونقاؤها وبقاؤها صوتاً للحق ونوراً للعالم كي تؤدي رسالتها لخير العالم ومجد الله. كما أن السياسة عندما تستغل الدين تحط من قدره وتحوله إلى أداة لخدمة السياسة والعالم والمكاسب الأرضية، وهكذا تتجرد السياسة من الأخلاق وفي ذلك تدهورها وانهيارها.

الدولة الدينية كارثة كونية، لأن من يديرونها بشر تحت الآلام مثلنا، وهم لا يسعون لرفعة الدين وإنما للحكم والسلطان والبقاء في القمة، وفي سبيل ذلك هم مستعدون لاستخدام كل الوسائل فيضللون البسطاء ويفسدون العقول ويحولون عامة الشعب إلى غوغاء تأتمر بأمرهم وتطيع إلى حد القتل، ويحللون الحرام ويحرمون الحلال ويظلمون بقلب بارد. هم بشر ولكنهم يحكمون باسم الله، ويتكلمون باسمه، ويتحولون إلى طغاة فوق مستوى النقد.

في **الدولة الدينية** تُسحق الحريات ويشحب صوت العدل وتغيب المساواة أي تنحسر عملياً أعظم مباديء الدين الأخلاقية.

الدولة الدينية بكل ما تحمله من رذائل هي ضد الثورة الحالية بصورة مباشرة، وهي ضد كل الوطنيين الذين يريدون وطناً لا يميز بين المواطنين بحسب الدين أو الجنس أو العقيدة السياسية أو الانتماء المكاني، ويرفضها كل مسيحي مؤمن يعرف كلمة الله وينشد العدل

والمساواة ووحدة الوطن وتقدمه ونموه في كل المجالات.

فكل من عانى من التمييز والتطرف والطائفية ابتهج بالثورة لأنها بشهدائها الثمانمائة وجرحاها الألفين كانت تعلن نهاية التمييز بين كل من ينتمي للوطن، ونهاية مسلسل حرمان البعض من حقوق العبادة لله الواحد، ونهاية تسلط جماعات محتمية بالدين تحرق وتهدم الكنائس أو تمنع بناءها بالقوة، أو تقتل المواطنين المسيحيين عن قناعة لأنها تكفّرهم ولا تطيق بقاءهم في الوطن المشترك.

وفي هذا المجال، على المسيحي ألا يكتفي بالرفض بل أن يشارك كل القوى الوطنية سعيها للعمل على تأسيس **دولة مدنية** عصرية تحتضن الجميع وتحقق العدل ولا تميز بين مواطنيها، ويكون الدين فيها عاملاً إيجابياً يحض على النزاهة والتجرد والأمانة ويحاصر الشر والفساد، ويصير رجال الدين دعاة لكل ما هو جليل ومسر وطاهر وصيته حسن، وتشجع كل ما يبني وتدين كل ما يهدم.

على المسيحي أن يؤيد الأحزاب التي تنادي بالمساواة والحرية مساهماً في أنشطتها وعاملاً على نجاحها في الانتخابات القادمة، ومؤيداً كل ما يؤدي إلى تأكيد المواطنة وإزالة الاحتقان الطائفي، وإعمال القانون في حل المشاكل لا بتدخل رجال الدين، ورفض كل ضروب التمييز والاضطهاد لأنها ضد حقوق المواطنة (حتى وإن كان روحياً يقبلها كمسيحي يحمل صليبه إن لم يكن منها مفر)، وهو يساند كل القوانين التي تحقق المواطنة المتكافئة (قانون عدم التمييز، قانون بناء الكنائس) لأنها تديم السلام وتدعم التنمية والتقدم وهو يشارك في الأنشطة

الرياضية والفنية والاجتماعية لأنها تجمع المواطنين وتوحدهم وتقوي أواصر المحبة بينهم.

سيكون مطلوباً من المسيحي في كل الأحوال أن يمارس **محبته** الفريدة للكل خاصة من يعاديه، وأن يفعّل قدرته، المستندة إلى النعمة، على **التسامح والاحتمال**، وأيضاً **شجاعته وعدم خوفه من الموت** فلا يضطره أحد إلى التنازل والاستكانة فيهين بخوفه **المسيح الذي فيه الذي "خرج غالباً ولكي يغلب"** (رؤ٦: ٢).

والله الذي زارنا طفلاً وأحب أرضنا وبارك شعبنا (إش ١٩: ٢٥) **نسأله أن يحفظ بلادنا في سلامه إلى التمام.**

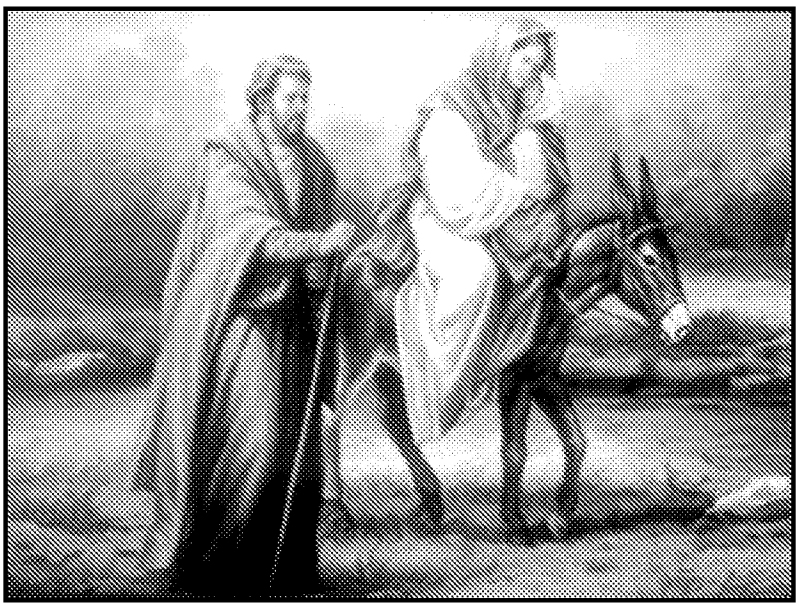

"ومن مصر دعوت ابني" (هو١١: ١)

تجديد الخطاب الديني

.. وجهة نظر مسيحية

- عن "تجديد الخطاب الديني"
- الموقف المسيحي من "تجديد الخطاب الديني"

عن "تجديد الخطاب الديني"

تتردد في بلادنا منذ زمان، كما تتصاعد نبرتها هذه الأيام، الدعوة إلى ما أُطلق عليه "**تجديد الخطاب الديني**"[1] بهدف تنقية الأجواء من الاتجاهات المتطرفة، وإهمال جوهر الدين وأعمدته الأساسية والاقتصار على قشور الدين وشكله، والفهم المغلوط للنص الديني المستند إلى حرفه لا إلى روحه بما أبعده عن قصده. وهكذا استُخدم الدين غطاءً لأعمال هي بطبيعتها ضد الدين كالتعصب ورفض الآخر، والتي بلغت إلى حد الإرهاب والقتل والتدمير ونهب الممتلكات والطرد من الديار، وغيره مما لا يمكن تبريره دينياً بأي حال.

(١) والبعض يستخدم تعبير "**تصويب**" أو "**تطوير**" الخطاب الديني. وإذا كان **التجديد** يقصد أن يواكب الخطاب الديني العصر ومتطلباته، **فالتصويب** يقصد تجريد الخطاب الديني من المثالب والعيوب التي ظهرت مع السنين. أما **التطوير** فهو قريب من **التجديد**، أي أن يستخدم الخطاب الديني الأدوات المتاحة في عصرنا شكلاً ومضموناً لكي يصبح أكثر فعالية واقناعاً.

على ضوء هذه الظروف، فإن الدعوة إلى **"تجديد الخطاب الديني"** تشي بأن التعليم الديني السائد يشجع على سيادة اتجاهات التطرف والتعصب والكراهية والعنف التي سادت بلادنا وكل منطقتنا خلال السنوات الأخيرة. والمقصود بالتالي أن يتصدى الخطاب الديني من ناحية لكشف الفهم الخاطيء للدين، وإدانة اختزال التديّن في ممارسات آلية ويبقى الباطن على حاله، ومن ناحية أخرى السعي لتقديم التفسير الصحيح والبنّاء للنص الديني بما يصحح المفاهيم ويعالج الانحرافات ويتيح سيادة السلام وثقافة التسامح، ويوحّد بين عناصر الأمة، ويستأصل جوانب الانقسام والضعف والتوجس والكراهية التي تهدد سلامة المجتمع وأمنه.

وحتى لا تُفهم هذه الدعوة على أنها تقتصر على دين بعينه، هو دين الأغلبية في بلادنا، فقد وجدنا أصحاب الدعوة يوجهونها أيضاً إلى كنيستنا[٢] بصورة صريحة، قارنين الكنيسة بالمسجد في كل مرة، بمعنى أن القصور يشمل الكل، رغم أن **"تجديد الخطاب الديني"**، بالمعنى الذي أسلفناه، لا يمكن أن تكون له علاقة بالكنيسة.

■ اعتبارات لابد منها :

إذا شئنا، مع هذا، ألا نطرح الأمر برمته باعتبار أنه، بما يقصده تحديداً، لا ينسحب علينا، ونبحث إن كان يعنينا من زوايا أخرى قد تكون

---

(٢) تضمن عدد جريدة الأهرام (٢٠١٤/٥/٢٣) تحقيقاً بعنوان **"دورات تدريبية للوعاظ والقساوسة لمواجهة التشدد وإعلاء قيم المواطنة – الأزهر والكنيسة معاً نحو خطاب ديني جديد"**. ويشير إلى أنه خلال عام تم تدريب ١٢٠ إماماً وواعظاً وقسيساً في دورات التعاون والتكامل والتعارف في إطار بيت العائلة المصرية. ويتساءل التحقيق المذكور ما إذا كانت الكنائس هي أيضاً بحاجة ماسة إلى إعادة صياغة خطابها الديني (بمعنى أن خطابها الحالي ربما يشجع على التعصب والتطرف أو على الأقل لا يتيح الانفتاح على الآخر وقبوله).

بذات فائدة، فهذا يكون أمراً إيجابياً، على أن نضع أمامنا أولاً الاعتبارات التالية:

(١) فإن بدأنا بتحديد المصطلحات، **فالخطاب الديني** بالنسبة لنا هو **التعليم الكتابي**، أي تفسير كلمة الله سواء في القداس أو في الاجتماعات الكنسية المختلفة التي يُقرأ ويُفسر فيها الكتاب المقدس، دستور الإيمان المسيحي، وهو مصدر التعليم (سلوك، عبادة، عقيدة، طقس، تاريخ).

(٢) فيما يتعلق **بعظة القداس** (التي تفسر قراءات اليوم)، فكل قراءات القداس من الكتاب المقدس هي مرتبة منذ القرون الأولى على مدى العام القبطي، أياماً أو أحاداً، فيما يعرف **بالقطمارس**[٣]. والأجزاء المختارة من الكتاب لقداس كل يوم ترتبط ببعضها بعضاً وينتظمها موضوع بعينه يتعلق بالنص الإنجيلي أو المناسبات أو الأعياد أو التاريخ الكنسي. فهي ليست اختياراً عشوائياً أو ذاتياً. وهي بنظامها الثابت توحّد التعليم في كل كنائس الكرازة.

(٣) إن **التعليم المسيحي** الكتابي هو تعليم إيجابي وليس سلبياً. فهو منفتح على كل البشر وليس إقصائياً. وهو يعلن محبة الله للبشر الذي لا يشاء موت الخاطيء، ويحث المؤمن على محبة الآخر وخدمته، والسلوك بالتسامح والغفران وعدم رد الإساءة بالإساءة. فلا يمكن للخطاب المسيحي إذاً بطبيعته أن يحرض على الكراهية أو الانتقام أو العنف والإرهاب، ولا يحتاج بالتالي لترشيده وضبطه.

---

(٣) من الكلمة اليونانية Kata (بمعنى بحسب according) وmeros بمعنى جزء أو قِسم؛ فيكون المعنى **"القراءات الكتابية خلال القداس بحسب كل يوم"** من أيام السنة.

ومن هنا "**فتجديد الخطاب الديني**"، بالمعنى المشار إليه، لا يمكن أن يشمل ما تعلّم به الكنيسة، ورسالتها للعالم روحية، وشعارها، على نهج مخلصها وإلهها، "**قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل**" (مر١: ١٥).

فلا دورَ سياسي للكنيسة، ولا تدخلَ لها في شئون الدولة ومناطحتها كأنها دولة موازية، وهي لا يمكن أن تكون الممثل السياسي لشعبها(٤)، ولا تسعىَ لأن يكون لها رأي في أمور العالم فهذا ليس مجالها عدا أن تشهد للعالم بالحق وتدين الظلم والاستغلال والانحراف، ولا انشغالَ لها بجمع المال والاستناد إليه وإنما المال عندها للعطاء وليس للأخذ، كما أن الروح القدس هو مصدر قوتها وسلاحها ولا سلاحَ لها غيره ولا ميليشيات، ولا يغريها مجد العالم وسلطانه ولكنها هي متضعة كسيدها، قريبة إلى المساكين والضعفاء والمضطهدين والمتألمين.

والأمور المجتمعية التي لا صبغة دينية لها، مثل حقوق المواطن والمساواة والأمانة في العمل وإتقانه، والبحث عن حلول لمشاكل الوطن الاقتصادية والاجتماعية، قد تأتي في السياق ضمن المباديء المسيحية ولكنها لا تُناقَش في قداسات الكنيسة التي هي فقط تدعو إلى التوبة والتمسك بالإيمان، وبيتها هو حضن التعزية وإثارة الأشواق إلى الوطن السماوي.

المسيحي كمواطن، بالطبع، هو مهموم بقضايا وطنه وسياساته، ويؤدي عمله بأمانة وإخلاص ولا يشترك في أعمال الظلمة، ويمكن أن

---

(٤) كما صرح أحد الأساقفة مؤخراً على أحد المواقع الإلكترونية قائلاً "بالطبع الكنيسة هي الممثل السياسي للأقباط وستظل كذلك" (المصري اليوم ٢٠١٤/٨/١٥). هذا الأمر كانت تتحمله الكنيسة مضطرة في السابق وعانت بسببه كثيراً، أما اليوم، مع بوادر مشاركة كل طوائف الشعب في العمل السياسي، وإدانة خلط الدين بالسياسة، فلم يعد هذا دور الكنيسة ولن يكون.

يشتغل بالسياسة من أجل تقدم بلده، وله رأيه في أمور الدولة والمجتمع والعالم. ولكن هذا لا يكون في الكنيسة واجتماعاتها، وإنما في المجالات المناسبة كالمنتديات والأحزاب والمؤسسات الثقافية والإعلامية، وشبكات التواصل الاجتماعي التي تضم كل المواطنين بغير فوارق.

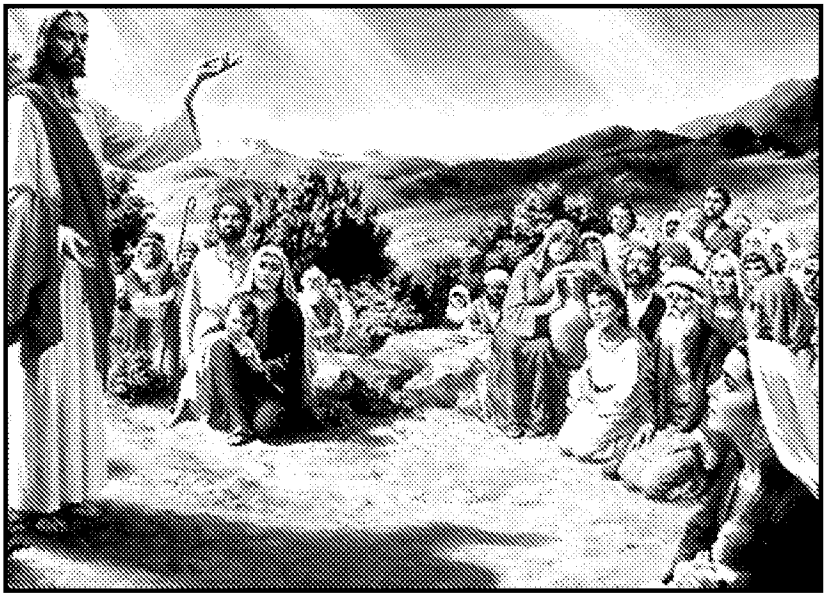

"**أنتم ملح الأرض... أنتم نور العالم**" (مت ٥: ١٣، ١٤)

الموقف المسيحي من "تجديد الخطاب الديني"

على ضوء ما سبق، يمكن إذاً التعامل مع موضوع **"تجديد الخطاب الديني"** من وجهة نظر مسيحية بحيث يتلاءم معنا، وتفعيله بما يضيف إلى جدوى التعليم الكنسي، واستبعاد ما لا ينسجم مع روح الإنجيل وتوقير كلمة الله. وهنا يمكن القول:

(١) أن **الخطاب المسيحي** ليس كلاماً بشرياً ولكنه **"روح وحياة"** (يو٦: ١٣)، وبالتالي فإن تفسير كلمة الله ووصايا الكتاب ليس عملاً إنسانياً ولكنه عمل الروح القدس **"روح القوة والمحبة والنصح"** (٢تي ١: ٧)؛

"لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم" (مت١٠: ٢٠)؛

"لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما يعلمه الروح القدس"

(٢كو٢: ١٣)؛

"وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة، لكي لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله" (١كو ٢: ٤، ٥)؛

"إن إنجيلنا لم يصر لكم بالكلام فقط بل بالقوة أيضاً وبالروح القدس وبيقين شديد" (١تس ١: ٥).

وهذا يتطلب من خادم الله على كل مستو، مع الجهد والدراسة وبذل الذات والوقت والفكر، الخضوع الكامل للعمل الإلهي وطلب معونة الروح في كل مرة يتكلم أو يكتب، لكي يكون كلامه "**كل حين بنعمة، مصلحاً بملح**" (كو٤: ٦).

والخادم الذي يتجاسر على التعليم بغير استعداد روحي وعلمي، ويستخدم مهاراته الشخصية في ملء الوقت بأي كلام من هنا وهناك، مع استدعاء بعض ما يحفظه من الآيات كي يستكمل الشكل، فهو يهين كلمة الله، ويهين خدمته، ويهدر الوقت المقدس للخدمة، فضلاً عن الإساءة لمخدوميه الذي يخرجون فارغين. وهو لن ينجو من جزاء صارم إن لم يدرك خيانته لتعهده ويتب عن استهتاره.

(٢) إن رسالة الخادم، في كل مرة يعلم بكلمة الله، هي **خلاص مخدوميه** وتسليم حياتهم للرب الذي أحبهم حتى المنتهى، وأن يكون التركيز ساطعاً في التعليم: **أن المسيح**[1] **هو الغاية والوسيلة، وهو "البداية والنهاية"** (رؤ١: ٨، ٢١: ٦، ٢٢: ١٣)، **وأن يكون هدف الخدمة**

(١) نسمع أحياناً عظات في الكنيسة أو نقرأ مقالات روحية لكتاب مسيحيين لا يكاد يذكر فيها اسم المسيح!

والتعليم هو الارتباط بشخص يسوع المسيح الذي "ليس بأحد غيره الخلاص" (أع٤: ١٢)، وحفظ **كلمته** وطاعتها، والسلوك **بالإيمان** تطلعاً إلى الموطن السماوي بيقين شديد، و**العبادة** المقتادة بالروح، والتوقف عن الممارسات الشكلية والتدين القشري الخادع، والإسهام النشط في **خدمة المحتاجين** بكل وسيلة، بالمال أو بالاشتراك في قوافل الخدمة التي يقوم بها عدد كبير من الكنائس.

لا يليق إذاً أن يكون التعليم مسطّحاً: كلاماً مرصوصاً يتضمن بعض المفردات الإنجيلية، لا يخاطب الروح ولا يحث على التوبة وتغيير الحياة.

العظة ليست ملء فراغ وإنما هي تنخس القلوب النائمة لإيقاظها وحضّها على **التوبة**. ودقائق العظة هي فرصة للخادم كما هي للسامع ولا يُقبل أن تفلت من الاثنين.

الكنيسة هي مدينة الملجأ للهاربين من الموت ودار شفائهم من الخطية. وستكون خيبة أملهم عظيمة إذا لم يجدوا فيها دعوة **للخلاص "خلصوا البعض بالخوف مختطفين من النار"** (يه ٢٣).

(٣) في **التعليم الكنسي** ليس مقبولاً أن يتزلق المعلم إلى انتقاد الطوائف والتشهير بها، فيختلط التعليم بتعميق الانقسام، وتكون الحصيلة للمؤمنين هي في النهاية بالسلب. الاختلافات في أساسيات العقيدة (وليس في الممارسات، وبعضها شكلي هامشي)، لا تُقدَّم إلى المبتدئين أو البسطاء، وليس مجالها أيضاً الاجتماعات العامة، حيث لا تؤدي مثل هذه الموضوعات، كما ينبغي، إلى كشف جوانب الاتفاق بين المعتقدات، وإنما إلى النفور من الآخرين، والحط من شأنهم وإضعاف المحبة لهم، أي ضد التعليم المسيحي!! مناقشات فروق

العقيدة مكانها اجتماعات المتقدمين والدارسين الذين تسمح قاماتهم الروحية وخبراتهم العملية أن يعرفوا ويقيّموا بمنهج يلتزم بالحق وكلمة الإنجيل وحقائق التاريخ، على أن تظل المحبة هي العقيدة السائدة.

(٤) في ظروف التطرف الديني والفتن الطائفية وتعرّض المواطنين المسيحيين للعنف والاضطهاد بأنواعه، هناك خطر أن يؤدي الجو المشحون، وتخلي الدولة عن واجبها في حماية كل مواطنيها ورعايتهم، إلى خطاب يترلق إلى تأجيج التعصب والكراهية لغير المسيحيين.

هذا ليس ناموس المسيح. والمطلوب هنا، حسب نهج الإنجيل، هو استثارة الإيمان والتأكيد على دور المسيحي في العالم كممارس للمحبة للكل، والسلوك بالحكمة، والحثّ على الاحتمال، وإعلاء التعليم الكتابي لإجهاض روح الانتقام بدوافع الجسد، والفرح بشركة الآلام مع المسيح، منصتين إلى كلمة الله:

"لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد" (مت١٠: ٢٨، لو١٢: ٤)؛

"كما اشتركتم في آلام المسيح افرحوا، لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين. إن عُيّرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم. أما من جهتهم فيُجدف عليه. وأما من جهتكم فيُمجد" (١بط٤: ١٣، ١٤)؛

"إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه" (رو٨: ١٧).

مقابلة المسيحي العنف بالعنف تعني من ناحية استقالته من الإيمان، وهي من ناحية أخرى تجعل حمامات الدم لا تتوقف، وتعمّق العداء بلا نهاية، فالخسارة مضمونة للجميع. على العكس، فإن احتمال المسيحي،

مهما اشتدت وطأته، يلقي ماءً على النار، ويئد الفتن، ويحفظ الدولة من التشرذم والانهيار (وعندها لن تصلح له أو لغيره).

في المحنة التي تعرض لها المسيحيون سنة ٢٠١٣ في صعيد مصر، بقتلهم وسحلهم وحرق أكثر من ٨٠ كنيسة في المنيا وحدها، كان رد **البابا تواضروس** مسيحياً هادئاً: الكنيسة كبناء يمكن تعويضها.. يمكن أن نصلي في أي مكان.. ولكن لن نقبل بهدم بلادنا المباركة منذ القرون. هذا هو تعليم المسيح الذي وجد صداه وتمجَّد الله به.

(٥) **التعليم المسيحي** يلقى تأثيره كلما كان المعلم **قدوة**. القدوة هي التعليم بغير كلام، والمسيح كان يقول **"تعلموا مني.."** (مت١١: ٢٩). بغير القدوة، أو بالقدوة المضادة وهو الأسوأ، يصبح التعليم نظرياً وكلاماً في الهواء. عندما يخرج التعليم من فم من يمارسه بإيمان وأمانة وحرص على خلاص سامعيه، فإنه يحمل برهان صدقه وفاعليته وسده لحاجة السامع. هكذا حرص **معلمنا بولس** أن يكتب لتلميذه **تيموثاوس: "بل كن قدوة للمؤمنين في الكلام، في التصرف، في المحبة، في الروح، في الإيمان، في الطهارة"** (١تي٤: ١٢)، ولتلميذه **تيطس: "مقدماً نفسك في كل شيء قدوة للأعمال الحسنة"** (تي٢: ٧).

في عصر الاستشهاد الأول، كان الآباء، أساقفة وكهنة وخداماً، في الصفوف الأولى. وهكذا تبعهم سائر المؤمنين كباراً وصغاراً لينالوا الإكليل. وفي عصر الاستشهاد الحالي، وقد لا يكون الأخير، فإن رؤوس **كهنة الموصل** المقطوعة في أيدي الإرهابيين كانت المصابيح التي اهتدى بنورها باقي مسيحيي الموصل في خروجهم الدامي من ديارهم لأنهم رفضوا

أن ينكروا الإيمان، فصاروا شهوداً للمسيح وكرازة حية باسمه للعالم كله.

(٦) نضيف إلى ما سبق، ضمن ما يمكن أن يعنينا من أمر **"تجديد الخطاب الديني"**، هو أن يعي كل خادم للكلمة مسئوليته كمعلم: بأن يظل إلى نهاية عمره تلميذاً مخلصاً وأميناً لكلمة الله، وألا يكّف عن التعلّم ليكون مستعداً دائماً لمجاوبة كل من يسأله عن سبب الرجاء الذي فيه بوداعة وخوف (١بط ٣: ١٥)، وأن يكون تعليمه دائماً مستقيماً صحيحاً. هكذا كانت وصايا **القديس بولس** إلى تلاميذه:

"إلى أن أجيء، اعكف على القراءة والوعظ والتعليم... لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك" (١تي ٤: ١٣، ١٦)؛

"ومقدِّماً في التعليم نقاوة ووقاراً وإخلاصاً وكلاماً صحيحاً غير ملوم لكي يخزى المضاد" (تي ٢: ٧).

(٧) وربما نضيف هنا أيضاً، أن يتقن خادم الكلمة **قراءة كلمة الله** الجديرة بالاحترام والتوقير. فالقراءة الصحيحة تقود إلى الفهم الصحيح والعكس بالعكس، والقراءة الخاطئة تطعن في أهلية المعلم للتعليم، كما أنها تصير مجالاً للانتقاد إذا غيّرت المعنى إلى ما يثير التهكم بما يهين كلمة الله[٢]؛ (والأمر ينطبق أيضاً على تلاوة نصوص **القداس الإلهي**).

نقول هذا الكلام، ونحن نرى تراجع مستوى قراءة الكتاب (وصلوات القداس) بصورة صحيحة في كنيستنا المصرية الأرثوذكسية على كل مستوٍ. وإذا كنا نتعلل بصعوبة لغتنا العربية، فهذا يقتضي بالأولى من

---

(٢) هذه أمثلة لبعض الآيات والكلمات التي إن لم تُقرأ صحيحة تفقد معناها أو قد تتحول إلى الضد: "سمع يسوع أن يوحنا **أُسلم**" (مت٤: ١٢)؛ "الذي **أَسلم** من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا" (رو٤: ٢٥)؛ "ولا **تَحُر** إذا وبخك" (عب١٢: ٥)، "الذي إذ **شُتم** لم يكن **يَشتم** عوضاً" (١بط ٢: ٢٣).

المعلمين بذل الجهد في التعلُّم بدل استسهال الخطأ فهذا ليس مجاله.

(٨) يقتضي الأمر أيضاً وبصورة دورية مراجعة وتدقيق عدد من **الكتب التراثية**، و**كتب الخدمة الكنسية**، لتجريدها من أيٍّ من جوانب القصور أو ضعف اللغة:

+ والبداية من **قطمارس القراءات** (باللغة العربية) الذي يحفل بالأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية، كما أن ترجمته عن القبطية تحتاج إلى تدقيق أكثر ومحاولة تقريبها من الترجمة العربية الشائعة. بل ربما يكون من الأفضل استخدام الترجمة البيروتية التي يعرفها الجميع في خدمة الليتورجية، وهي التي يستخدمها قداسة البابا والأباء الأساقفة وخدام مدارس الأحد في خدمتهم، فينتهي هذا الازدواج في لغة الكتاب الذي يعطل فهم المصلين ومتابعتهم لنصوص القراءات كما تقرأ حالياً من القطمارس. على أن تبقى ترجمة القطمارس عن القبطية للدارسين والباحثين في ترجمات الكتاب المقدس. ومن ناحية أخرى ينبغي أن يشمل القطمارس كل أجزاء العهد الجديد فبعضها لا يُذكر وبعضها يتكرر كثيراً.

+ وأيضاً فإن أجزاءً كبيرةً من كتاب **السنكسار** الذي يعرض لتاريخ قديسي الكنيسة، امتداداً **لسفر أعمال الرسل**، تعاني من الإسهاب والنمطية (وربما أيضاً من المبالغة التي تجدر مراجعتها والتأكد من صحتها) بما يدعو إلى تحديد ما ينبغي قراءته أثناء القداس بصورة مركزّة تخلو من التفاصيل الكثيرة (التي يمكن، لمن يريد، الرجوع إليها في نصِّها الكامل في المرجع التاريخي الذي تحويه المكتبة الكنسية)، بما يضمن استيعاب المصلّين دون تشتيت ذهنهم، وبغير أن يأخذ من وقت القداس أكثر مما ينبغي.

+ كما أن كتاب **بستان الرهبان** الشهير، والذي كان ملهماً للآلاف على مستوى العالم لحياة النسك والتكريس والفضيلة، ورغم أنه جرت له مراجعة في القرن الماضي، فهو لا يزال يستحق تدقيقاً أكثر. وليس أجدر ولا أقدر على القيام بهذه المهمة من الآباء الرهبان (وضمنهم الأساقفة بالطبع أعضاء لجنة النصوص في مجمعنا المقدس).

(٩) فإذا جئنا إلى نصوص بعض الصلوات الطقسية (كصلوات **سر الزيجة** على سبيل المثال) خاصة النصوص العربية، التي لم تأتِ من أصول باللغة القبطية أو اليونانية، والتي هي اجتهاد البعض على قدر ما وسعتهم المعرفة باللغة في زمانهم، فكثير منها يقتضي مراجعة لغوية وروحية ومطابقتها مع نصوص الكتاب وقوانين الرسل، ونشير هنا إلى بعضها:

+ فالعديد من القطع المقحمة ضمن **التسبحة الكيهكية** (والتي تُستخدَم أيضاً خلال صوم العذراء) تعاني قصوراً شديداً في المعاني وقواعد اللغة[٣]، وتختلط فيها الفصحى بالعامية الشعبية لضبط القافية تعسفاً. كما أن بعض أخطاء التشكيل صارت هي القاعدة بسبب التعود عليها![٤].

+ كما أن بعض الصلوات، ضمن طقوس **البصخة المقدسة**، تستحق المراجعة لتؤدي دورها خلال أقدس أيام السنة التي يتوجها الصليب وتختمها قيامة السيد. وفي مقال طويل للكاتب نُشر قبل أكثر من ربع قرن ("**مدارس الأحد**"، نوفمبر وديسمبر ١٩٨٨ وما بعده) بعنوان "**حول**

---

(٣) مثل كلمة "**عقورية**" (المشتقة خطأً من **عاقر**) ويقصد بها عدم القدرة على الإنجاب، وكلمة "**بكورية**" التي تتعلق بالبكر أي أول المواليد، وهي لا علاقة لها بالبتولية أو العذراوية (البكارة) الخاصة بالسيدة العذراء، وبداية ترنيمة (يا مريم **البكر**) حيث كلمة البكر لا تفيد أنها عذراء.

(٤) هذا مجرد مثال: "أنت الشفيع الأكرم عند **ابنُك**" (وصحتها **ابنِك** بكسر النون)!

الترتيبات الطقسية لأسبوع الآلام"[٥]، اقترحنا فيه فيما يتعلق **بالطلبة** التي تتكرر بنصِّها في نهاية كل فترة من فترات البصخة (وأحياناً في ختام كل ساعة) النهارية أو الليلية، أن تكون هناك طلبة خاصة لكل ساعة تتصل بأحداثها الكتابية وتركز على الصليب والخلاص والتوبة، وتلمس الظروف المعاصرة للمؤمنين، ويتولى صياغتها آباء الكنيسة المُلهَمون، بما يجرد النصوص القديمة من أوجه قصورها في المعنى وسلامة اللغة.

كما أن **الطرح**، الذي لا يضيف جديداً إلى ما قُرئ خلال الساعة، يدعونا إلى أن يحل محل الطرح عظات مركزّة تفسر القراءات وتيسر للمؤمنين فهم ومتابعة أحداث الصليب.

كما يُقترح أن يتم توزيع **الميطانيات الأربعمائة**، بحيث تكون **مائة** لكل ساعة من الساعات الأربع الأخيرة من يوم **الجمعة العظيمة**، ليمكن أداؤها بغير عجلة، بدل جمعها معاً في ختام اليوم الطويل وقد تملك التعب من الكل.

+ أيضاً فإن بعض **صلوات القسمة**، التي نلاحظ استخدامها في كنائسنا في السنوات الأخيرة، تحتاج إلى إعادة تقييم للتأكد من أصالتها واستحقاق ضمها إلى صلوات القداس.

(١٠) ثم يبقى أيضاً النظر في بعض الممارسات التقليدية كأن ينقل الشماس **القطمارس** من المنجلية ويحمله إلى الأسقف، احتراماً وتوقيراً، وهو

---

(٥) تضمنه أيضاً **الكتاب الثالث** من سلسلة **"نور الحياة"** للكاتب (ص ٩٦).

يقف عند باب الهيكل لكي يقرأ إنجيل القداس، وربما كان أفضل منه وأكثر تأثيراً في القلوب أن يتقدم الأسقف ويذهب إلى المنجلية الحاملة للقطمارس احتراماً وتوقيراً لكلمة الله واتضاعاً أمامها ويقرأ الإنجيل هناك، كما يفعل الكاهن والشماس.

O O O

وفي الختام نريد أن نؤكد أن هذه المقترحات لا تقصد طعناً في صدق الترتيبات التي حافظت عليها الكنيسة على مدى القرون حتى وصلت إلينا، والذين يقدمون مثل هذه الأفكار للتغيير هم مؤمنون مخلصون محبون لكنيستهم وآبائها. هم فقط يطمحون إلى "الأفضل" و"الأدق"، وما يتوافق أكثر مع روح الإنجيل ورسالة الخلاص والأكثر فائدة روحية للشعب.

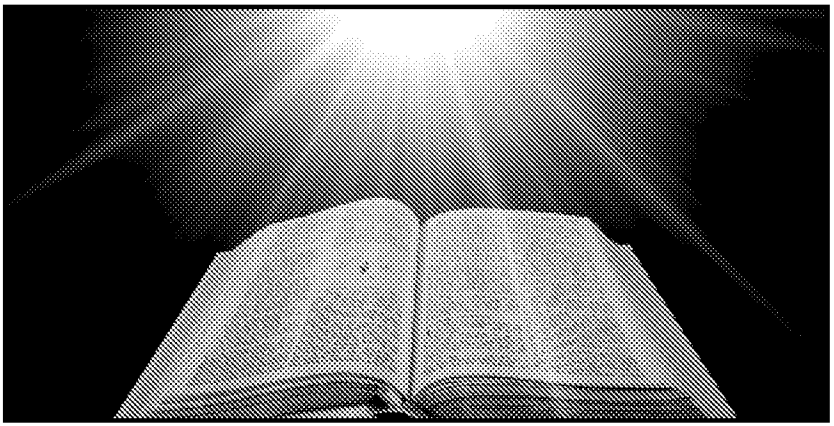

"الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة" (يو٦: ٦٣)

ريتشيل كوري

شهيدة ضد العنف .. ومن أجل الحياة والسلام والحرية

(١٩٧٩/٤/١٠ – ٢٠٠٣/٣/١٦)

الشهيدة ريتشيل كوري

"اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم، والمذلين
كأنكم أنتم أيضاً في الجسد" (عب١٣:٣)

■ ضد العنف.. ومن أجل الحياة والسلام والحرية:

في ٢٠٠٣/٣/١٦ اغتالت قوات الاحتلال الإسرائيلية الفتاة الأميريكية **ريتشيل** (راحيل) **كوري** Rachel Aliene Corrie الطالبة بجامعة كولومبيا، والتي جاءت مع وفد **حركة التضامن الدولية**[١]، التي تنادي بنبذ العنف، إلى مدينة **رفح** الفلسطينية، جنوب قطاع غزة، في محاولة احتجاجية لوقف الإبادة الجماعية للفلسطينيين بتدمير المنازل فوق ساكنيها وقتل الأطفال والكبار واقتلاع الزرع وردم الآبار أو تسميمها، وتدمير الاقتصاد بالكامل.

* * *

(١) بعد الانتفاضة الفلسطينية الثانية في سبتمبر ٢٠٠٠، عقد في ٢٠٠١/٦/١ مؤتمر بمدينة جنوه الإيطالية لمناصرة الشعب الفلسطيني، وكان من ثمار هذا المؤتمر أن أُنشئت حركة التضامن الدولية International Solidarity Movement (ISM) بمبادرة من فلسطينيين وإسرائيليين يرفضون العنف والظلم. كما أتفق على إرسال وفود شعبية من أوربا وأميريكا وكندا إلى الأراضي الفلسطينية تحت شعار "حملة الحماية الشعبية للفلسطينيين".

كانت **ريتشيل** – كرسامة وشاعرة أيضاً – مُحبة لقيم العدل والحرية والسلام، وهي اكتشفت بفطرتها السليمة أن الشعب الفلسطيني صاحب قضية عادلة ويستحق أن يناصره الجميع(٢).

في عامها الجامعي الأخير (٢٠٠٢-٢٠٠٣) حصلت على منحة تفرغ لمدة عام واقترحت مشروعاً للتخرج موضوعه التوأمة بين مسقط رأسها مدينة أوليمبيا Olympia بولاية واشنطن ومدينة رفح الفلسطينية. هكذا قررت أن تذهب إلى غزة حيث كانت الانتفاضة الفلسطينية الثانية في ذروتها.

لم تنكفيء **ريتشيل** – وهي في بداية عقدها الثالث – على اهتمامات غيرها من الفتيات الأميريكيات استمتاعاً بمباهج الحياة التي أجلتها إلى حين. وفي اهتماماتها المختلفة عبرت المحيط والبحر قاصدة أرضاً يعيش عليها شعب ذليل تحت الاحتلال يتعرض كل يوم لأنواع الظلم والقسوة والإهانة.

هكذا وصلت **ريتشيل** إلى إسرائيل في ٢٠٠٣/١/٢٢ وقضت أياماً للتدريب مع حركة التضامن قبل أن تذهب إلى رفح جنوب قطاع غزة حيث قضت آخر شهرين من حياتها مع أهلها الذين يعانون الاحتلال. وهي أحبت أهلها البسطاء الذين أحبوها هم أيضاً وقاسمتهم الخبز والماء الشحيح. ولما وصل وفد حركة التضامن الدولية انضمت إليهم بقصد أن

---

(٢) هناك فيديو على شبكة الإنترنت لريتشيل وسنها خمس سنوات وهي تلقي كلمة طويلة في مدرستها بدأتها هكذا: "أنا هنا لأني أهتم I am here because I care" بما يشي مبكراً بإنسانيتها الرفيعة واستعدادها النفسي للخروج من الذات والاهتمام بالآخرين والقدرة على التضحية بالنفس. وهي في العاشرة كتبت قصيدة تعبر فيها عن عدم رضاها عن الأطفال المعذّبين "ليس حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" (يو ١٥:١٣).

يشكلوا دروعاً بشرية تمنع هدم منازل الفلسطينيين.

وفي ١٦ مارس قبل عشر سنوات (قبل غزو العراق بأربعة أيام) وقفت **ريتشيل كوري**، التي لم تكن قد أكملت أعوامها الأربعة والعشرين، وقفت أمام جرافة (بولدوزر) كانت تتقدم لتدمير المترل الذي كانت تقيم فيه مع عائلة فلسطينية، وقد ارتدت زياً برتقالياً مميزاً كداعية سلام وترفع علماً برتقالياً رمز وفد التضامن (الذي كان يضم ثلاثة من الحاصلين على جائزة نوبل في الأدب).

حملت **ريتشيل** مكبراً للصوت وتصدت للسائق الإسرائيلي تحثه على التوقف ومنعته من التقدم لمدة ساعتين. كانت تحسب أنه لن يجرؤ على التقدم وإلا لسحقها خاصة وهي أميريكية تدعم دولتها إسرائيل. على أن السائق بعد أن نفد صبره و لم تعد له طاقة على تحمل إصرارها تقدم نحوها يريد أن يدهسها.

لم تتراجع الفتاة وبكل جسارة تسلقت باطن مقدم الجرافة الممتلىء بالأنقاض والتراب. ولكن السائق لم يتوقف عند هذا الحد بل تقدم إلى الأمام بغير رحمة ساحقاً جسدها النحيل الأعزل بنصل الجرافة الحاد ثم عاد إلى الخلف مرة أخرى فأجهز عليها بعد أن حطم عظامها.

وكان موتها الفاجع صرخة دوّت في جنبات العالم تدين الظلم والعدوان الذي يتعرض له شعب بأكمله، ونداءً لأصحاب الضمائر الحية أن يتحركوا لصنع السلام وتحرير المظلومين. كما صارت **ريتشيل كوري** رمزاً للمدافعين عن حق الحياة ضد ظلم القوة الغاشمة المسلحة بكل عناصر الدمار ضد المواطنين العزل من نساء وشيوخ وأطفال.

■ أصداء الدم النازف:

خلال إقامتها في رفح، كانت **ريتشيل** ترسل لأمها عبر البريد الإليكتروني رسائل تحمل انطباعاتها عن حياة الناس الشاقة من حولها وتشي برفضها للظلم والعدوان وصلابتها في الدفاع عن شعب يعاني المذلة والهوان.

وكانت هذه الرسائل التي نشرت بعضها صحيفة الجارديان البريطانية بداية الخيط الذي أكد الشكوك حول ملابسات مصرعها. وقد ألهمت قصتها الإنسانية خيال المبدعين لتتحول أولاً إلى نغمات من خلال أكثر من ثلاثين أغنية. كما تحولت كتاباتها ومأساتها الدامية إلى مسرحية (٢٠٠٥) بعنوان "**اسمي ريتشيل كوري**" التي مُنع عرضها في أميريكا بعد فترة قصيرة لتعرض في لندن وغيرها من دول العالم بما فيها الأراضي الفلسطينية وإسرائيل.

وفيما بعد طُبعت كل رسائلها في كتاب (٢٠٠٨) بعنوان "**السموات تنتحب**" "The Skies are weeping"، وحملت اسمها سفينة إيرلندية ضمن أسطول الحرية الذي حمل نشطاء جاءوا لمساندة الفلسطينيين في يونيو ٢٠١٠. كما أُطلق اسمها على أحد شوارع مدينة رام الله كبرى مدن الضفة الغربية. وأسس والداها كريج وسيندي كوري تخليداً لذكراها ولمساندة السلام والعدل في العالم "**مؤسسة ريتشيل كوري للسلام والعدل**" "Rachel Corrie Foundation for Peace and Justice".

وقد قامت أسرتها بتحريك دعوة قضائية ضد شركة كاتربيلر الأميريكية التي منحت الجرافة لإسرائيل. كما أقامت دعوى في محكمة إسرائيلية تتهم سائق الجرافة باستخدام القسوة والإهمال وتعمد قتل ابنتها. ولكن بعد أكثر

من تسع سنوات من مقتل الناشطة الشابة (٢٠١٢/٨/٢٨) رفضت محكمة إسرائيلية الاتهامات المنسوبة إلى سائق الجرافة، وادعى الجيش أن **كوري** لقيت حتفها بسبب سقوط الأنقاض عليها، وأنها هي التي عرضت حياتها للخطر، وأنها كانت تقف في منطقة عسكرية مغلقة يمتنع الاقتراب منها.

بينما قال أنصار **كوري** أنه من المستحيل ألا يكون سائق الجرافة قد رآها، فهي كانت ترتدي سترة برتقالية ظاهرة للعيان وتحمل مكبراً للصوت وهي تحاول سد الطريق أمام الجرافة، وأكدوا أنه كان برفقة السائق مساعد يراقب معه الطريق فلا يمكن ألا يكون قد شاهد الفتاة.

■ مقتطفات من رسائلها:

+ هكذا كتبت **ريتشيل** عن الناس الذين عاشت بينهم :

أشعر بالغثيان والخجل من ذلك الاهتمام الذي يحيطني به طوال الوقت وبمنتهى الرقة أناس يواجهون الهلاك. إن هذه الطيبة الغامرة للناس هنا مع كل ما يحيط بهم من أسباب التدمير المتعمَّد لحياتهم يجعل كل هذا يبدو لي وكأنه غير حقيقي.

+ أنا مندهشة من تلك الصلابة في الدفاع إلى أقصى حد عن إنسانيتهم وقدرتهم على أن يضحكوا أو يكونوا كرماء، وأن يمضوا أوقاتاً عائلية بالرغم من الرعب الذي لا يمكن تصديقه في حياتهم وفي مواجهة الحضور الدائم للموت.

+ أعتقد أنه حين تمنع كل وسائل العيش فيما يشبه السجن الكبير، فذلك يستحق أن يوصف بالإبادة الجماعية.

+ ستون في المائة من الناس هنا لاجئون وكثيرون هُجِّروا مرتين وثلاث،

وقامت الجرافات بتسوية أكثر من ستمائة بيت بالأرض، وحتى لو أراد أحد الرحيل فلن يستطيع الوصول إلى إسرائيل من أجل تقديم طلبه للحصول على تأشيرة دخول إلى البلد الذي يقصده.

+ أعتقد أن رفح تعتبر أفقر مكان في العالم. في الماضي وحتى وقت قريب كانت رفح تصدر شحنات الورد إلى أوربا، ولكنها صارت تتعطل لأسبوعين في المعبر إلى أن يقوم الأمن بفحصها!.. والنتيجة كانت ذبولها وموتها بل وجفاف التجارة كلها.

+ إن أي عمل أكاديمي أو أي قراءة أو أي مشاركة في المؤتمرات أو مشاهدة أفلام وثائقية لم تكن لتسمح لي بإدراك الواقع ببشاعته كما هو، ولا يمكن تخيل ذلك إن لم تشاهده بنفسك.

+ قالوا لي ذات يوم لا نعرف إذا ما جئتِ في العام القادم هل ستجدينا على قيد الحياة أم لا؟!

+ إزاء ما يعانيه الناس هنا أشعر بالرعب والعجز عن التصديق. كما أشعر بالخيبة لأننا جميعاً نشارك في هذه الحقيقة الأليمة بصمتنا ودعمنا لها بشكل غير مباشر.

+ للذين يتهمونني بالجنون أقول إن مجيئي إلى هنا هو من أفضل الأمور التي أقدمت عليها في حياتي.

■ يهودية أم مسيحية:

سنلاحظ أن **ريتشيل** لم تعمد إلى كشف هويتها الدينية (ربما لأن حركة التضامن الدولية كانت تضم المسيحيين واليهود) ولكنها قدمت نفسها — كما بدا من رسائلها — كإنسانة ترى الفلسطينيين إخوتها وأخواتها في

الإنسانية.

وحتى إن كان تصرفها بالوقوف إلى جانب المضطهَدين، وما هو مسجل أن والديها يطوفان الكنائس الأميريكية يحثون على مساندة القضية الفلسطينية، يُرجح أن تكون مسيحية رغم أنه لا توجد إشارة صريحة إلى عقيدتها الدينية في كل ما أوردته عنها شبكة المعلومات الإليكترونية(٣).

وسواء كانت مسيحية أو يهودية، فما يهمنا هنا أنها سلكت مسيحياً بمشاركة المقيدين قيودهم واختبرت المذلة التي يعانيها الفلسطينيون، وأيضاً موت الأبرياء من النساء والأطفال. وهي إن كانت يهودية فقد تفردّت مع أصحاب النفوس العالية بأن تجاوزت انتماءها و لم تنحز تلقائياً إلى الجانب الإسرائيلي وإنما إلى جانب الحق والعدل ونجدة المظلوم مهما كانت عقيدته.

وبغير شك فإن **ريتشيل كوري** ستبقى في ذاكرة الإنسانية مصدراً دائماً للنور الذي يبدد الظلمة ويضيء طريق المناضلين من أجل الحق والخير. كما صارت شاهداً على ازدواج المعايير في عالمنا وتجاهل أكثر الإعلام الغربي لموتها الأليم دفاعاً عن الإنسان المظلوم.

(٣) غير أن عدداً من كتاب صحفنا المصرية تعاملوا معها على أنها يهودية ربما استناداً غير مبرر إلى اسمها (راحيل أو راشيل) الذي لاشك في أصوله اليهودية (**فراحيل** كانت زوجة أبينا يعقوب وأم يوسف وبنيامين)، ولكنه يشيع أيضاً بين المسيحيين (بمن فيهم الأقباط بالطبع).

■ المسيح مدافعاً عن المظلومين:

أما بعد .. فالسؤال الآن: هل **ريتشيل** تهمنا؟

هل يشغل المسيحي الحقيقي أحوال المظلومين في العالم مهما كانت عقيدتهم(٤).

هل لو كان المسيحيون في دولة ما أقلية يعانون الاضطهاد والتمييز، هل ينكفئون على ما هم فيه وينحصرون في قيوده أم يعلنون رفضهم أيضاً ظلم الآخرين حتى لو لم يكونوا مسيحيين كما يدينون اضطهادهم هم أنفسهم؟

تعالوا نستشر مخلصنا المسيح ونسترشد بكلمات إنجيله:

مع بدء خدمة الرب "**جاء إلى الناصرة حيث كان قد تربى ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام يقرأ**". وكان أول ما قرأه من سفر إشعياء ونصه "**روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق، وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية**" (إش٦١: ١ ، لو٤ : ١٨).

بعد القراءة، أضاف الرب أن فيه تحقق ما تنبأ به إشعياء قائلاً: "**إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم**" (لو ٤:٢١). فهذه أيضاً كانت رسالته.. فهو لم يبشر فقط بالخلاص من الخطية والنجاة من الموت الأبدي، وإنما أيضاً فاض بمحبته وحنانه بغير تمييز على البشر الذين يعانون مما أفرزته الخطية في العالم: المرض والعاهات، الفقر والجوع، الغربة والوحدة والعزلة، الظلم والتمييز والاستغلال والتسلط، لكي يتم ما قيل: "**هو أخذ أسقامنا**

---

(٤) خلال عقدين (من ١٩٨٤ حتى ٢٠٠٥) بلغ عدد ضحايا الإبادة الجماعية في جنوب السودان مليوني قتيل إضافة إلى تشريد ما يقرب من أربعة ملايين.

وحمل أمراضنا" (إش ٥٣: ٤، مت ٨:١٧)، وهو فتح قلبه للكل منادياً " **تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم"** (مت ١١:٢٨):

+ وهكذا كان يصنع بعد أن يقرأ ويفسر ويعظ: يجول **"يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس"** (أع ١٠:٣٨) **"وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى... ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب. ولما رأى الجموع تحنن عليهم إذ كانوا مترعجين ومنطرحين كغنم لا راعي لها"** (مت ٩:٣٥، ٣٦، مر ٦:٣٤)؛

"فلما خرج يسوع أبصر جمعاً كثيراً فتحنن عليهم وشفى مرضاهم" (مت ١٤:١٤)؛

"حتى وقع عليه ليلمسه كل من فيه داء" (مر ٣:١٠)؛

"فجميع الذين لمسوه نالوا الشفاء" (مت ١٤:٣٦، مر ٦:٥٦، لو ٦:١٩)؛

"والمحتاجون إلى الشفاء شفاهم" (لو ٩:١١)؛

"فتحنن يسوع ولمس أعينهما (الأعميين) فللوقت أبصرت أعينهما فتبعاه" (مت ٢٠: ٣٤)؛

"فتحنن ومد يده ولمسه (الأبرص)" (مر ١:٤١).

+ وإشفاقاً على الجموع التي ظلت معه ثلاثة أيام يرفض أن يصرفهم صائمين **"لئلا يخوروا في الطريق"** ويكثّر لهم الخبز والسمك ليأكلوا (مت ١٥:٣٢-٣٨، مر ٨: ٢-٩).

+ وحنّت أحشاؤه على الأرملة التي فقدت وحيدها فجاء إليها **"وقال لها لا تبكي ثم تقدم ولمس النعش"** وأقام ابنها (لو ٧:١٢-١٥).

+ ويتقدم من مريض بيت حسدا الذي أقعده العجز لأربعة عقـــود ولم يكن له صديق يدفعه في البركة متى تحرك الماء ليصير هو صـــديقه الشـــافي الذي يختم على أيام شقائه (يو ٥:١-٩).

+ وهو تحنن على المرأة التي أمسكت في زنىً لأنها تستحق الإشفاق بعد أن فقدت كرامتها وتحتاج لمن يعيد إليها إنسانيتها المفتقَدة وليس لرجمهـــا. فجعل من اجتمعوا لقتلها يتراجعون وقد اكتشفوا أنهم مثلها جميعاً خطاة، وطلب من المرأة أن تمضي ولا تخطيء أيضاً (يو ٨: ٣-١١).

■ هو للجميع.. وحتى للرافضين:

كان المسيح يهودياً بالجسد ولكنه قدم نموذج الإنسان الجديد، حتى وإن بدأ بخاصته (**لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة** – مـــت ١٥: ٢٤) ولكنه فتح قلبه وفاض برحمته على الكل مادا يده إلى الغرباء والأمـــم ومحسناً حتى للرافضين:

+ فهو ينتظر مجيء **السامرية** عند البئر رغم قيظ الظهـــيرة (يـــو ٤:٦) لإنقاذها وكل عشيرتها.

+ وهو يشفي ابنة **الكنعانية** (الأممية الفينيقية) ويمتدح عظيم إيمانها (مت ١٥: ٢٨، مر٧: ٢٩).

+ ولما جاء **قائد المئة** (**الروماني**) يسأله من أجل شفاء غلامه لم يتـــردد في الاستجابة. ولما قال له قائد المئة "يا سيد لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي. ولكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامي" مدحه السيد قائلاً: "**الحق أقول لكم لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا.. اذهب وكما آمنت ليكن لك. فبرأ غلامه في تلك الساعة**" (مت ٨: ٥-١٣، لو ٧: ٢-١٠).

+ ولما رفضته قرية للسامريين أن يقيم فيها وهو في طريقه إلى أورشليم، قال له تلميذاه يعقوب ويوحنا "أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً. فالتفت وانتهرهما وقال **لستما تعلمان من أي روح أنتما. لأن ابن الإنسان لم يأتِ ليهلك أنفس الناس بل ليخلص**" (لو ٩: ٥١-٥٦).

+ وهو في طريقه للصليب حدث أن بطرس دفاعاً عنه قطع أذن عبد رئيس الكهنة بالسيف. فلم ينحصر في نفسه وما ينتظره من أهوال وإنما توقف ولمس أذن العبد وأعادها إلى مكانها (لو ٢٢: ٥٠، ٥١).

■ اليهود .. أعداء الأمس .. أعداء اليوم:

كما تفعل إسرائيل اليوم في شعب فلسطين المحاصر بين سطوة الاحتلال وتواطؤ القوى الكبرى في العالم[٥]، هكذا كان موقف اليهود من المسيح أيام جسده "**إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله**" (يو ١: ١١). ورغم أعمال الرحمة والخير التي صنعها معهم إلا أنه ما أسهل ما كانوا ينقلبون عليه من الرضا إلى العداء:

+ فبعد حديثه في مجمع الناصرة كان الجميع "يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه" ولكنهم في نفس الوقت كانوا يعثرون به كواحد من بلدتهم يستصغرون شأنه ويقولون "من أين لهذا هذه الحكمة والقوات. أليس هذا ابن (يوسف) النجار؟" أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا؟ أو ليست أخواته جميعهن عندنا؟ فمن أين لهذا هذه كلها؟ (مت ١٣: ٥٤-٥٦، مر ٦: ٢، ٣، لو ٤: ٢٢) وكان رد

---

(٥) بين عامي ١٩٧٢ و٢٠٠٢ استخدمت الحكومة الأميريكية حق الفيتو ٤٠ مرة ضد قرارات الأمم المتحدة لصالح الفلسطينيين. كما أن العديد من الكنائس الإنجيلية في الغرب تساند إسرائيل على طول الخط ولا تدين تجاوزاتهم وسلبهم حقوق الفلسطينيين.

يسوع عليهم "**ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وبين أقربائه وفي بيته**" (مت ١٣:٥٧، مر ٦:٤) "**ليس نبي مقبولاً في وطنه**" (لو ٤:٢٤)، مما ملأهم غضباً وكشف عن عدائهم "فقاموا وأخرجوه خارج المدينة وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه إلى أسفل" (لو٤: ٢٩).

+ ولغلاظة قلوبهم كانوا ينكرون آياته الساطعة. فهم أمام سلطانه على الأرواح النجسة كانوا يقولون "**هذا لا يخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين**" (مت ١٢:٢٤، مر٣:٢٢، لو ١١:١٥).

+ وبعد استقباله بالهتاف عند دخوله الأخير إلى أورشليم "**أوصنا لابن داود. مبارك الآتي باسم الرب**" (مت ٢١:٩، مر ١١:٩، لو ١٩: ٣٨، يو ١٢:١٣)، تعالى بعد أيام هتافهم الممتليء عداءً "**اصلبه اصلبه.. دمه علينا وعلى أولادنا**" (مت ٢٢:٢٧، ٢٥، مر١٥: ١٣، ١٤، لو ٢١:٢٣، يو ١٩:١٥).

+ وذاقت الكنيسة الأولى من اليهود ألوان الاضطهاد والتنكيل سجناً وجلداً وضرباً (بطرس ويوحنا وسائر التلاميذ، وبولس وسيلا – أع ٤:٣ ، ٥:١٨ ، ١٢:٣، ١٦:٢٤، ٢٤:٢٣ ، ٢٧، ٢٨:١٦، ٣٠، ٢كو ١٢:٢٣-٢٥) وقتلاً بالرجم (استفانوس – أع ٧:٥٨-٦٠) والسيف (يعقوب – أع ١٢:١، ٢).

■ عاقبة الرفض:

ولكن اليهود المعاندين المقاومين (رو ٢١:١٠) غلاظ القلوب (إش ٦: ٩، ١٠، مر٣:٥، يو ١٢:٤) لن يفلتوا من العقاب حتى وإن كانت هناك عودة في نهاية الأيام "**لبقية ستخلص**" (إش ١٠: ٢٢، ٢٣، رو ٩: ٢٧) ورغم أن عصيانهم سمح للغرباء من المشارق والمغارب (بل وللعشارين

والزواني) أن يسبقوهم إلى ملكوت الله (مت ٨: ١١، ١٢، ٢١: ٣١، ٤٣، لو ١٣: ٢٨، ٢٩، رو ١١:١١، ٢٥).

والرب، وهو يقترب من الصليب، تنبأ بخراب أورشليم والهيكل (وهو ما تم) (مت ٢٣: ٣٧، ٣٨، ٢:٢٤، مر ١٣:٢، لو ١٩: ٤٣، ٤٤، ٢١: ٦) وأن تلاميذه الذين آمنوا به سيدينون أسباط إسرائيل (لو ٢٢: ٢٩، ٣٠)، فضلاً عن إدانتهم من **أهل نينوى** الذين تابوا بمناداة يونان و**ملكة التيمن** التي أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان (مت١٢:٤١، ٤٢، لو ١١:٣١، ٣٢).

وكتب القديس بولس عنهم "**الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن وهم غير مُرضين لله وأضداد لجميع الناس.. ولكن أدركهم الغضب إلى النهاية**" (١تس٢: ١٥، ١٦) [٦].

■ على خطى السيد:

عاش السيد أيام خدمته رفيقاً للاجئين والمشردين ولمن لا بيت يأويهم (Homeless). فهو مثلهم لم يكن له "**أين يسند رأسه**" (مت ٨:٢٦). وعلى نهجه سار القديس بولس الذي لم يكن له هو الآخر إقامة (١كو ٤: ١١). وآباء الرهبنة ومن تبعهم تخلّوا باختيارهم عما يملكون ومثله عاشوا فقراء يسكنون شقوق الأرض ويقتسمون كسرة الخبز مع فقراء العالم.

---

(٦) رغم أن كثيرين من يهود اليوم يقبلون الإيمان (مثل اليهود المسيحيين Christian Jews واليهود المسيانيين Messianic Jews) فإن الرافضين منهم ينطبق عليهم الحكم السابق ولا تقوم لنا شركة معهم بغير إيمانهم، وتعبيرات مثل "**المسيحية الصهيونية**" لا تعني بالنسبة لنا شيئاً، وإن كانت لا تبرر لنا بالطبع كراهيتهم أو مقاطعتهم بل سعينا بكل وسيلة لإلزامهم بالعدل والحق.

وفي حديثه عن الأيام الأخيرة، أبرز الرب قضية المسجونين وجعل رعايتهم ضمن أعمال الإيمان التي سيكون لها دورها في الدينونة كأنها قُدِمت للرب نفسه "**كنت .. محبوساً فأتيتم إليّ**" (مت ٢٥: ٣٥-٤٦). وفي مثل **السامري الصالح** أكد الرب على مسئولية المسيحي عن كل محتاج بغض النظر عن جنسه أو دينه أو لونه في قوله "**اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا**" (لو ١٠:٣٧).

والكتاب جعل بذل النفس من أجل الآخر قمة العطاء "**ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه**" (يو ١٥: ١٣)؛ وأن الانكفاء على الذات وغلق الأحشاء عن معاناة الآخرين هو انسحاب من محبة الله لأن المحبة لا تكون بالكلام ولا باللسان بل باقترانها بالعمل والحق (١يو ٣:١٧، ١٨)؛ وأن المصير الطبيعي لحبة الحنطة هو ألا تبقى وحدها وإنما تقع في الأرض وتمت فتأتي بثمر كثير. وهكذا فإن من يحب نفسه هو في واقع الأمر يقودها إلى الهلاك أما "**من يبغض نفسه في هذا العالم** (أي لا يستجيب لأهوائها ولا يضنّ بتقديمها على مذبح المحبة) **يحفظها إلى حياة أبدية**" (يو ١٢: ٢٥).

وعلى نهج السيد يطالبنا القديس بولس أن "**اسندوا الضعفاء**" (١تس ٥:١٤) وأن "**اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم والمذلين كأنكم أنتم أيضاً في الجسد**" (عب١٣: ٣).

نعم.. على كل مسيحي أن يكون له موقف من الظلم والقهر[٧] خاصة عندما يكون منظماً من قبل الدولة ضد المواطنين العُزْل شيوخاً ونساءً وأطفالاً بغير تمييز، وما يتضمنه من هدم المنازل وتجريف الأراضي وحرق المحاصيل وطرد الملايين ليعيشوا كلاجئين في مخيمات لأكثر من ستة عقود حتى الآن، والعقاب الجماعي للفلسطينيين رداً على انتفاضات المقاومة[٨]. ونعرف أن العنف والاضطهاد قد أجبر ملايين المسيحيين للنزوح من فلسطين حتى أن بيت لحم مهد المسيح تكاد تخلو حالياً من المسيحيين[٩].

ومع هذا فالبعض منا يقول أن الفلسطينيين لا يستحقون تعاطفنا لأن منهم من خانوا قضيتهم وتربّحوا من وراء محنة إخوتهم تجارةً أو سياسةً أو حكماً أو حتى تعاوناً مع سلطات الاحتلال. ولكن التعميم هنا يظلم الملايين ممن يئنّون تحت وطأة الظلم والقهر وانتهاك كرامة الإنسان[١٠].

---

(٧) على مدى سنوات المحنة كان مسيحيو فلسطين في مقدمة المناضلين من أجل حرية بلادهم (**جورج حبش، حنان عشراوي**) ومنهم من تعرض للاغتيال (**كمال ناصر** – ١٠/٤/١٩٧٣) وبينهم عدد من رجال الكنيسة الأرثوذكسية (مطران القدس منذ ١٩٦٥ **هيلاريون كابوتشي** – ٩٢ سنة– الذي حكم عليه بالسجن ثم نُفي إلى روما منذ عقود، وبعده رئيس الأساقفة **ثيئودوسيوس** – **عطا الله حنا** – الذي طاف ببلاد العالم مدافعاً عن قضية بلاده) ود. **إدوارد سعيد** الأستاذ بجامعة كولومبيا والذي لم ينس أهله تحت الاحتلال منذ هجرته إلى الولايات المتحدة شاباً (١٩٥١) وحتى وفاته (٢٠٠٣).

(٨) لا نزال نذكر مشهد الطفل **محمد الدرة** وهو في حضن والده يحميه ويتوسل إلى الجنود أن يتوقفوا عن اطلاق النار، وشاهد الطفل أباه وهو يتلقى الدفعة الأولى من الطلقات وبعدها نال نصيبه منها.

(٩) هُدمت آلاف المنازل في الضفة الغربية، وهناك عشرة آلاف منزل أخرى في القدس الشرقية تنتظرها أوامر الهدم.

(١٠) في تقارير الأمم المتحدة (يونيو ١٩٩٩) أن هناك ٣.٦ مليون لاجيء فلسطيني مشتتون في الدول المحيطة، وبعضهم لا يزالون يحملون باكين مفاتيح بيوتهم التي أجبروا على تركها قسراً. كما أن الجدار الفاصل بين إسرائيل والضفة الغربية بارتفاع ثمانية أمتار، قد أنشيء بطريقة قسمت القرى الفلسطينية وبساتينها بين الضفة وإسرائيل وحرمت الإخوة والأهل زيارة ذويهم، ومنعت الطلاب والمدرسين من الذهاب إلى جامعاتهم ومدارسهم، كما فقد الكثيرون عملهم.

الذين لا يبالون بالفلسطينيين، ولا يأبهون بدم ضحايا العنف في أي مكان[١١]، ينكرون مسيحهم الذي جابه ظلم رؤساء الكهنة وهو الذي جاء من أجل خلاصهم فكان نصيبه الصليب. وها هم الأحفاد الذين عانوا الاضطهاد قروناً[١٢] يذيقون أهل فلسطين من نفس الكأس الذي تجرعوها بغير رحمة.

ولكن وجود مدافعين عن الحق يدينون الظلم والعنف مثل **ريتشيل كوري**، وكل مسيحي يتمسك بإنجيله، بل والكثيرين من الإسرائيليين محبي الحق الذين يرفضون اغتصاب الأرض ويناضلون من أجل حقوق مكافئة للفلسطينيين، كفيل بأن يقلب الموازين ويتحقق قول الكتاب **"إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً"** (٢تس ١:٦) **"وأما الظالم فسينال ما ظلم به وليس محاباة"** (كو ٣:٢٥) **"ومن سقط على هذا الحجر** (شخص الرب) **يترضّض ومن سقط هو عليه يسحقه"** (مت٢١: ٤٤، لو ٢٠:١٨، رو ٩:٣٢، ٣٣).

ومسيحيو مصر الذي يعاني ملايين منهم التمييز الديني الصريح، فضلاً عن الخطف والقتل وحرق الكنائس والتهجير، هم أوْلى الناس أن يعلنوا إدانتهم لكل صور الظلم وسلب الحقوق وانتهاك الحريات خاصة عندما تبلغ حد الإبادة الجماعية.

---

(١١) يحفل عالمنا بالظلم والقسوة والتمييز سواء العنصري (جنوب أفريقيا – إلى وقت قريب، فلسطين، رواندا – حيث قتل الهوتو، في ١٩٩٤، ٨٠٠ ألف من التوتسي في مائة يوم فقط) أو الديني (السودان، ميانمار – حيث هاجر خلال العقود الثلاثة الماضية مليون من مسلمي الروهينجا فراراً من الاضطهاد البوذي).

(١٢) قُتل الملايين من اليهود في أفران الغاز خلال الحكم النازي الألماني بما يعرف بمحرقة الهولوكوست Holocaust.

وعلى كنيستنا أن تسهم مع سائر الكنائس المُحبة للحق في الصلاة من أجل الفلسطينيين، وألا تكتفي بمنع شعبها من زيارة القدس (كنوع من الضغط على سلطة الاحتلال بمنع التطبيع معها) مع ما فيه من حرمان المسيحي من زيارة الأرض التي عاش فيها الرب أكثر أيام جسده وأعلن فيها إنجيله وعهده الجديد، وحيث صُلب ومات وقام، وكأنه يعود إلى زمن المسيا متابعاً مسيرته من المهد حتى الجلجثة والقبر الفارغ، وما يجتاحه عندها من مشاعر وتحولات لا يُسبر غورها. ربما يكون أكثر إيجابية واقتراباً من الإنجيل أن تشجع الكنيسة تأسيس جمعيات للدفاع عن المظلومين والمقهورين وحث غير المبالين من شعبنا للمشاركة وإعلان حق المسيح وذهاب الوفود لتقديم المساعدات للفلسطينيين واقتسام الهموم معهم.

ونحن نصلي أيضاً من أجل توحيد صفوف الفلسطينيين مما يعجّل بنهاية المعاناة واندحار الظلم، ويختم على هذا الليل الطويل بإشراق نور الحرية وسيادة السلام على أرض المسيح ملك السلام.

"يا رب..."

ملاحـــق

ملحق (١)

السجل المحزن لأحداث إضطهاد لأقباط ومسيحيي الشرق في العصر الحديث

منذ آمن المصريون بالمسيح في منتصف القرن الميلادي الأول، واجهوا اضطهاداً دموياً من الرومان الذين كانوا يحكمون البلاد تصاعد أثناء حكم الإمبراطور **نيرون** (٥٤-٦٨م)، وبلغ مداه في عهد ديوقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م) وبلغ عدد الشهداء خلال تلك الفترة أكثر من ٨٠٠,٠٠٠. على أنه انحسر زماناً بعد إيمان الملك قسطنطين في القرن الرابع (٣٣٧م) لكي يتصاعد من جديد باجتياح العرب للبلاد مع بداية القرن السابع ينشرون فيها الدين الجديد بقوة السلاح. ولم يكن أمام المؤمنين غير دفع الجزية أو الموت.. وعاد الاضطهاد ليمتد على مدى القرون التالية تحت الحكام الجدد الوافدين من المنطقة العربية وأسيا الصغرى. وعانى الأقباط ألواناً من التمييز حتى في نوع الملابس وحيوانات الركوب وجانب الطريق الذي يسيرون عليه، فضلاً عن عدم السلام عليهم أو التهنئة بأعيادهم، وحصار العبادة وهدم الكنائس والأديرة، وإن تحسنت الأحوال بعض الشيء تحت حكم الوالي محمد علي وخلفائه الذين استقلوا عن الدولة العثمانية.

ولكن تجددت الآلام بظهور جماعة الإخوان المسلمين في عام ١٩٢٨، وهي التي قادت في العقود التالية حملات التعصب في خطابهم وكتاباتهم أولاً، ثم بالاعتداءات المتنوعة حرقاً وهدماً للدور والمحال والكنائس، وقتلاً وسحلاً وتعذيباً للشباب والرجال، وخطفاً للفتيات وإغرائهن واغتصابهن وإرغامهن على الزواج واجبارهن على إنكار الإيمان وإلا لا ترث زوجها.

وكانت الحصيلة مسلسلاً ممتداً إلى هذا اليوم من الحرب الدينية التي تصاعدت بتولي الجماعة الإرهابية حكم البلاد عقب ثورة يناير ٢٠١١. ولكن صدامهم مع الشعب والجيش الذي انتفض لتخليص البلاد من نهجهم الرجعي والشرير مما أدى إلى وقف تمددهم بعد أن عانى المسيحيون الويلات على مدى ثمان عقود زرع الإخوان خلالها في تربة البلاد مبادئ التمييز والتعصب والكراهية وطعن وحدة الوطن في الصميم.

ونورد فيما يلي سجلاً مختصراً لأحداث الإضطهاد الرئيسية بدءاً من أربعينات القرن الماضي وإلى اليوم، دون تفاصيل كثيرة، ذلك أن القائمة الكاملة أكبر من أن يمكن حصرها(١):

+ حرق **كنيسة الزقازيق** أثناء اجتماع روحي للسيدات اللاتي ساعدهن الأهالي في تسلق الأسوار والفرار (١٩٤٧/٣/٢٧).

+ حرق **كنيسة الحضرة بالإسكندرية** (أبريل ١٩٤٧).

+ الهجوم على **أقباط السويس**، بعد اتهامهم كذباً بالتعاون مع الإنجليز المحتلّين. وعلّقوا ثلاثة منهم كالذبائح بخطاطيف وأشعلوا فيهم النار. وبعد حرقهم سُحلت جثتهم في شوارع المدينة وتم القاؤهم في كنيسة السويس وأشعلوا فيهم النار (١٩٥٢/١/٤).

ووقتها كتب الأستاذ **نظير جيد** (البابا شنوده فيما بعد) في عددي يناير وفبراير ١٩٥٢ من **مجلة مدارس الأحد** منّدداً بالحادث وإلقاء اللوم على الأمن لعدم تدخّله، ومذكّراً بحرق **كنيسة الزقازيق** من قبل.

---

(١) كتب **الدكتور زغيب ميخائيل** الطبيب في أبي قرقاص بالمنيا كتابه **"فرق تسد"** (١٩٥٠)، الذي قدم له الكاتب الكبير **سلامة موسى**، والذي يوثق وقائع التمييز ضد الأقباط في حقوق المواطنة والمساواة والعبادة. وقد اضطر الكاتب بعد تعرضه للاعتداء للنزوح إلى القاهرة.

+ حريق **كنيسة الخانكة** (القليوبية): بعد حرق **جمعية أصدقاء الكتاب المقدس** لأداء القداس بها، أزالت قوات الشرطة الهيكل وحظرت استخدامه للصلاة. فأرسل **البابا شنوده** عدداً كبيراً من الكهنة في مسيرة إلى مقر الجمعية حيث صلوا القداس. وفي اليوم التالي قامت مسيرة مضادة من المتطرفين من مسجد السلطان الأشرف، وتم الاعتداء على الأقباط وممتلكاتهم طوال اليوم دون تدخل الأمن. بعدها شكل **مجلس الشعب** لجنة لتقصي الحقائق برئاسة **الدكتور جمال العطيفي** المستشار القانوني الذي كتب تقريراً ضافياً به عشر توصيات لقواعد بناء الكنائس ومناهج التعليم ووسائل الإعلام والثقافة لتعميق المساواة الكاملة بين المصريين بغير تمييز وتفادي الفتن الطائفية.. ولكن لم يتم تفعيل هذه التوصيات ودفن تقرير العطيفي ليصير تاريخاً (١٩٧٢).

+ احتراق **كنيسة قصرية الريحان الأثرية** بمصر القديمة (١٩٧٩/٣/١٩).

+ إلقاء قنابل على **كنيستي مارجرجس سبورتنج وغيط العنب بالإسكندرية** ليلة عيد الميلاد (١٩٨٠/١/٧ أو ١٩٨١).

+ حرق **كنيسة الزاوية الحمراء** (١٩٨١).

+ إلقاء متفجرات على **كنيسة العذراء بمسرة** أثناء حفل إكليل (١٩٨١/٨/٢).

+ الاعتداء على **كنيسة أبي قرقاص** (١٩٨٩ أو ١٩٩٠).

+ الاعتداء على **كنيسة منفلوط** (١٩٩٠).

+ إلقاء قنابل على **كنيسة العذراء بعين شمس** (١٩٩٠/٣/١٩).

+ الاعتداء على **كنيسة أبي المطامير بالبحيرة** (١٩٩٠).
+ إحراق **كنيسة مارجرجس بمنيا القمح** (١٩٩٠/٤/١٥).
+ إلقاء قنبلة على **كنيسة سنهور بالفيوم** (١٩٩٠/٤/١٩).
+ محاولة إحراق **كنيسة بورسعيد** (يوليو ١٩٩٠).
+ إحراق **كنيسة مارجرجس حوش عيسى بالبحيرة** (١٩٩١).
+ تخريب **كنيسة منقطين بسمالوط** (١٩٩١/٢/١٦).
+ إشعال النار في **كنيستين بإمبابة** مع بيوت الأقباط ومتاجرهم (١٩٩١/٩/٢٠).
+ حريق قرية **المنشاة بأسيوط** (١٩٩٢).
+ أحداث **طما** (١٩٩٢).
+ مذبحة **دير المحرق بالقوصية بأسيوط** ومقتل خمسة رهبان (١٩٩٤/٣/١١).
+ إحراق **كنيسة الأنبا ابرآم – دير العزب بالفيوم** (١٩٩٦/٤/١٩).
+ حريق **كنيسة كفر دميانة بالشرقية** (١٩٩٦).
+ حرق **كنيسة أبي سيفين بالفيوم** (١٩٩٦).
+ حريق **عزبة كامل تكلا – بهجورة بنجع حمادي** (١٩٩٧).
+ حريق **دير مارجرجس بقنا** (١٩٩٧/٥/٢٦).
+ مذبحة **الكشح الأولى** (١٩٩٨).
+ حريق أتوبيس يقل خدام وأقباط **كنيسة مارجرجس هليوبوليس** وهم في طريقهم إلى أحد أديرة الصعيد (١٩٩٩).
+ مذبحة **الكشح الثانية** ونهب البيوت وقتل وذبح وحرق ١٩ قبطياً (٢٠٠٠).

+ الاعتداء على أقباط **قرية جرزا بالعياط** (٢٠٠٣).

+ حريق **كنيسة أبي سيفين منيا القمح** (٢٠٠٥).

+ تهجير ١٥ عائلة من **قرية حجازة – قوص – قنا** (٢٠٠٦).

+ حريق **كنيسة العذراء بالدخيلة** (٢٠٠٧).

+ حريق **كنيسة صفط ميدوم – الواسطى – بني سويف** (٢٠٠٧).

+ حريق **قرية أولاد طوق – سوهاج** (٢٠٠٧).

+ حريق **كنيسة بني منصور بالبلينا** (٢٠٠٧).

+ حريق **الكنيسة المعمدانية بأبي قرقاص** (٢٠٠٧).

+ حريق **كنيسة أرمنت** (٢٠٠٧).

+ إطلاق رصاص وخطف رهبان **دير أبي فانا – ملوي** (٢٠٠٨).

+ الاعتداء على أقباط **قرية نزلة رومان – أبو قرقاص** (٢٠٠٩).

+ إطلاق النار أمام **كنيسة نجع حمادي** ليلة عيد الميلاد (٦ شهداء) (٢٠١٠/١/٧).

+ الاعتداء على **كنيسة العمرانية بالجيزة** (نوفمبر ٢٠١٠).

+ تفجير **كنيسة القديسين بالإسكندرية** ليلة رأس السنة (٢١ شهيداً) (٢٠١٠/١٢/٣١).

+ أحداث **ماسبيرو** وإطلاق النار ودهس شباب الأقباط المشتركين في الثورة بالمدرعات، وبداية تصاعد جديد للعمليات الإرهابية ضد المسيحيين في البلاد (يناير ٢٠١١)

+ هدم وحرق **كنيسة صول بأطفيح**، حريق كنائس **إمبابة، سمالوط، والمارياناب** بأسوان (٢٠١١).

+ تهجير أقباط **العامرية** (٢٠١٢).

+ الهجوم على **الكاتدرائية** (٢٠١٣).

+ الاعتداء على **أقباط الخصوص بالقليوبية** (٢٠١٣).

+ عقب فض اعتصام رابعة، **تدمير ٨٤ كنيسة** من كل الطوائف المسيحية، ومباني خدمات والمئات من ممتلكات الأقباط: محلات تجارية، صيدليات، عيادات، فنادق، سيارات وأتوبيسات، مدارس راهبات خاصة في **الجيزة وبني سويف والفيوم والمنيا وأسيوط وسوهاج وقنا والسويس والعريش والإسكندرية** (٢٠١٣).

+ الاعتداء على **كنيسة الوراق** عند خروج الأقباط بعد حفل إكليل واستشهاد أطفال (٢٠١٥).

+ مقتل كهنة في **محافظة شمال سيناء**.

+ أحداث **المنيا** التي تتضمن الاعتداء على بيوت الأقباط وحرق كنائسهم وإهانتهم (٢٠١٦).

+ أحداث **كنيسة الرسولين بطرس وبولس** بالعباسية حيث فجر إرهابي نفسه وسط المصلين في صوم الميلاد (٢٩ شهيداً صغاراً وكباراً معظمهم من النساء) (٢٠١٦/١٢/١١).

+ تهجير أقباط **العريش** وتوطينهم في الإسماعيلية (٢٠١٧).

+ تفجير **كنيسة مارجرجس بطنطا** (٣٠ شهيداً) وأمام **الكنيسة المرقسية بالإسكندرية** (٩ شهداء) (أحد السعف ٢٠١٧/٤/٩).

+ تفجير **كنيسة مارمينا بحلوان** (نوفمبر ٢٠١٧).

+ إطلاق الرصاص على أوتوبيس زوار **دير الأنبا صموئيل بمغاغة** (٢٠ شهيداً) (٢٠١٧/٥/٢٦). والذي تكرر في العام التالي (٢٠١٨).

ملحق (٢)

عن "وثيقة الإخوة الإنسانية"

(مقتطفات من مقالين للكاتب **أحمد عبد المعطي حجازي** بعنوان: **"الوثيقة.. الوثيقة.. هل تكون صرخة في واد؟!"** -الأهرام- ٢٠، ٢٠١٩/٣/٢٧)

حتى الآن لم تنل **"الوثيقة العالمية للأخوة الإنسانية"** التى أعلنها قبل بضعة أسابيع فى أبو ظبى **الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر والبابا فرانسيس بابا الفاتيكان**، وختما بها سلسلة من اللقاءات والاجتماعات التى انعقدت بين ممثلى الأديان المختلفة - لم تنل هذه الوثيقة الخطيرة ما تستحقه رغم توالى المصائب التى ابتلى بها العالم وأكدت لنا أن وثيقة أبو ظبى ظهرت فى وقتها، لا ردا فقط على الجرائم التى ارتكبت باسم الدين، والدين منها براء، ولكن تذكيرا وتحذيرا من أن هذه الجرائم لن تنقطع فى المستقبل، لأن أسبابها قائمة. فالعالم لم يعد معسكرات دينية مغلقة كما كان فى الماضي، وإنما هو الآن ومنذ عقود عالم واحد أو قرية كونية مفتوحة تجمع كل الألوان والاجناس والثقافات والديانات، وترث من الماضى ما كان فيه من ظلم وجهل وعنف وتعصب.

ونحن نرى فى وثيقة أبو ظبى كأنها جاءت جوابا على عدد من أهم الأسئلة التى شغلتنا فى السنوات الأخيرة وفى تاريخنا الحديث.علاقتنا بالعالم الخارجى خاصة بالغرب المسيحي، الذى كنا نسميه "دار حرب" مشتعلة بالفعل أو يمكن أن تشتعل. وإذا كانت هذه العلاقة العدائية المعلنة قد أصبحت ماضيا بعيدا فجماعات الإسلام السياسى من جانبنا لاتزال تتبناها وتعمل بمقتضاها. ومثلها الأحزاب والجماعات الفاشية والعنصرية من جانب الغرب، وفى وجه هؤلاء وهؤلاء يعلن **شيخ الأزهر وبابا الفاتيكان وثيقتهما التاريخية** التى تدعو لنشر ثقافة السلام والعدالة واحترام الغير والرفاهية للبشرية جمعاء، بدلا من ثقافة الكراهية والظلم والعنف والدماء،

وتطالب قادة العالم بالتدخل الفورى لوضع نهاية فورية لما يشهده العالم من حروب وصراعات. الاسلام هنا يضع نهاية لهذا الفقه الذى يعتبر كل مختلف عدوا يعلن الحرب عليه، ويفتح صفحة جديدة فى فقه جديد يسميها **"الأخوة البشرية"**.

وكما جاءت وثيقة أبو ظبى لتصحح علاقتنا بالعالم الخارجى جاءت لتصحح علاقتنا بأنفسنا، لأننا حين نعتبر الآخرين أخوة نجعلهم امتدادا لنا ونجعل أنفسنا امتدادا لهم، وبهذا يمتنع التمييز ويصبح نوعا من الانتحار. فالمسيحى فى البلد الاسلامى أخ ومواطن، والمسلم فى البلد المسيحى أخ ومواطن. هذه التسوية تحفظ للآخرين حقوقهم حتى ولو كانوا أقلية، وتحفظ لنا حقوقنا عندهم حتى ولو كنا أقلية. ولأنها تسوى بيننا وبينهم فهى تعترف لنا ولهم بحقنا فى أن نختلف وأن نتعدد دون أن نخرج من أخوتنا البشرية.

إنها تفسح الطريق فى بلادنا لحضارة الغرب وتعتبرها امتدادا لحضارتنا، كما تفسح الطريق فى الغرب للاسلام وتشجع المسلمين فى الغرب للخروج من عزلتهم والاندماج فى المجتمعات التى يقيمون فيها، ومعنى هذا أنها ترحب بظهور إسلام أوروبى يجمع بين أصول العقيدة الإسلامية وأصول الحضارة الأوروبية الحديثة كما جمعت الفرق الاسلامية المختلفة بين أصول العقيدة وما ورثته من الحضارات السابقة.

فإذا كان الأزهر ممثلا بشيخه يدعو للتخلص من مصطلح الأقلية والأكثرية، كما جاء فى كلمته التى قدم بها الوثيقة، فهو يتبنى المصطلح المقابل وهو **المواطنة**. والدعوة للمواطنة دعوة للانتماء للوطن، والانتماء للوطن يتعارض مع الخلط بين الدين والدولة.

هل هناك أمل نستطيع أن نتعلق به؟

نعم. لو أن وثيقة أبو ظبي التي أعلنها شيخ الأزهر وبابا الفاتيكان وجدت من يحولها من أقوال إلى أفعال. وأخشى ما أخشاه أن يمر الوقت وتتحول هي الأخرى إلى صرخة في واد ونفخة في رماد!

ملحق (٣)

كتابات عظيمة في إدانة التعصب والتمييز الديني وفي محبة البشر

■ كيرياليسون.. في محبة الأقباط:

(**حمدي رزق**- الكتاب الذهبي- دار روزاليوسف- ٢٠١٨)

في هذا الكتاب محاولة لتوثيق المحبة مقابل توثيق الكراهية الذي يعمل عليه الكثيرون خلال السنوات السبع التي تلت ٢٠١١ حيث عانى المسيحيون ما أسماه "الازدراء الرسمي والتمييز المحلي".

ونوقش الكتاب في ندوة ثقافية افتتحت بها جامعة القاهرة موسمها الثقافي للفصل الدراسي الثاني ٢٠١٨.

ويهدف الكتاب إلى ترسيخ **قيم المواطنة والمساواة** بين الجميع بغير تمييز ومعالجة التوترات بحكمة من بدايتها، **وتفعيل القانون** بغير محاباة على الجميع، والدعوة للتخلص من عبارة عنصري الأمة من القاموس المصري، لأن المسيحي ليس عنصراً دخيلاً ولكنه أصيل أصالة التاريخ وهو ليس "**آخر**" وإنما هو ضمن "**نحن**".

وليس هناك مجال لتسامح جماعة إزاء أخرى لأن من يملك حق التسامح يملك حق الكراهية، **فلا كلمات مثل الأغلبية والأقلية في أمر الحقوق**، بغير تفضُّل جماعة على أخرى أو حكومة على مواطنيها.

ولم يترك الكاتب تفصيلة إلا وسلط عليها الضوء الكاشف "من **صفر مريم** (التي بدلوا أوراق امتحانها في الثانوية العامة لصالح ابن رئيس الكنترول!!) حتى **تفجير البطرسية**، **ورفض دخول المحافظ القبطي إلى قنا**(!!) **والفتاوي الصارخة** التي تشعل النار وتؤجج الكراهية".

■ هيستيريا رفض الآخر:

(مقتطفات من مقال للكاتبة **سناء صليحة**- الأهرام- ٢٠١٩/٣/٢٤)

بعد الهجوم الإرهابي على **مسجد مدينة كرايست تشيرش** (كنيسة المسيح) **بنيوزيلندا**، اندلعت موجة جديدة من حملات اشعال الكراهية وتأجيج العنصرية المتبادلة ليبدو الأمر كأننا جميعا، شرقا وغربا، قررنا الاستسلام لدود أسود ينفث أبخرة سوداء، صنعتها سلوكيات وتصريحات غير مسئولة وصور نمطية متبادلة ولعب على أوتار المشاعر الدينية والقومية ونعرات عرقية وجهل بآليات إدارة الصراعات الثقافية يتم استغلالها لتحقيق مكاسب سياسية، انتظارا لساعة صفر تُشعل الحروب الدينية وتقصى الآخر وتنفيه ثقافيا، تحت شعار صراع الحضارات والأديان والثقافات وما يعرف باليمين المتطرف أو **الإسلاموفوبيا** وربما الصين أو اليابان فوبيا.

المؤسف أن اختزال القضية فى مجرد ظواهر وتجاهل المرض لن يعالج الداء أو يمنع تكرار أعراضه،إذ تظل المشكلة التى علينا أن نواجهها دون مواربة هى أن بعض من يتورطون فى هذه الأعمال أو يستغلونها تشبعوا بأفكار أكثر خطورة من قنابل بدائية أو أسلحة وخزانات محملة برصاص يحصد أرواح الجميع بغض النظر عن الديانة أو الجنسية أو العرق.. فتجاهلنا لحقيقة أن التعصب كان دائما المحرك لكل الجرائم والحروب القائمة والمستقبلية يُحولنا تلقائيا لترس فى هذه الآلة الجهنمية التى ستقضى فى النهاية على البشرية وتسحق كل منجزاتها.

فالتعصب فى أبسط تعريفاته هو الثبات والتحجر على رأى أو فهم أو تأويل أو اعتقاد والدوران فى مدارات فكرية مغلقة لا تقبل المغايرة والمخالفة، الأمر الذى يؤدى لتبنى الفرد مواقف سلبية أو إيجابية مفرطة فى التعميم وتفتقر للأسانيد. وبمراجعة سريعة للتغطيات الإخبارية التى بثتها بعض القنوات عقب الحدث المأساوى فى نيوزيلندا يستطيع أى شخص أن يلاحظ الجهد الذى بذله معلق الخبر فى قناة «الجزيرة» ليستنطق ضيفيه على الهواء ما يؤكد تعرض المسلمين لاضطهاد وتمييز، نفاه كلاهما بصورة قطعية.

وإذا كان الغضب وإدانة أى اعتداء أو تعليق عنصرى والكيل بمكيالين عند توصيف الأحداث الإرهابية حقا إنسانيا مشروعا فإنه يجب ألا يُلهينا عن حقيقة أن هذه الجرائم البشعة يدينها أصحاب الفطرة السليمة أيا ما كانت ملتهم والثقافات التى ينتمون لها، وأن مذبحة نيوزيلندا وغيرها من وقائع مؤسفة سبقتها وقد تعقبها، حلقة فى سلسلة إرهابية تستهدف الجميع، يتخفى وراءها قاتل محترف اسمه **التعصب**، سجل جرائمه حافل بالعنصرية فى الولايات المتحدة وجنوب إفريقيا، وبالمذابح فى الهند والحروب القبلية فى نيجيريا والكونغو وتشاد، وبمآسى التوتسى والهوتو فى رواندا، وصراع السنة والشيعة فى العراق وحملات التطهير العرقى والدينى فى البوسنة، والاعتداء على المساجد والكنائس فى مصر و..و.

فالتعصب -كما وصفته الدراسات النفسية - شعور يصاحبه الإحساس بالاستعلاء أو المظلومية يؤدى للازدراء والكراهية والتمييز ورفض الآخر ومحاولة إقصائه عبر سياقات نفسية تؤدى بدورها للعنف والتحيز وتضخيم الفروق التى تدعم تقدير الذات وتحط من الآخر.

■ من قصيدة الشاعر محي الدين ابن عربي:

لقد صار قلبي قابلاً كلَّ صورةٍ
فمرعى لغزلان وديرٌ لرهبان
وبيتٌ لأوثانٍ وكعبةُ طائفٍ
وألواحُ توراةٍ، ومصحفُ قرآنٍ
أدين بدين الحبِّ أنَّى توجّهت
ركائبُه. فالحب ديني وإيماني

فالشاعر المتصوف يقول أن قلبه أصبح قابلاً كل صور الكون يتخذ بها ويتمثل فيها. فالكون في كل صورة حب في حب.. والله هو إله المحبة، والمؤمن بالله يدين بدين الحب، فالحب دينه وإيمانه.

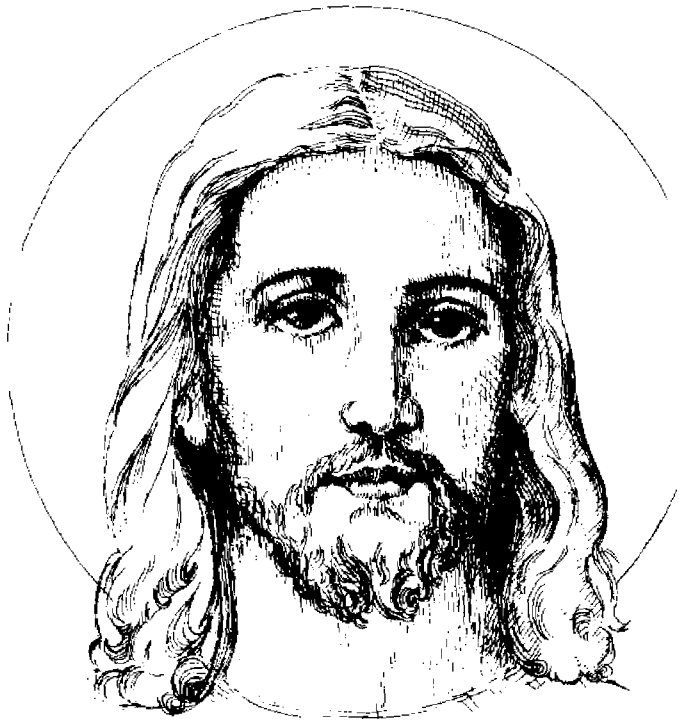

" **أنا هو نور العالم** " (يو٨: ١٢)

كتب صدرت من هذه السلسلة :

الكتاب الأول : **في السلوك المسيحي**
التدين المضاد...ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الثاني : **عن المسيح**
يسوع المسيح الشفيع الكامل... ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الثالث : **المسيح في حياة الكنيسة والخدمة**
عثرة الصليب ... ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الرابع : **شخصيات كتابية**
١- القديس بطرس .. أول التلاميذ
٢- القديس بولس .. آخر الرسل (طبعتان)

الكتاب الخامس : **قضايا إيمانية**
المسيح يعرفنا عن ذاته ... ومقالات أخري

الكتاب السادس : **في السلوك المسيحي (٢)**
نحن والصليب والخلاص ...ومقالات أخري

الكتاب السابع : **قضايا إيمانية (٢)**
قضية الشفاعة ...ومقالات أخري

الكتاب الثامن : **في السلوك المسيحي (٣)**
ضبط النفس ...ومقالات أخري

الكتاب التاسع : **في السلوك المسيحي (٤)**
رفاق الإيمان وخصومه

الكتاب العاشر : **قضايا إيمانية (٣)**
الخطية التي لا تُغفر...ومقالات أخري

الكتب من ١١- ١٣ : **دراسات وتأملات في فصول أناجيل قداس الآحاد**
الكتابان ١٤، ١٥ : **الأعياد الكنسية** (طبعتان)

الكتاب السادس عشر : **عن المسيح (٢)**
"يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد"

الكتاب السابع عشر : **في السلوك المسيحي (٥)**
الأخلاق المسيحية .. ومقالات أخرى

محتويات الكتب الثلاثة السابقة من "قضايا إيمانية"

الكتاب الخامس

– **قضية الإيمان المسيحي** ٩

+ المسيح يعرفنا عن ذاته ١٠

– **قضية الخلاص** ٥٣

+ المعاني المختلفة للخلاص في الكتاب ٥٤
+ هبة الحياة الأبدية للمؤمنين ٦٩
+ عن الإيمان والأعمال ٨٢
+ عن المجازاة ١٢١

– **قضايا المسيحى والعالم** ١٣٧

+ قضية الاضطهاد ١٣٨
+ قضية التسامح ١٥٠

– **قضية الملكوت** ١٦٣

+ ملكوت الله..والإنسان ١٦٤

الكتاب السابع

– **قضية الصلاة والعبادة** ٩

+ قضية الصلاة ١٠
+ العبادة والتسبيح ٣٦
+ العبادة واللغة ٥١
+ القداس الإلهي..السماء علي الأرض ٦٤
+ بين السبت والأحد ٦٨
+ الناموس والأنبياء وعهد النعمة ٧٣

– **قضية المؤمن والكنيسة** ٧٩

+ الانتماء للكنيسة، مسئولية مشتركة بين الكنيسة والمؤمن ٨٠
+ الكنائس التقليدية ورياح التغيير ٩٣

– **قضية الشفاعة** ١٠٥

+ قضية الشفاعة ١٠٦

– **قضية الإنسان والحياة والزمن** ١٤٥

+ رؤية مسيحية للجسد ١٤٦
+ رؤية مسيحية للحياة والوجود ١٥٦
+ الله والإنسان والزمن ١٦٧
+ الإنسان وكوارث الطبيعة ١٧٨

– **قضية الدين والشريعة** ١٨٩

+ الدين والشريعة والقانون ١٩٠

الكتاب العاشر

١ – قضية الثالوث ٩

+ مفاهيم لاهوتية ١٠

+ عن الثالوث الأقدس في العهد القديم ٢٠

+ عن الآب والابن ٢٥

٢ – قضية التجسد والخلاص ٤١

+ معجزة التجسد ٤٢

+ شهادة العهد القديم ٥٣

+ شهادة العهد الجديد ٥٧

+ شهادة المجامع والطقوس والآباء ٦١

+ الآراء المضادة ٦٤

٣ – قضية تحريف الكتاب وإنكار المسيح ٦٧

+ عن تحريف العهد القديم ٦٨

+ ضد المسيح ٧١

+ الذين ينكرون الإيمان ٧٩

٤ – قضية اليهود والمسيح ٨٧

+ المسيح يفسر العهد القديم ٨٨

+ اليهود والمسيح، بحسب القديس بولس ٩٣

+ بين إسرائيل الكتاب وإسرائيل الدولة ١٠٧

٥ – قضية التجديف على الروح القدس ١١٧

+ الخطية التي لا تُغفر ١١٨

٦ – قضية الدين والقانون والدولة ١٣٥

+ الدين والشريعة والقانون ١٣٦

+ الدين والدولة من منظور كتابي ١٤٤

+ الفصل بين السياسة والدين ١٥٥

٧ – قضية العَلمانية ١٦١

+ عن المفهوم السياسي للعَلمانية ١٦٢

+ عن المفهوم الكنسي للعَلمانية ١٧٩

سطور من هذا الكتاب

هذه التوبة هي للجميع "إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون" (لو ١٣: ٣،٥)، فهي ليست وقفاً على المُجرمين الموغِلين في الشرِّ والبعيدين عن حياة القداسة، ولكنها عمل كل المؤمنين المُلتزمين والأتقياء كل الحياة. والمتدينون الشكليون هم أول مَن يحتاجها، وإن ظنُّوا أنهم ليسوا في حاجة إلى توبة.

ربما لا يختبر الكثيرون، مِمَّن عاشوا منذ طفولتهم وسط عائلة تقيَّة قادتهم كل حياتهم في طريق القداسة، مثل هذا التغيير الحاد بتوبة فاصلة بين حياتين متضادتين؛ ولكن يخوضها بالتأكيد من تنكَّبوا الطريق وعاشوا طياشة المراهقة والصُحبة السيئة والخبرات الرديئة التي ربما استمرَّت طويلاً، فعندما تفتقدهم النعمة ويُدركون بؤس حالهم تكون توبتهم نقطة تحوُّل حاسمة بين عهدَيْن، حتى ليذكروا اليوم والملابسات التي جعلتهم يتواجهون لأول مرَّة أمام تعاستهم وسوء مآلهم، فألقوا بأحمالهم عند أقدام الرب وبدأوا حياتهم الجديدة في النور. وسيكون أبعد ما يكون عن الحقِّ اعتبار غيرهم مِمَّن لم يمرُّوا في حياتهم بمثل هذا الاختبار، ولكنهم يعيشون حياة مُقدَّسة، بأنهم لم يخلصوا بعد كما يدَّعي البعض.

على أنَّ التوبة، سواء كانت هادئة أم عاصفة، فهي لا ولن تتوقَّف. فغبار الطريق يُلوِّث الأقدام، وصراعات الخطية تترك آثارها، ولابد من الاغتسال لتصحيح المسار على مدى الأيام.

نور الحياة